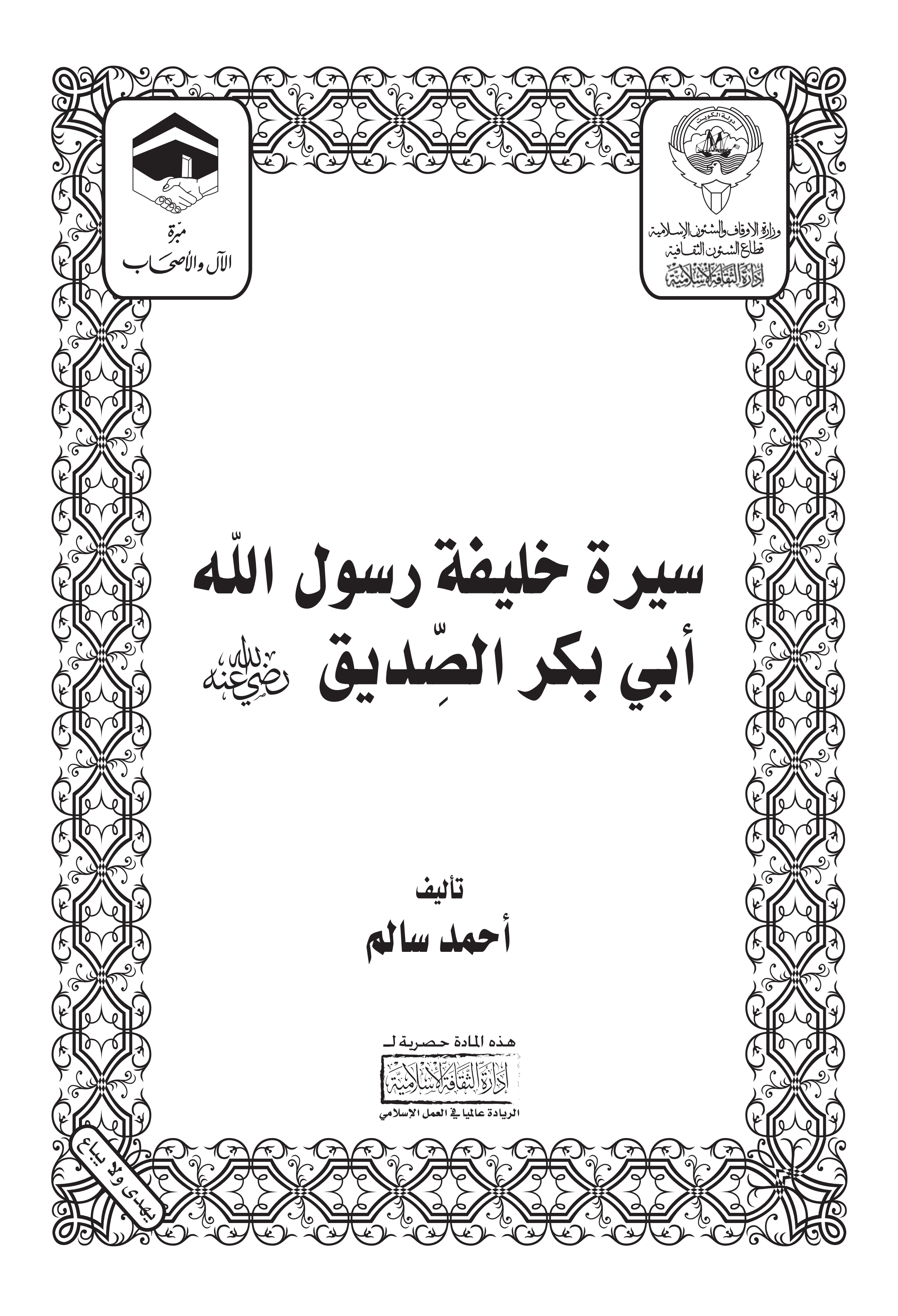


سيرة خليفة رسول اللّه
أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه

تأليف

أحمد سالم

الطبعة الأولى - دولة الكويت

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الثقافة الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw/thaqafa

تم الحفظ والإيداع بمركز المعلومات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع: 140 / 2017

سيرة خليفة رسول الله

أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين!.

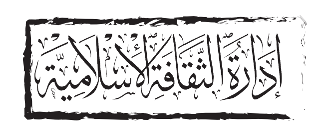
وبعد،

حين يكون الحديث معنيًّا بأحد من رواد جيل الصحابة، فإنَّ أَهَمَّ ما يمكن أن نستحضره في هذا السياق من معاني الصحبة كونها أحد معالم الهداية إلى طريق الله المستقيم،

ولقد عُرِفَ جيل الصحابةِ بفضائل عديدة، لكن أبا بكر قد تميز عن غيره بأسبقيَة الإيمان والتصديق ورفقة الهجرة وحسن الصحبة خليفة رسول الله ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا... وشهدت له المواقف بعميق الإيمان ودقيق تقدير الموقف وحُسْنِ التصرف رضي الله عنه...

ولعل في سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من المواقف والعبر ذات الدلالات العميقة التي يحتاجها عامة المسلمين وخاصتهم، بل يحتاجها كُلُّ البشر، من أجل الوقوف على أحد أسرار بلوغ هذه الرسالة آفاق العالم المترامية منذ بعثة النبيِّ ﷺ وحتى يومنا هذا. وقد شرح الله صدر الأستاذ أحمد سالم إلى تأليف كتابه «سيرة أبي بكر الصديق»، فأبانَ خلال فصول هذا الكتاب عن كثير من الجوانب المهمة في حياة هذا الخليفة الراشد رضي الله عنه.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم هذا الجهد العلمي المبارك إلى جمهور القراء الكرام، آملة أن يتحقق النفع به، داعية المولى عز وجل أن ينفع به، ويجزي عنه مؤلِّفَيْهِ خير الجزاء!..



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أما بعد، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم خير هذه الأمة، وأفضل رجالها؛ فهم الذين وعوا السنن، وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين؛ ولذلك كانوا خير الناس في هذه الأمة أجمعين. وقد شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين؛ فقال: «خير أمتي – وفي

١- [آل عمران: ١٠٢].

٢- [النساء: ١].

٣- [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

لفظ: خير الناس -: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١].

والكلام عن فضلهم طويل، قد أُفردت له كتب ومصنفات.، ورسائل ومؤلفات.

وقد ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم، وثناء رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[٢]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه، وليس كذلك جميع من رآه، ولا جميع من آمن به؛ فالصحابة ليسوا جميعًا في منزلة واحدة من الدين والإيمان، والفضل والتقدم؛ فالله قد فضَّل بعض النبيين على بعض، وكذلك سائر المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وقال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[٣].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٢٦٥١)، ومسلم (رقم/ ٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين.

٢- [الفتح: ٢٩].

٣- [التوبة: ١٠٠].

وقد اختلف السلف في المراد بالسابقين الأولين المذكورين في الآية:

فقال بعضهم: هم الذين صلوا إلى القبلتين.

وقال آخرون: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان[١].

ومما يدل على مسألة المفاضلة بين الصحابة: قول عبد الله بن عمر: «كنَّا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ، لا نفاضل بينهم»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر - في معرض كلامه على هذا الأثر -: «وقد تقرَّر عند أهل السنة قاطبة تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، وتقديم أهل بدر على من لم يشهدها، وغير ذلك»[٣].

فالشاهد من هذه النقولات: أن الصحابة أنفسهم على درجات متفاوتة من الفضل والخير، وأعلاهم مرتبة في ذلك: الخلفاء الأربعة الراشدون المهديون: أبو بكر الصِّديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

١- انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٦٣٧- ٦٤٠)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢- ٨).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٥٥).

٣- «فتح الباري» (٧/ ٥٨).

وقد اتفق أهل السنة على تفضيل الإمام الأكبر والخليفة الأول بعد رسول الله ﷺ، أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، وقد تميَّز الصِّديق بخصائص لم يُشرك فيها أحد من هذه الأمة؛ فالصِّديق رضي الله عنه أفضل الصحابة، بل أفضل هذه الأمة على الإطلاق بعد نبيها؛ لأنه جاءت في حقه أحاديث صحيحة صريحة لم يشركه فيها غيره من الصحابة وتميَّز بها؛ كثبوت الخلة لأبي بكر رضي الله عنه لو كان للنبي ﷺ خليل، وكذلك أمره ﷺ لأبي بكر أن يصلي بالناس مدة مرضه، وكذلك تأميره له على الحج سنة تسع من الهجرة.

بينما غيره من الصحابة وردت في فضله أحاديث هي مشتركة بينه وبين غيره.

ويحسن بنا أن نبدأ هذا الكتاب بأثرٍ جاء بسندٍ صحيح وعلى لسان عليٍّ رضي الله عنه نفسه، وفيه ذكر فضائل الشيخين ومنزلتهما في الإسلام؛ فالمسألة قد حكم فيها صاحب الشأن، وفيه أن مسألة التفضيل لها جذور تاريخية قديمة، وأنها ليست مجرَّد تفضيلٍ؛ بل تُستخدم من بعض أهل الأهواء للطعن في شيخي الصحابة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فعن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما، قال: فدخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلت له: يا

أمير المؤمنين إني مررت آنفًا بنفر من أصحابك وهم يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له من الأمر أهل، ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما بمثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك، فقال علي: أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله ﷺ وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما، ثم نهض دامعًا عيناه يبكي قابضًا على يدي حتى دخل المسجد، وصعد المنبر فجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته ينظر فيها - وهي بيضاء - حتى اجتمع له الناس، ثم قام فتشهد بخطبة بليغة موجزة، ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش، وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه وعما يقولون بريء وعلى ما يقولون معاقب، أما والذي فَلَق الحبة وَبَرَأ النسمة، إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء؛ صحبا رسول الله ﷺ على الوفاء والصدق، يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان، ولا يجاوزان رأي رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى مثل رأيهما رأيًا، ولا يحب كحبهما أحدًا، مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راضٍ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله ﷺ أبا بكر على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولاه المؤمنون ذلك، ثم أعطوه البيعة

طائعين غير كارهين، أنا أول من سنَّ ذلك من بني عبد المطلب، وهو لذلك كاره، يود لو أن أحدنا كفاه ذلك، كان والله خير من بقي وأرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأبينه ورعًا وأقدمه سنًا وإسلامًا، شبَّهه رسول الله ﷺ بميكائيل رحمة، وبإبراهيم عفوًا ووقارًا، فسار بنا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه، ثم ولي الأمر بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستأمر المسلمين في ذلك، فمنهم من رضي ومنهم من كره فكنت فيمن رضي، فلم يفارق الدنيا حتى رضي من كان كرهه وأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كاتباع الفصيل أثر أمه، كان والله رفيقًا رحيمًا بالضعفاء والمؤمنين، عونًا وناصرًا للمظلومين على الظالمين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه حتى إن كنا لنظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعزَّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة، شبَّهه رسول الله ﷺ بجبريل: فظًا غليظًا على الأعداء، وبنوح: حنقًا مغتاظًا على الكفار، الضراءُ في طاعة الله آثَرُ عنده من السراء في معصية الله. من لكم بمثلهما رحمة الله عليهما، ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما، والحب لهما، فمن أحبني فليحبهما

ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء، ولو كنت تقدَّمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، إنه لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أتيت به يقول هذا بعد اليوم فإن عليه ما على المفتري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصِّديق وعمر الفاروق، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولي هذا ويغفر الله لي ولكم[1].

لهذه الأسباب وغيرها؛ انتهضت للكتابة في سيرة الصِّديق رضي الله عنه، وجاء البحث كالتالي:

١- [إسناده صحيح]: أخرجه أبو إسحاق الفزاري في «السير» (ص/ ٣٢٧)، وأورده كاملًا ابن قدامة في «منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين» (ص/ ٧٥- ٧٧)، وأورده بألفاظ مقاربة خيثمة بن سليمان في «حديثه» (ص/ ١٢٢- ١٢٤)، والتيمي في «سير السلف» (ص/ ١٦٢- ١٦٣)، وأورده مختصرًا ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٦٦١)، وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٣/ ٢٢- ٢٣). وانظر في ثناء علي على عمر رضي الله عنهما بعد موته: «محض الصواب» لابن عبد الهادي (٣/ ٨٥٤).

وانظر: «فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه»، لابن تيمية، ت: د/ عبد العزيز بن محمد الفريح، (١٣/ ١٢٤٢)، الناشر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة.

ونسأل الله أن يتقبله بقبول حسن، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج العمل في الأبحاث

لا ريب أنَّ نزول ميدانٍ كميدان السِّيرَ والأخبار والمغازي يعجُّ بمئات المرويات، والتي لم تلتئم على بعضها، أو تَأْرِز إلى مكانٍ واحدٍ يجمعها، بل آثرت الفرقة، وعزَّت معظم الروايات المقبولة بنفسها، فضنَّت بما فيها على كل باحثٍ عجول، أو قارئٍ يكتفي بالمشهور، وإنما اختارت أن تبقى بمنأى يحُوج طالبها إلى صبر لاستخراجها، وسعيٍ حثيثٍ للوصول إليها، أضف إلى ذلك كثرة المؤلَّفات في هذا الباب؛ كل هذا لا يجعل المهمة سهلةً ميسورة، إلا بتأنٍّ وتتبُّعٍ، بعد عون الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد حاولنا -قدر الاستطاعة- أن نتخيرَّ خُطة عمل تحُكم الأبحاث، وتخُرجها أقرب ما تكون إلى الدِّقة التي يرجوها كلُّ منصفٍ وباحثٍ عن الحق؛ فاهتدينا إلى ما يلي:

أولاً: جعلنا كتاب: (تاريخ الطبري) أصلاً لمادة هذا البحث، يُضاف إليه ويجُمع عليه ما يحُتاج إليه من تتماَّت وزيادات لإكمال مشهد، أو تفصيل مجُمَل، أو إزالة شُبهة وإشكال.

وسبب اختيارنا له: ما تمتَّع به صاحبه من سيرةٍ حسنةٍ، وعدالةٍ مشتهرةٍ، إضافةً إلى شموليته في كثيرٍ من الأحداث، فقد استوعب كثيراً مما كُتب قبله، فصار عمدةً لكل من جاء بعده[1]، حتى أنَّ **أبا الحسن ابن الأثير** (ت: ٦٣٠هـ) حينما أراد أن يُصنِّف كتابه في التاريخ؛ جعل كتاب الطبري أصلاً لكتابه، بل في بعض الأحداث -كالفتنة التي وقعت بين الصحابة اكتفى بكلام الطبري، ولم يُضف عليه شيئا!

يقول -رحمه الله-: «وقد جمعتُ في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتابٍ واحد، ومن تأمَّله علم صحة ذلك.

فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنَّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوَّل عند الكافَّة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذتُ ما فيه من جميع تراجمه، لم أخلَّ بترجمةٍ واحدةٍ منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث رواياتٍ ذواتِ عدد، كل رواية منها مثل التي قبلها، أو أقلّ منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدتُ أتمَّ الروايات فنقلتها، وأضفتُ إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعتُ كلَّ شيءٍ مكانه، فجاء

---

(١) انظر عن كتاب الطبري ومنهجه فيه وما تميَّز به: موارد تاريخ الطبري للدكتور علي جواد، منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري لمحمد بن صامل السلمي (ص: ٤٤٠- ٤٥١).

جميع ما في تلك الحادثة -على اختلاف طرقها- سياقاً واحداً على ما تراه.

فلما فرغتُ منه: أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتُها، وأضفتُ منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعت كلَّ شيء منها موضعه، إلا ما يتعلَّق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ فإني لم أُضفْ إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً؛ إلاَّ ما فيه زيادة بيانٍ، أو اسم إنسانٍ، أو ما لا يُطعن على أحد منهم في نقله، **وإنما اعتمدتُ عليه من بين المؤرِّخين إذ هو الإمام المُتقنُ حقّاً، الجامعُ علماً وصحةَ اعتقادٍ وصدقاً.**

على أنيِّ لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحَّة ما دوَّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي»[(١)].

قُلنا: وقريبٌ من منهج ابن الأثير، اخترنا لهذه الأبحاث أن تسير، فجعلنا كتاب الطبري أصلاً، لكن مع تعديل وتغيير.

فالطبريُّ يورد الأحداث مرتَّبة على السنين، وهذا لم نلتزم به، وإنما وضعنا كُل حادثة في مكانها الذي نراه لائقاً، وفق ترتيب كل بحث.

فبعض الأحداث تُنقل من نسقها عند الطبري لتُوضع في فصل خاص

---

(١) الكامل في التاريخ (١/ ٦- ٧).

بالفضائل، أو الشبهات، أو غير ذلك، بحسب ما نرى الحدث ملائماً لمكانه في ترتيب البحث الذي يختاره الباحث.

أيضاً: اختار الطبريُّ لنفسه أن يُورد الرواياتِ التي يختارها في الحدث بسندها إلى قائلها وناقلها، تاركاً مسألة الحكم على الإسناد للقارئ والباحث من بعده، محُذِّراً أن يحُمِّله أحدٌ نكارة رواية، أو بشاعة نقل؛ فقال: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنَّا إنَّما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»[1].

وعلى هذا فروايات الطبري جامعة بين الغثِّ والسَّمين، والصَّحيح والسَّقيم، وهنا يتحتَّم علينا أن نبينِّ الفرق بين هذه المرويَّات، وما يصلح للاحتجاج وما لا يصلح إلا أن يكون في الموضوعات، ولكن لما كان التبيين لصحة كلِّ ما ذُكر، وإظهار علَّة كلِّ خبر، مما يطول به حجم الكتب والأبحاث، ولربما بعث الملل في نفس القارئ والباحث لشبهته عن جواب؛ فقد آثرنا أن نقنِّن الأمر كما يلي في:

(١) تاريخ الطبري (١/ ٨).

ثانياً: قمنا باستخراج جميع المرويات التي ورد فيها ذكر الشخصية صاحبة البحث (أبوبكر، عمر، عثمان، علي، معاوية) في الكتاب، سواءٌ في خلافته أم قبلها، وما صحَّ منها أدرجناه في البحث في موطنه اللائق به وفق ترتيب الأحداث -الذي يذكره كل باحث في مُقدِّمة بحثه-، وأمَّا ما لم يصح من هذه المرويات فهو على قسمين:

- **القسم الأول**: احتِيج إليه لاستكمال صورة الأحداث، ووصل الحلقات ببعضها البعض، فمثل هذا لا مفرَّ من إيراده، وهو عين ما فعله الطبريُّ حينما أورد الأخبار الضعيفة في ثنايا كلامه عن بعض الأحداث، وإن كان الطبريُّ أحال القارئ على السَّند؛ فإننا لن نوقعه في ذلك العَنَت، بل سنبيِّنُ -إن شاء الله- عند كل روايةٍ ضعيفةٍ أوردناها ضعفها، وسبب وهائها، فثقافة النظر في الأسانيد قبل قبول المتن؛ لم تعد منتشرةً بين أبناء هذا الزمان، كما كانت منتشرةً في زمان الطبري، الذي تعامل معهم من هذا المنطلق، فأحالهم على الإسناد.

وهذا القسم يتميز عن لاحقه بأنَّ ضعفه ليس شديداً، ونكارته ليست ظاهرة.

- **القسم الثاني:** لم نجد ثمَّ احتياجٌ لإيراده، خاصة مع نكارة متنه، بل في بعضها ما يكون ذكره مُحْدثاً فتنةً لعقول وقلوب بعض القارئين، فمثل هذه الروايات ضربنا صفحاً عن ذكرها، رغبةً في إماتتها، وإخمال نشرها، وهذا الفعل مِنَّا قد سبق إليه الطبريُّ، فمع ما أورد في كتابه من ضعيفٍ وموضوعٍ، ومع أنه أسند كلَّ قولٍ إلى قائله؛ إلاَّ أنَّه أعرض عن ذكر بعض الأخبار، رغم استحضاره لها، وتمكُّنه من عزوها لقائلها وإسنادها؛ وذلك لأنَّه رأى أن فيما ذكر كفاية، وأيضاً: حفاظاً على عقول وقلوب العامة.

قال الطبريُّ: «وذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني، أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فذكر مكاتبات جرت بينهما **كرهتُ ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة**»[(١)].

فانظر كيف أَعْرضَ الطبريُّ عن ذكر بعض الروايات، لما رأى أنها لا تضيف جديداً، وأنهَّا قد تتسبَّب في فتنة بعض العامة في زمانه، فكيف لو ذُكرت لأهل زماننا؟!

ومن هنا: أعرضنا عن ذكر بعض هذه الروايات لاجتماع الشرَّيْن فيها:

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٧).

ضعف الإسناد من جهة، ونكارة المتن التي لا تُتحمَّل من جهة أخرى، وإن كان الطبريُّ رأى تحمُّلها في زمانه.

والذي ينبغي أن يطمئنَ إليه القارئ، وهو ما التزمناه -بحمد الله- أثناء هذه الأبحاث؛ أنَّا لا ندع روايةً صحيحةً من كتاب الطبريِّ، وفيها ذكرٌ لصاحب البحث تندُّ عن هذا الكتاب، ونحسب تلك كافيةً للمُنْصِف -إن شاء الله-.

ثالثاً: لم نكتفِ بما ورد في تاريخ الطبري فقط، إذ كان هناك بعض الأحداث تستلزم توسُّعاً للتوضيح والتكميل، فهنا نُضيف ما نراه نافعاً من التواريخ الأخرى وكتب التراجم والطبقات، كتاريخ ابن عساكر، وتاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي، وطبقات ابن سعد، وغير ذلك.

رابعاً: لم نتوسَّع في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الأبحاث، لأن هذا مما يطول به حجم الكتاب، فاقتصرنا على ذكر أهمِّ المصادر، إلا إذا قام داعٍ لغير ذلك.

خامساً: حكمنا على كل إسناد بما نُراه له مستحقَّاً، صحةً أو ضعفاً، وإن نزل الحديث أو الأثر عن الصحة؛ بيَّنَّا سبب ذلك، وِفق قواعد أهل

الحديث المبثوثة في كتبهم، والمعلومة من خلال تطبيقاتهم وعملهم.

ولعله من المفيد هنا أن نذكِّر بشيءٍ من منهجهم في التعامل مع هؤلاء الرواة الأخباريين، ونقلة السير والمغازي المشهورين، حتى لا يظنَّ أحدٌ أننا ابتعدنا عن منهجهم، أو تساهلنا في تطبيق قواعدهم.

فنقول: إنَّ الرواة هم عمود الإسناد، وأصله وسلسلته الفقرية التي لا قَوَام له إلا بها، فكلَّما قوي أمرهم؛ قوي الإسنادُ وصار صلباً في ميدان الاحتجاج والاستشهاد، والعكس أيضا.

لكنْ: ثمَّ رواة عُرف عنهم التخصص في باب من الأبواب، مع ضعفهم في غيره، فمثلا: حفص بن سليمان الكوفي المقرئ، يقول عنه الحافظ ابن حجر: «متروك الحديث، مع إمامته في القراءة»[1] فقد انتشرت روايته للقرآن في الآفاق، ولم يقبل منه العلماء حديثاً واحداً، ولم يشفع له إتقانه للقرآن في قبول الحديث، ولم يردَّ ضعفه في الحديث إتقانه للقراءات، وهذا من الإنصاف.

ومن هذا الباب أيضاً: رواة المغازي والأخبار، فكثيرٌ منهم يحُتاج إليه في هذا الفن، مع كونه غيرَ مقبولٍ عند العلماء في نقل الأحاديث، ولا

---

(١) تقريب التهذيب (١٤٠٥).

يعتبرون بأحاديثه!

ويمكننا أن نلحظ بوضوح هذا التفريق والتساهل في تصرُّف أحد المشتغلين بعلوم السنة، وعلامة من علاماتها في زمانه؛ وهو: الحافظ ابن حجر، وذلك من خلال جمعه بين الروايات في كتابه: فتح الباري.

فإنه في الوقت الذي يقرر فيه ردَّ رواية محمد بن إسحاق إذا عنعن ولم يُصرِّح بالتحديث، وردِّ أحاديث الواقدي لأنه متروكٌ عند علماء الجرح والتعديل، فضلاً عن غيرهما من الأخباريين الذين ليس لهم رواية في كتب السنة، كأبي الحسن المدائني وعوانة؛ فإنه يستشهد برواياتهم، ويستدلُّ بها على بعض التفصيلات، ويحاول الجمع بينها وبين الروايات الأخرى التي هي أوثق إسناداً! وهذا دليلٌ على قبوله أخبارهم فيما تخصَّصوا فيه من العناية بالأخبار والسير، وهذا هو المنهج الذي نسير عليه هنا.

وفيما يلي بعض النماذج لرواة تُكلِّم في روايتهم للحديث، ومع ذلك لم تهُدر أقوالهم في باب الأخبار والسير، لعنايتهم وتخصصهم في هذا الباب، ثم نُتبع ذلك ببعض النماذج العملية من تصرفات العلماء مع مروياتهم في أبواب المغازي والسير.

أولاً: من نماذج الرواة:

- محمد بن عمر الواقدي:

اتَّفق علماء الجرح والتعديل على ضعفه، كما نقل ذلك النوويُّ[١]، وقال الذهبيُّ: «استقر الإجماع على وهن الواقدي»[٢]، ومع ذا: نجد ثناء من البعض على علمه بالمغازي والسير خاصة، قال عنه تلميذه محمد بن سعد: «كان عالماً بالمغازي، والسيرة، والفتوح»، وقال عنه الخطيبُ البغداديُّ: «سارتْ الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي، والسير، والطبقات، وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته، وبعد وفاته ﷺ»[٣].

وقال عنه الذهبيُّ: «كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار، والسير، والمغازي، والحوادث، وأيام الناس، والفقه، وغير ذلك»[٤].

وقال في موطن آخر: «وقد تقرَّر أنَّ الواقديَّ ضعيفٌ، يحُتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونُورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض، فلا ينبغي أن يُذكر»[٥].

(١) المجموع شرح المهذب (١/ ١١٤، ٥/ ١٢٩).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٦).
(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٣- ٣٦٨).
(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩).

وقال عنه الحافظ ابن كثير: «الواقدي عنده زياداتٌ حسنةٌ، وتاريخٌ محرَّرٌ غالباً; فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوقٌ في نفسه مكثار»[١].

وقد استوعب الكلام على عدالة الواقدي ابنُ سيد الناس، ثم قال في معرض الدفاع عنه: «سعة العلم مظنَّةٌ لكثرة الأغراب، وكثرة الأغراب مظنَّةٌ للتهمة، والواقدي غير مدفوعٍ عن سعة العلم، فكثرت بذلك غرائبه»[٢].

وقال أيضاً: «وقد رُوِّينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع، وسؤاله من أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم عن أحوال سلفهم؛ ما يقتضي انفراداً برواياتٍ وأخبار لا تدخل تحت الحصر»[٣].

والذي يظهر من مجموع كلام النقَّاد في الواقدي قبول رواياته في الأخبار والسير، ولكن لا يُعارض بها الروايات الصحيحة، والله أعلم[٤].

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٥٨٠).
(٢) عيون الأثر (١/ ٢٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٥).
(٤) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لمحمد بن صامل السلمي (ص: ٣٥٦).

- سيف بن عمر التميمي:

نقل الحافظ ابن حجر في ترجمته تضعيفَ العلماء له، وتشبيه بعضهم له -كأبي حاتم الرازي- بالواقدي»[1]، ولما أراد الحافظ أن يُصدر عليه حكماً كلِّياً قال: «ضعيف الحديث، عمدةٌ في التاريخ»[2].

وقد اعتمده الطبريُّ في أخبار الفتوح، وذكر رواياته في الفتنة، وقد أكثر عنه بهذا الإسناد: «كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر»، أو: «حدثني السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر»، ومجموع مروياته في تاريخ الطبري: مئتين وستٍّ وستِّين رواية[3].

- أبو الحسن علي بن محمد المدائني:

تُرجم له في كُتب الضعفاء[4]، وقال عنه ابن عدي: «ليس بالقوي في الحديث، وأقلَّ ما له من الروايات المسنَدة»[5]، ومع ذلك: نجد الطبريَّ

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥).
(٢) تقريب التهذيب (٢٧٢٤).
(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامي (ص: ٤٦٧).
(٤) انظر: الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٦٣)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣)، ديوان الضعفاء (٢٩٦١)، لسان الميزان (٦/ ١٣).
(٥) الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٦٣- ٣٦٤).

يقول عنه: «كان عالماً بأيام الناس، صدوقاً في ذلك»[١]. وكذلك أكثر عنه في تاريخه، وغالب رواياته من طريق عمر بن شبة، وبعضها أخذه من كتبه مباشرة.

وقال عنه الخطيب البغدادي: «وكان عالماً بأيام الناس، وأخبار العرب وأنسابهم، عالماً بالفتوح والمغازي ورواية الشعر، صدوقاً فِي ذلك»[٢].

وقال أبو العباس أَحمد بن يحيى النحوي: «من أراد أخبار الجاهلية فعليه بكتب أَبِي عبيدة، ومن أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني»[٣].

- أبو مِخنف لوط بن يحيى:

ضعَّفه عامة أهل الجرح والتعديل[٤]، وقال عنه الذهبيُّ: «أخباريٌّ تالفٌ، لا يُوثقُ به»[٥]، ثم قال عنه في موطن آخر: «صاحب تصانيف وتواريخ،....، وهو من بابة سيف بن عمر التميمي صاحب «الردَّة»، وعبد الله بن عياش المنتوف، وعوانة بن الحكم»[٦].

(١) لسان الميزان (٦/ ١٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٥٥).
(٣) المصدر السابق.
(٤) الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٤٤٩)، لسان الميزان (٦/ ٤٣٠).
(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٢).

- محمد بن إسحاق بن يسار المدني:

قال عنه الدارقطني: «لا يُحتجُّ به، وإنما يُعتبر به»[١].

وقال عنه الذهبي: «كان في العلم بحراً عجَّاجاً، لكنه ليس بالمجوِّد كما ينبغي»[٢]، وقال: «قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحدٍ من العلماء»[٣].

ومع هذا فهو يثني عليه في علم المغازي والسير؛ فيقول: «قد كان في المغازي علاَّمةً»[٤].

وقال أيضاً عنه: «له ارتفاعٌ بحسبه، ولا سيَّما في السير، وأما في أحاديث الأحكام: فينحطُّ حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذَّ فيه، فإنه يُعدُّ مُنكَراً، هذا الذي عندي في حاله، والله أعلم»[٥].

وقد سبقه إلى ذلك: الإمام أحمد، حيث قال -وذكر محمد بن إسحاق-: «أما في المغازي وأشباهه: فيكتب، وأما في الحلال والحرام: فيحتاج إلى

(١) سؤالات البرقاني (٤٢٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٥).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٩).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٧).
(٥) المصدر السابق (٧/ ٤١).

مثل هذا، ومدَّ يده وضم أصابعه»[١].

وقال العباس بن محمد: سمعتُ أحمد بن حنبل، وقيل، له: ما تقول في موسى بن عبيدة؟ وفي محمد بن إسحاق؟ فقال: «أما محمد بن إسحاق: فهو رجل يكتب هذه الأحاديث، كأنه يعني المغازي وما أشبهها، أما موسى بن عُبيدة: فلم يكن به بأس»[٢].

وقال الشافعيُّ: «من أراد أن يتبحَّر في المغازي؛ فهو عيال على محمد بن إسحاق»[٣].

إذن بعد هذا: كيف يُتعامل مع هذا الصنف من الرواة؟

لا شكَّ أن انفرادهم برواية حديث، أو واقعة يُستفاد منها تشريعٌ، أو حُكمٌ عقديٌّ، أو تحمل طعناً في أحدٍ ممن ثبتت عدالتهم بيقين؛ لا يقبله من لديه مسحةٌ من علم بأصول القبول والرد، هذا لا يُنازَعُ فيه.

أمَّا ما نقلوه من أخبارٍ، تحمل بعض التفاصيل التي لا تتعرَّضُ لشيءٍ مما ذُكر، وإنما يكون فيها زيادةٌ لا تضر، وتفاصيل قد تساعد على تصوُّرٍ أقرب لما كانت عليه الأحداث؛ فهذا لا بأس بإيراده، وعلى هذا يُحمل

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ١٩٣).
(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/ ٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦).

قول من قَبِل كلامهم من العلماء في أبواب المغازي والسير.

ولذا فإذا ما مرَّ بك عزيزي القارئ أثرٌ، ووجدت الحكم بضعف الإسناد مُصدَّراً عليه، وسبب ذلك وجود أحد هؤلاء؛ فتذكَّرْ تلك القاعدة التي تقدَّمت، وهي: أنَّ حالهم في نقل هذه الأخبار، مما لا يترتب عليه شيء من أحكام العقائد والتشريعات؛ مما يُتساهل فيه.

وهذه قاعدةٌ وضعها أحدُ أئمَّة الحديث في زمانه، عبدُ الرحمن بن مهدي، حينما قال: «إذا رُوِّينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام، والأحكام؛ شدَّدنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال، وإذا رُوِّينا في فضائل الأعمال، والثواب والعقاب، والمباحات والدعوات؛ تساهلنا في الأسانيد»[(١)].

فاجعل هذا الأمر منك على ذكر.

وفيما يلي بعض النماذج العمليَّة من تصرفات العلماء مع مرويَّاتهم في هذا الباب:

- صنيع **البخاريِّ** في صحيحه مع راوٍ كمحمد بن إسحاق، حيث لم يعتمده كرجلٍ من رجاله في الأحاديث، لكنه علَّق عنه في أبواب المغازي

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٦)، وفي المدخل إلى الإكليل (ص: ٢٩)، والخطيب في الجامع (١٢٦٧).

كثيراً، من ذلك قوله: «قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ: الأبواء، ثم بُواط، ثم العُشيرة»[(١)].

وقوله: «قال ابن إسحاق: سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً، خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتالٌ، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف»[(٢)].

وقوله: «باب غزوة بني المصطلق، من خزاعة، وهي غزوة المريسيع، قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست»[(٣)].

- ونجد **الطبريَّ** في كتابه التاريخ أكثر عن مثل هؤلاء الأخباريين المذكورين، بينما في كتابٍ له كتهذيب الآثـار، عُني فيه بالأحاديث والاحتجاج بها؛ لا نجدُ ذكراً لهم!

- كذلك **الحافظ ابن حجر** اعتبر بروايات هؤلاء الأخباريين في شرحه لصحيح البخاري، ومن ذلك:

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٧١).

(٢) صحيح البخاري (٤١٢٧).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١١٥).

أنَّه في أول كتاب المغازي[١] ذكر عدد غزوات الرسول ﷺ، وعدد بعوثه وسراياه، وعدد الغزوات التي وقع فيها قتال، فاستشهد بأقوال أهل السير؛ مثل: محمد بن إسحاق، والواقدي، ومحمد بن سعد، وذَكَر خلافهم، وجمع بين أقوالهم وأقوال من هم أوثق منهم من رواة الصحيح، وفعل مثل هذا عند حديثه عن عدد أهل بدر[٢].

وفي قصة مقتل أبي جهل يوم بدر، جعل الحافظ رواية ابن إسحاق جامعة بين الروايات، رغم مخالفتها لما في الصحيح[٣]!

كذلك في قصة بني النضير ومتى كان حصارُهم، ذكر ابنُ إسحاق أنها كانت بعد أحدٍ، وبعد استشهاد القرَّاء في بئر معونة، بينما نجد البخاري ينقل في الصحيح عن عروة أنها كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، أي: قبل أحد، وقد مال الحافظ ابن حجر إلى ترجيح رواية ابن إسحاق رغم إيراده سبباً للغزوة غير ما ذكر ابن إسحاق[٤]!

(١) فتح الباري (٧/ ٢٧٩).
(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٩١).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٩٦).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٣١).

وكل هذا الصنيع منهم، ومن غيرهم، يؤكِّد لنا على صحَّة ما قدَّمناه، من التفريق بين رواياتهم للأحاديث المرفوعة، وكذلك ما يُستفادُ منه حكمٌ شرعيٌ، أو تأصيلٌ عقديٌّ، أو طعنٌ فيمن ثبتت عدالتهم، وبين الأخبار العامة، وتفاصيل السير المجملة، التي لا تمسُّ شيئاً مما سبق. والله أعلم.



الفصل الأول

أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه قبل الخلافة

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وفضائله وأسرته وحياته في الجاهلية[١].

اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو خليفة رسول الله ﷺ، ومؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم، أفضل الأمة، وسيد المهاجرين وخيرهم، وسابق الصحابة وشيخهم، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[٢]، ويلتقي مع النبي ﷺ في النسب في الجدِّ السادس مرة بن كعب[٣]، ويكنى بأبي بكر، وهي من البكر وهو الفتي من الإبل، والجمع بكارة وأبكر، وقد سمت العرب بكرًا، وهو أبو قبيلة عظيمة[٤].

١- استفدت كثيرًا من: سيرة أبي بكر الصديق للدكتور علي الصلابي (ص/ ١٧ وما بعدها) طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية (٢٠٠٢ م).

٢- انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ١٤٤- ١٤٥).

٣- انظر: «سيرة وحياة الصديق» لمجدي فتحي السيد (ص/ ٢٧).

٤- انظر: «أبو بكر الصديق» لعلي الطنطاوي (ص/ ٤٦).

ولُقِّب أبو بكر رضي الله عنه بألقاب عديدة، كلها تدل على سمو المكانة، وعلو المنزلة وشرف الحسب، منها:

١- العَتِيق:

لقَّبه به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال له: «أنت عتيق الله من النار»[١]، فسُمي عتيقًا. وفي رواية عائشة قالت: دخل أبو بكر الصِّديق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله: «أبشر، فأنت عتيق الله من النار»[٢]، فمن يومئذ سُمي عتيقًا.

وقد ذكر المؤرخون أسبابًا كثيرة لهذا اللقب:

فقد قيل: إنما سُمي عتيقًا لجمال وجهه[٣].

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن حبان (رقم/ ٦٨٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ٩٩)، والبزار (رقم/ ٢٢١٣)، والضياء في «المختارة» (٩/ ٣٠٧) من حديث عبد الله بن الزبير، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٠): «رجاله ثقات»، وضعفه جدًا أبو حاتم الرازي في «العلل» لابنه (رقم/ ٢٦٦٨)، فقال: «هذا حديث باطل».

٢- [صححه الألباني]: أخرجه الترمذي (رقم/ ٣٦٧٩)، والحاكم (٢/ ٤٥٠)، واستغربه الترمذي، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي، وصححه الألباني.

٣- انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٥٢).

وقيل: لأنه كان قديمًا في الخير[١].

وقيل: سُمي عتيقًا لعتاقة وجهه[٢].

وقيل: إن أمَّ أبي بكر كان لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة، وقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت، فهبه لي[٣].

ولا مانع للجمع بين بعض هذه الأقوال؛ فأبو بكر جميل الوجه، حسن النسب، صاحب يد سابقة إلى الخير، وهو عتيق الله من النار بفضل بشارة النبي ﷺ له[٤].

١- انظر: «الإصابة» (١/ ١٤٦).

٢- انظر: «المعجم الكبير» (١ / ٥٣)، و«الإصابة» (١ / ١٤٦).

٣- انظر: «الكنى والأسماء» للدولابي (١ / ٦).

٤- انظر: «تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» للدكتور يسري محمد هاني (ص/ ٣٦).

٢- الصِّديق :

لقبه به النبي ﷺ؛ ففي حديث أنس ﵁ أنه قال: إن النبي ﷺ صعد أُحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم فقال: «اثبت أُحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان»[١].

وقد لُقِّب بالصِّديق لكثرة تصديقه للنبي ﷺ، وفي هذا تروي أمُّ المؤمنين عائشة ﵂، فتقول: لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أن أُسري به الليلة إلى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك؛ فقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة؛ فلذلك سُمي أبو بكر: الصِّديق[٢].

وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصِّديق؛ لأنه بادر إلى تصديق

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٧٥).

٢- [صحيح]: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢-٦٣)، وصححه، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ٣٠٦).

الرسول ﷺ، ولازمه الصدق فلم تقع منه هناة أبدًا [١]، فقد اتصف بهذا اللقب ومدحه الشعراء، قال أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقا وكل مهاجر	سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله	وكنت جليسا في العريش المشهر [٢]

وأنشد الأصمعي [٣]، فقال:

ولكني أحب بكل قلبي	وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا	به أرجو غدا حسن الثواب [٤]

٣- الصَّاحب:

لقَّبه به الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٥].

١- انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٧٢).

٢- انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٣١٠).

٣- هو عبد الملك بن قريب الباهلي، راوية العرب ونابغة الدنيا في الحفظ.

٤- انظر: «أبو بكر الصديق» للطنطاوي (ص/ ٤٩).

٥- [التوبة: ٤٠].

وقد أجمع العلماء على أن الصاحب المقصود هنا هو أبو بكر رضي الله عنه[١]، فعن أنس أن أبا بكر حدَّثه فقال: قلت للنبي ﷺ وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه! فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٣]، فإن المراد بصاحبه هنا أبو بكر بلا منازع[٤].

١- انظر: «تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء» للدكتور يسري محمد هاني (ص/ ٣٩).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٥٣).

٣- [التوبة: ٤٠].

٤- «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤ / ١٤٨).

٤- الأَتْقَى :

لقَّبه به الله عز وجل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾[١]، قال البغوي: يعني أبا بكر الصِّديق في قول الجميع[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما الصِّديق، فقد قال الله فيه وفي مثله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[٣]، وقد ثبت في الصحاح[٤] عنه أنه قال ﷺ: «إن أمنَّ الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»، فلم يكن في الصحابة أعظم منه من الصِّديق في نفسه وماله. وكان أبو بكر يعمل هذا ابتغاء وجه ربه الأعلى لا يطلب جزاء من مخلوق، فقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾، فلم يكن لأحد عند الصِّديق نعمة تجزى؛ فإنه كان مستغنيًا بكسبه وماله عن كل أحدٍ،

١- [الليل: ١٧].

٢- «معالم التنزيل» (٨/ ٤٤٨).

٣- [الليل: ١٧- ٢١].

٤- «صحيح البخاري» (رقم/ ٤٦٦)، و«صحيح مسلم» (رقم/ ٦٨٦).

والنبي ﷺ كان له على الصِّديق وغيره نعمة الإيمان والعلم وتلك النعمة لا تُجزى؛ فإن أجر الرسول فيها على الله كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] [٢].

١- [الشعراء: ١٠٩].

٢- «مجموع الفتاوى» (١/ ١٨٦- ١٨٧).

٥- الأوّاه :

لُـقِّب أبو بكر بالأوَّاه، وهو لقب يدل على الخوف والوجل والخشية من الله تعالى؛ فعن أبي سريحة قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول على المنبر ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب. ألا إن عمر ناصح الله فنصحه(١).

عن إبراهيم النخعي، قال: كان أبو بكر يسمى بـالأواه لرأفته ورحمته(٢).

٦- سيد الصحابة :

فأبو بكر رضي الله عنه هو خير الصحابة وإمامهم، وكانوا ينادونه بذلك، ومن ذلك حديث جابر، قال: قال عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا، يعني بلالا(٣).

ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه في يوم السقيفة: نبايعك أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

١- [صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ١٧١)، وابن أبي شيبة (رقم/ ٣١٩٩٧)، وعبد الله في «فضائل الصحابة» (١١٢) بأسانيد مختلفة عن علي به.
٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٤/ ٣٧٩).
٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧٥٤).
٤- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٦٤).

٧- خليفة رسول الله :

وهذا أمر متواتر في كتب السنة أن أبا بكر رضي الله عنه لما ولي إمارة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ كان الجميع يلقبونه بخليفة رسول الله.

❁ مولده وصفته الخلقية وفضائله:

لم يختلف العلماء في أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعد عام الفيل؛ فبعضهم قال بثلاث سنين، وبعضهم ذكر بأنه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا بسنتين وأشهر، ولم يحددوا عدد الأشهر[1].

وقد ولد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمنى في أطراف مكة[2].

وقد نشأ نشأةً كريمة طيبة في حضن أبوين لهما الكرامة والعز في قومهما؛ مما جعل أبا بكر ينشأ كريم النفس، عزيز المكانة في قومه[3].

وأما صفته الخِلقية؛ فقد كان يوصف بالبياض في اللون، والنحافة في البدن، وفي هذا يقول قيس بن أبي حازم: دخلت على أبي بكر، وكان رجلًا نحيفًا، خفيف اللحم أبيض[4].

١- انظر: «سيرة وحياة الصديق» لمجدي فتحي السيد (ص/ ٢٩)، و«تاريخ الخلفاء» (ص/ ٥٦).

٢- انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٤ / ٥٣).

٣- انظر: «تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين (ص/ ٣٠).

٤- [إسناده صحيح] أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٨).

وقد وصفه أصحاب السير من أفواه الرواة فقالوا: إن أبا بكر رضي الله عنه اتصف بأنه كان أبيض تخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفًا خفيف العارضين، أجنأ[١]، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه[٢] رقيقًا معروق الوجه[٣]، غائر العينين[٤]، أقنى[٥]، حمش الساقين[٦]، ممحوص الفخذين[٧]، كان ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع[٨]، ويخضب لحيته وشيبه بالحناء والكتم[٩].

أما عن صفاته الخلقية وخصائصه وفضائله فهي كثيرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما فضائل الصِّديق فكثيرة مستفيضة، وهذه الأحاديث كلها في الصحاح ثابتة عند أهل العلم بالنقل[١٠].

١- الجنأ: ميل في الظهر.

٢- حقويه: الحقو هو معقد الإزار، يعني: الخصر.

٣- المعروق: هو قليل اللحم.

٤- غائر العينين: دخلت في الرأس.

٥- أقنى واستقنى: حفظ حياءه ولزمه.

٦- حمش الساقين: دقيق الساقين.

٧- الممحوص: هو الشديد الخلق في الفخذين، مع قلة اللحم بهما.

٨- الأشاجع: هو مفاصل الأصابع.

٩- انظر: «صحيح البخاري» (رقم/ ٥٨٩٥)، و«صحيح مسلم» (رقم/ ٢٣٤١).

١٠- «المسائل والأجوبة (ص/ ٧٢- ٧٣) بتصرف.

ولعل من أشهر خصائصه سعة العلم ودقة الفهم والفطنة، وعمق الفهم وشمول الإدراك، كما اتضح ذلك من فهمه لإشارات النبي ﷺ عن قرب وفاته؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: «إن عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر، وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «إن من أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر، إلا خلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا صريح في أنه لم يكن عنده من أهل الأرض من يستحق المخالة لو كانت ممكنة من المخلوقين إلا أبا بكر، فعلم أنه لم يكن عنده أفضل منه ولا أحب إليه منه[2].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٠٤).

٢- «الفتاوى الكبرى» (٤ / ٤٤٢).

وقال أيضًا: هذا الحديث فيه ثلاث خصائص لم يشرك أبا بكر فيها غيره: قوله ﷺ: «إن أمنَّ الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر» بيَّن فيه أنه ليس لأحد من الصحابة عليه من حق في صحبته وماله مثل ما لأبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: قوله: «لا تبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر»، وهذا تخصيص له دون سائر الصحابة، وقد أراد بعض الكذابين أن يروي لعلي رضي الله عنه مثل ذلك، لكن الصحيح الثابت لا يعارض بالضعيف الموضوع.

الثالث: قوله: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»، فإنه نصَّ أنه لا أحد من البشر يستحق الخلة لو كانت ممكنة إلا أبا بكر، ولو كان غيره أفضل منه لكان أحق بالخلة لو كانت واقعة[1].

ومن فضائله أن النبي ﷺ أخبر عنه أنه خير الناس بعد الأنبياء؛ فعن أبي الدرداء قال: رآني رسول الله ﷺ أمشي أمام أبي بكر، فقال: «يا أبا الدرداء، أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة؟ ما طلعت الشمس، ولا

١- «فضل أبي بكر الصديق»، مجلة جامعة أم القرى (١٣ / ١٢٣٢).

غربت، على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر»[١].

وأثنى عليه النبي ﷺ، ووصفه بأنه أرحم الأمة؛ فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»[٢].

ويكفيه فضيلة وشرفًا أنه كان رفيق رسول الله في الغار وفيه نزلت هذه الآية ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣]، وعليه تكون الإشارة في هذه الآيات: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ

١- [غريب]: أخرجه عبد بن حميد (رقم/ ٢١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢٥)، وعبد الله في «فضائل الصحابة» (رقم/ ١٣٥)، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (رقم/ ٨٠)، واستغربه ابن شاهين وأبو نعيم.

٢- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٨٤)، والترمذي (رقم/ ٣٧٩٠)، وابن ماجه (رقم/ ١٥٤) من حديث أنس بن مالك، وصححه الترمذي وابن حبان (رقم/ ٧١٣١)، والحاكم (٣/ ٤٧٧)، والضياء في «المختارة» (٦/ ٢٢٦)، وأُعل بالإرسال، انظر: «الفصل للوصل المدرج» (٢/ ٦٧٦- ٦٨٧).

٣- [التوبة: ٤٠].

﴿مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان أعظم من آمن به أبو بكر الصِّديق مع كمال عقله وخلقه، ودينه في قومه، ومحبتهم له، وعلو قدره فيهم، أنفق ماله كله في سبيل الله حتى قال له النبي ﷺ: «ما تركت لأهلك»[2]؟ قال: تركت لهم الله ورسوله، ولم يعطه النبي ﷺ درهمًا واحدًا يخصه به[3].

وقال: وأفضل أولياء الله عندهم أكملهم متابعة للأنبياء؛ ولهذا كان الصِّديق أفضل الأولياء بعد النبيين، فما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر لكمال متابعته[4].

والحديث عن فضائل أبي بكر رضي الله عنه يطول، وسيأتي كثير منه في ثنايا أحداث سيرته[5].

١- [الليل: ١٧- ٢١].

٢- [صحيح]: أخرجه أبو داود (رقم/ ١٦٨٠)، والترمذي (رقم/ ٣٦٧٥) من حديث عمر بن الخطاب بلفظ: «ما أبقيت لأهلك؟»، وصححه الترمذي، والحاكم (١/ ٥٧٤)، والضياء في «المختارة» (١/ ١٧٣).

٣- «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦ / ٥٣).

٤- «الرد على المنطقيين» (ص/ ٥١٦)، وانظر: «الزهد والورع والعبادة» (ص/ ١٢٥)، و«الفرقان (ص/ ٩٢).

٥- انظر: إمام الأمة وقائدها أبو بكر د/ حامد محمد الخليفة (١/ ٢٣٧-٣٤١) دار الميمان الطبعة الأولى (٢٠١١ م).

❁ أسرته :

أما والده: فهو عثمان بن عامر بن عمرو، يكنى بأبي قحافة، أسلم يوم الفتح، وأقبل به الصِّديق على رسول الله ﷺ، فقال: «يا أبا بكر، هلا تركته حتى نأتيه»[١]، فقال أبو بكر: هو أولى أن يأتيك يا رسول الله. فأسلم أبو قحافة وبَايَع رسول الله[٢].

ويروى أن رسول الله ﷺ هنَّأ أبا بكر بإسلام أبيه[٣]، وقال لأبي بكر: «غيروا هذا من شعره»[٤]، فقد كان رأس أبي قحافة مثل الثغامة[٥].

وتوفي أبو قحافة بمكة في المحرم سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة بعد موت أبي بكر رضي الله عنه بستة أشهر وأيام[٦].

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٤٩) من حديث أسماء بنت أبي بكر، وصححه ابن حبان (رقم/ ٧٢٠٨)، والحاكم (٣/ ٤٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٤): «رجاله ثقات».

٢- انظر: «الإصابة» (٤ / ٣٧٥).

٣- انظر: «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (ص/ ٥٧٧).

٤- أخرجه مسلم (رقم/ ٢١٠٢) من حديث جابر بن عبد الله.

٥- انظر: «الإصابة» (٤ / ٣٧٥)، والثغامة: نبات يشبه به الشيب.

٦- انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤ / ١٩٣٤).

وأما والدة الصِّديق: فهي سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وكنيتها أم الخير، أسلمت مبكرًا، عن ابن عباس قال: أسلمت أم أبي بكر الصِّديق، وأم عثمان، وأم طلحة، وأم عمار بن ياسر، وأم عبد الرحمن بن عوف، وأم الزبير، وأسلم سعد وأمه في الحياة[١].

وأما زوجاته: فقد تزوَّج رضي الله عنه من أربع نسوة، أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث، وهن على التوالي:

١- قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك:

اختُلف في إسلامها[٢]، وهي والدة عبد الله وأسماء، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك»[٣].

٢- أم رومان بنت عامر بن عويمر:

من بني كنانة بن خزيمة، مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة بمكة،

١- أخرجه الحاكم (٣/ ٤١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٥٢)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١).

٢- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٦٩، ٨/ ٢٤٩).

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٥٩٧٨)، ومسلم (رقم/ ١٠٠٣).

فتزوجها أبو بكر، وأسلمت قديمًا، وبايعت، وهاجرت إلى المدينة، وهي والدة عبد الرحمن وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وتوفيت في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة سنة ست من الهجرة[١]، وهذا سنده منقطع وغير صحيح؛ لأنها ذُكرت في أحداث بعد هذه السنة، وقيل إنها توفيت في خلافة عثمان كما ذكر ذلك البخاري[٢].

٣- أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث :

أم عبد الله، من المهاجرات الأوائل، أسلمت قديمًا قبل دخول دار الأرقم، وبايعت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجر بها زوجها جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى الحبشة، ثم هاجرت معه إلى المدينة فاستشهد يوم مؤتة، وتزوجها الصِّديق فولدت له محمدًا.

روى عنها من الصحابة: عمر، وأبو موسى، وعبد الله بن عباس، وهو ابن اختها أم الفضل امرأة العباس. وأمها هند بنت عوف بن زهير وكانت أكرم الناس أصهارًا؛ فمن أصهارها: رسول الله وحمزة والعباس وغيرهم[٣].

١- انظر: «المنتظم» (٣/ ٢٩١).

٢- انظر: «إمام الأمة أبو بكر» للدكتور حامد الخليفة (١/ ١١٢).

٣- انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٢).

٤- حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير:

الأنصارية، الخزرجية وهي التي ولدت لأبي بكر أم كلثوم بعد وفاته، وتزوجت بعده خبيب بن إساف رضي الله عنه[١].

وأما أولاده رضي الله عنه، فهم:

١- عبد الرحمن بن أبي بكر:

أسنُّ ولد أبي بكر، أسلم يوم الحديبية، وحسن إسلامه، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اشتهر بالشجاعة، وله مواقف محمودة ومشهودة بعد إسلامه[٢].

٢- عبد الله بن أبي بكر:

صاحب الدور العظيم في الهجرة، فقد كان يبقى في النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم ثم يتسلل في الليل إلى الغار لينقل هذه الأخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيه، فإذا جاء الصبح عاد إلى مكة، وقد أصيب بسهمٍ يوم الطائف، فماطله حتى مات شهيدًا بالمدينة في خلافة الصِّديق[٣].

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٥١).

٢- انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٦).

٣- انظر: «نسب قريش» (ص/ ٢٧٥).

٣- محمد بن أبي بكر:

أمه أسماء بنت عميس، ولد عام حجة الوداع وكان من فتيان قريش، عاش في حجر علي بن أبي طالب، وولَّاه مصر وبها قُتل[١].

٤- أسماء بنت أبي بكر:

ذات النطاقين، أسنُّ من عائشة، سماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين؛ لأنها صنعت لرسول الله ﷺ ولأبيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ما تشدها به، فشقت نطاقها وشدت به السفرة، فسماها النبي بذلك. وهي زوجة الزبير بن العوام وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بعد الهجرة؛ فكان أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، بلغت مائة سنة ولم يُنكر من عقلها شيء، ولم يسقط لها سنٌّ. روي لها عن الرسول ﷺ ستة وخمسون حديثًا، روى عنها عبد الله بن عباس، وأبناؤها عبد الله وعروة، وعبد الله بن أبي مليكة وغيرهم، وكانت جوادة منفقة، توفيت بمكة سنة ٧٣ هـ[٢].

١- انظر: «نسب قريش» (ص/ ٢٧٧)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٣٦٦).
٢- انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٧).

٥- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

الصِّديقة بنت الصِّديق، تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وأعرس بها في شوال، وهي أعلم النساء، كنَّاها رسول الله ﷺ أم عبد الله.

كان الشعبي يحدث عن مسروق أنه إذا تحدث عن أم المؤمنين عائشة، يقول: حدثتني الصِّديقة بنت الصِّديق المبرَّأة حبيبة رسول الله ﷺ، ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث ٢٢١٠، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين، وعاشت ثلاثًا وستين سنة وأشهرًا، وتوفيت سنة ٥٧ هـ، ولا ذرية لها[١].

٦- أم كلثوم بنت أبي بكر:

أمها حبيبة بنت خارجة، قال أبو بكر لأمِّ المؤمنين عائشة حين حضرته الوفاة: إنما هما أخواك وأختاك، فقالت: هذه أسماء قد عرفتها، فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنت خارجة، قد ألقي في خلدي أنها جارية،

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥٨ / ٥٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢ / ١٣٥، وما بعدها).

فكانت كما قال: وولدت بعد موته[١]، تزوجها طلحة بن عبيد الله وقُتل عنها يوم الجمل، وحجَّت بها عائشة في عدتها فأخرجتها إلى مكة[٢].

وأما إخوة أبي بكر رضي الله عنه، فهما أختان:

أم فروة: تزوجها رجل من الأزد فولدت له جارية، ثم تزوجها تميم الداري ثم تزوجها الأشعث بن قيس الكندي بعد أن أسره المسلمون في حروب الردة فعفا عنه أبو بكر وزوَّجه أم فروة.

والثانية: قريبة، كانت زوجة قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه.

هذه هي أسرة الصِّديق المباركة التي أكرمها الله بالإسلام، وقد اختص بهذا الفضل أبو بكر رضي الله عنه من بين الصحابة، وقد قال العلماء: لا يعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله ﷺ إلا آل أبي بكر الصِّديق، وهم: عبد الله بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة؛ فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون، وأيضًا محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهم.

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢ / ١٩٥).

٢- انظر: «نسب قريش» (ص/ ٢٧٨)، و«الإصابة» (٨ / ٤٦٦)، و«تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين» (ص/ ٣٥).

ولا يوجـد من الصحابة من أسلم أبـوه وأمـه وأولاده، وأدركـوا النبي ﷺ وأدركه أيضًا بنو أولاده إلا أبو بكر من جهة الرجال والنساء - وقد بيَّنت ذلك - فكلهم آمنوا بالنبي وصحبوه، فهذا بيت الصِّديق، فأهله أهل إيمان، ليس فيهم منافق ولا يعرف في الصحابة مثل هذه لغير بيت أبي بكر رضي الله عنه.

وكان يقال: للإيمان بيوت وللنفاق بيوت، فبيت أبي بكر من بيوت الإيمان من المهاجرين، وبيت بني النجار من بيوت الإيمان من الأنصار.

❁ أخباره في الجاهلية:

كان أبو بكر الصِّديق في الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم وأحد رؤسائهم، وكان من خيارهم، ويستعينون به على ما نابهم، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد[١].

قال السيوطي: كان أبو بكر رضي الله عنه أعفَّ الناس في الجاهلية، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: والله ما قال أبو بكر شعرًا قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية.

وفي رواية أخرى، قالت: لقد حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية.

وعن عبد الله بن الزبير، قال: ما قال أبو بكر شعرًا قط.

وعن أبي العالية الرياحي[٢]، قال: قيل لأبي بكر الصِّديق في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله، فقيل: ولِمَ؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعًا في عرضه ومروءته، قال: فبلغ ذلك رسول الله عليه

١- انظر: «نهاية الأرب» (١٩ / ١٠).

٢- أبو العالية تابعي لم يدرك أبا بكر، انظر: «جامع التحصيل» (ص/ ١٧٥).

الصلاة والسلام، فقال: «صدق أبو بكر، صدق أبو بكر»، مرتين[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولم يُعلم أحد من قريش وغيرهم عاب أبا بكر بعيب، ولا نقصه ولا استرذله، كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين، ولم يكن له عندهم عيب إلا إيمانه بالله ورسوله، كما أن رسول الله ﷺ لم يكن قط به عيب عند قريش ولا نقص ولا يذمونه بشيء قط، بل كان معظمًا عندهم بيتًا ونسبًا معروفًا بمكارم الأخلاق والصدق والأمانة، وكذلك صديقه الأكبر لم يكن له عيب عندهم من العيوب[٢].

١- «تاريخ الخلفاء» (ص/ ٢٩).

٢- «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٥٤٧).

المبحث الثاني

إسلامه ودعوته قبل الهجرة

۞ إسلامه:

كان إسلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليد رحلة إيمانية طويلة في البحث عن الدين الحق؛ فقد كان بحكم عمله التجاري كثير الأسفار، وتنقَّل من شمال الجزيرة إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، واتصل اتصالًا وثيقًا بأصحاب الديانات المختلفة وبخاصة النصرانية، وكان كثير الإنصات لكلمات النفر الذين حملوا راية التوحيد، راية البحث عن الدين القويم؛ فقد حدَّث عن نفسه، فقال: كنت جالسًا بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدًا، فمرَّ ابن أبي الصلت، فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير، قال: وهل وجدت؟ قال: لا، فقال:

كل دين يوم القيامة إلا ... ما مضى في الحنيفية بور

أما إن هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم، قال: ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ويبعث، قال: فخرجت أريد ورقة بن نوفل - وكان كثير النظر إلى السماء كثير همهمة الصدر - فاستوقفته، ثم قصصت عليه

الحديث، فقال: نعم يا ابن أخي، إنَّا أهل الكتب والعلوم، ألا إنَّ هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبًا - ولي علم بالنسب - وقومك أوسط العرب نسبًا، قلت: يا عم وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا يَظلم، ولا يُظلم ولا يُظالم، فلما بعث رسول الله ﷺ آمنت به وصدقته[1].

أما خبر إسلامه فقد تعددت الروايات فيه، ومنها:

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال أبو بكر الصِّديق: إنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي ﷺ، فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب، وعلم من علم الناس كثيرًا، فلما رآني، قال: أحسبك حرميًا؟، قال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبك قرشيًا؟، قال: قلت: نعم، أنا من قريش، قال: وأحسبك تيميًا، قال: قلت: نعم، أنا من تيم بن مرة، أنا عبد الله بن عثمان، من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة، قال: بقيت لي فيك واحدة، قلت: ما هي؟ قال: تكشف عن بطنك، قلت: لا أفعل أو تخبرني لم ذلك؟ قال: أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيًا يبعث في الحرم، يعاون على أمره فتى وكهل، فأما الفتى فخواض غمرات

١- [ضعيف]: أخرجه ابن عساكر (٣٠/ ٣٥)، وقال المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٢/ ٣٥٢): «منقطع»، وانظر: «أسد الغابة» (٣/ ٣١٢).

ودفاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة، وما عليك أن تريني ما سألتك، فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي عليّ، قال أبو بكر: فكشفتُ له عن بطني، فرأى شامةً سوداء فوق سرتي، فقال: أنت هو وربِّ الكعبة، وإنِّي متقدمٌ إليك في أمر فاحذره، قال أبو بكر، قلت: وما هو؟ قال: إياك والميل عن الهدى، وتمسَّك بالطريقة المثلى الوسطى، وخفِ الله فيما خولك وأعطاك، قال أبو بكر: فقضيت باليمن أربي، ثم أتيت الشيخ لأودعه، فقال: أحامل عني أبياتًا من الشعر قلتها في ذلك النبي ﷺ؟ قلت: نعم، فذكر أبياتًا، قال أبو بكر: فقدمت مكة، وقد بعث النبي ﷺ، فجاءني عقبة بن أبي معيط، وشيبة، وربيعة، وأبو جهل، وأبو البختري، وصناديد قريش، فقلت لهم: هل نابتكم نائبة، أو ظهر فيكم أمر؟ قالوا: يا أبا بكر، أعظم الخَطْب: يتيم أبي طالب يزعم أنه نبيٌّ، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذ قد جئت، فأنت الغاية والكفاية، قال أبو بكر: فصرفتهم على أحسن مسٍّ، وسألت عن النبي ﷺ، فقيل: في منزل خديجة، فقرعت عليه الباب، فخرج إليّ، فقلت: يا محمد، فقدت من منازل أهلك، وتركت دين آبائك وأجدادك؟ قال: «يا أبا بكر، إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فآمن بالله»، فقلت: ما دليلك على ذلك؟ قال: «الشيخ الذي لقيت باليمن»، قلت:

وكم من شيخ لقيت باليمن؟ قال: «الشيخ الذي أفادك الأبيات»، قلت: ومن خبرك بهذا يا حبيبي؟ قال: «الملك المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي»، قلت: مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قال أبو بكر: فانصرفت وما بين لابتيها أشد سرورًا من رسول الله ﷺ بإسلامي[1].

ومن ذلك ما جاء عن كعب، قال: كان إسلام أبي بكر الصِّديق شبيهًا بوحي من السماء، وذلك أنه كان تاجرًا بالشام، فرأى رؤيا، فقصَّها على بحيرى الراهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأيش أنت؟ قال: تاجر، قال: صدق الله رؤياك! سيُبعث نبيٌّ من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسرَّ أبو بكر حتى بُعث النبي ﷺ، فجاءه فقال: يا محمد! ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام، فعانقه، وقبَّل عينيه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله[2].

وأيًّا كان؛ فإنَّ الثابت أنَّ الصِّديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار؛ قال إبراهيم النخعي، وحسان بن ثابت، وابن عباس، وأسماء

١- [إسناده ضعيف، وفي متنه ما يستنكر]: أخرجه ابن عساكر (٣٠/ ٣١- ٣٣)، وانظر: «أسد الغابة» (٣/ ٣١٢).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن عساكر (٣٠/ ٢٩).

بنت أبي بكر: أول من أسلم أبو بكر. وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: أدركت أبي، ومشيختنا: محمد بن المنكدر، وربيعة بن عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنس، وهم لا يشكون أن أول القوم إسلامًا أبو بكر[١].

وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة، ونظر وتردَّد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عَكَمَ عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأبو بكر كان من أعقل الناس، وأخيرهم، وكان معظمًا في قريش لعلمه، وإحسانه، وعقله، فلما تبيَّن له حاله علم علمًا ضروريًا أنه نبيٌّ صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقينًا وعلمًا، وحالا[٣].

❁ من أسلم على يديه:

قال ابن هشام: كان أبو بكر رجلًا مألفًا لقومه، محببًا سهلًا، وكان

١- انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٣/ ٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٢٣٧).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن إسحاق في «سيره» (ص/ ١٣٩) عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين معضلًا به، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٥٢)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٣٧).

٣- «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ٥١٢).

أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلًا تاجرًا، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛ لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام، فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله، ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون[1].

وقال ابن القيم: ولما دعا ﷺ إلى الله عز وجل استجاب له عباد الله من كل قبيلة، فكان حائز قصب سبقهم صدِّيق الأمة وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر رضي الله عنه، فآزره في دين الله، ودعا معه إلى الله على بصيرة، فاستجاب لأبي بكر: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص[2].

١- «السيرة النبوية» (١/ ٢٥٠، وما بعدها) بتصرف.

٢- «زاد المعاد» (٣/ ١٧).

❁ إنفاقه الأموال لتحرير المعذبين في سبيل الله :

كان من أشد من لقي الأذى من المشركين: بلال بن رباح رضي الله عنه، فقد كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله، لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد، حتى مرَّ به أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه يومًا، وهم يصنعون ذلك به، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه.

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب:

عامر بن فهيرة شهد بدرًا وأحدًا وقتل يوم بئر معونة شهيدًا.

أم عبيس.

زنيرة أصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى

وما تنفعان، فردَّ الله بصرها.

أعتق النهدية وبنتها كانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمرَّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: حل يا أم فلان، فقالت: حل، أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

جارية بني مؤمل، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة، فتقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر، فأعتقها[١].

وكان والد أبي بكر رضي الله عنه أبو قحافة يلومه ويقول: يا بني، إني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك؟ قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله عزَّ وجلَّ[٢].

١- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٣١٧، وما بعدها) بتصرف.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه عبد الله في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٦٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٢) وصححه، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٣١٩).

ابتلاؤه وتحمله الأذى في الدعوة

كان أبو بكر رضي الله عنه حريصًا على نشر الدعوة، مهما كلَّفه ذلك من ضررٍ وإيذاء، فقد صدع رضي الله عنه بإسلامه ودعوته إلى الله، ولقي في ذلك كثيرًا من الأذى؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل»، فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالسًا، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطئ أبو بكر، وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون، فأَجْلَت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم

آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحَّت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح. قال أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله عليّ أن لا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا، أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، قال فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقةً شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي

برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت[١].

دفاعه عن النبي ﷺ

لم يكتف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك، بل إنه جاهد على قدر ما يستطيع أن يدفع عن النبي ﷺ ما يلقاه من أذى قريش والمشركين؛ فعن عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبَه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[٢] [٣].

وقد روى البزار في «مسنده»[٤]، من حديث محمد بن عقيل، عن علي أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا أنت يا أمير

١- [فيه نظر]: أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٩٠)، وخيثمة في «حديثه» (ص/ ١٢٦)، وفي إسناده من لم أقف على ترجمته، وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٣٠).
٢- [غافر: ٢٨].
٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٨٥٦).
٤- [إسناده ضعيف]: (رقم/ ٧٦١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٧): «فيه من لم أعرفه».

المؤمنين، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنَّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه؛ فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجاده، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فو الله ما دنا منَّا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ثم رفع عليّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فو الله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

موقفه في الإسراء والمعراج

كان لأبي بكر ﷺ موقف غاية في الروعة والثبات واليقين، فبعد الإسراء والمعراج أبان عن صدق إيمانه وتسليمه للنبي ﷺ: عن عائشة ﷺ، قالت: لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدَّ ناس ممن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسمعوا بذلك إلى

أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أَوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك؛ لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك! أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة؛ فلذلك سُمي أبا بكر الصِّديق[1].

دعوته بين قبائل العرب في الأسواق

كان أبو بكر رضي الله عنه عالـمًا بالأنساب، وقد استغلَّ ذلك وجعله وسيلةً من وسائل الدعوة؛ فقد كان يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض نفسه على قبائل العرب؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: لما أمر الله عزَّ وجلَّ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج - وأنا معه وأبو بكر - إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم، وكان أبو بكر مُقدَّمًا في كل حين، وكان رجلًا نسَّابة، فقال: مِمَّن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: وأيُّ ربيعة أنتم؟ من هَامَتِها أم من لَهازِمِها؟ قالوا: بل من هَامَتِها العظمى، فقال أبو بكر: من أيِّ هامَتِها العظمى؟ - قال الغلابي في حديثه -: بل من اللهزمة العظمى، قال: وأيّ لهزمتها أنتم؟ قالوا: ذُهْل

١- [صحيح]: تقدم تخريجه.

الأكبر، قال أبو بكر: أفمنكم عوف الذي كان يقال: لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم بسطام بن قيس بن مسعود أبو الملوك ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا، فقال لهم: أفأنتم أخوال الملوك في كندة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا، قال لهم أبو بكر: فلستم بذهل الأكبر، بل أنتم ذهل الأصغر قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفلًا حين بقل وجهه[1]، فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول:

إن على سائلنا أن نسأله... والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا سألتنا فأخبرناك فلم نكتمك شيئًا، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟ قال له: رجل من قريش، فقال له الغلام: بخ بخ، أهل السؤدد والرياسة، وأزمة العرب وهداتها، فممن أنت من قريش؟ قال له: من بني تيم بن مرة، فقال له الغلام: أمكنت والله الرامي من صفاة الثغرة، أفمنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها، وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوبٍ حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار، وأنزل

١- أي: ابتدأ فيه الشعر، انظر: «جمهرة اللغة» (١/ ٣٧١).

قريشًا منازلها، فسمته العرب بذلك مجمعًا، وفيه يقول الشاعر لبني عبد مناف:

أليس أبوكم كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر؟

قال: لا، قال الغلام: أفمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة؟ قال: لا، قال: أفمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه، وأهل مكة مسنتون عجاف، وفيه يقول الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

سنوا إليه الرحلتين كلاهما ... عند الشتاء ورحلة الأصياف

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصه لعبد مناف

الرائشين وليس يعرف رائش ... والقائلين هلم للأضياف

والضاربين الكبش يبرق بيضه ... والمانعين البيض بالأسياف

لله درك لو نزلت بدارهم ... منعوك من ذل ومن إقراف؟

قال: لا، قال: أفمنكم عبد المطلب شيبة الحمد وصاحب بئر مكة مطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلاء الذي كأن وجهه قمر يتلألأ في الليل المظلم. وقال عبد الجبار: في الليلة الظلماء الداجية؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الإفاضة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحجابة

أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، ثم جذب أبو بكر زمام الناقة من يده فقال له الغلام:

صادف درء السيل سيلا يدفعه   يهضبه حينا وحينا يصدعه

ثم قال: أما والله يا أخا قريش لو ثبت لي لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب، فأقبل إلينا رسول الله ﷺ يتبسم، قال علي: قلت له: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة، فقال: أجل يا أبا الحسن إنه ليس من طامة إلا فوقها طامة والبلاء مُوكل بالقول، قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينةُ والوقارُ، وإذا مشايخ لهم أقدارٌ وهيئات، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم. قال علي: وكان مُقدَّمًا في كل حين، فقال لهم أبو بكر: مِمَّن القوم؟ قالوا: نحن بنو شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عزٍّ في قومهم، وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق قد غلبهم بيانًا ولسانًا وكان له غديرتان تسقطان على صدره، وكان أدنى القوم

مجلسًا من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على الألف، ولن يُغلب ألف من قِلَّة، قال: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد ولكل قوم جد، قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ قال مفروق: إنَّا أشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنَّا أشد ما نكون لقاء إذا غضبنا، وإنَّا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة، ويديل علينا مرة لعلك أخو قريش؟ قال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا، فقال مفروق: وقد بلغنا أنه يذكر ذلك ثم التفت إلى رسول الله ﷺ، فقال: إلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدَّم رسول الله ﷺ فجلس، وقام أبو بكر يظلله بثوبه فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له، وأنِّي رسول الله، وأن تُؤووني وتمنعوني وتنصروني حتى أؤدي عن الله تعالى ما أمرني به، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»، قال له: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾» إلى قوله تعالى: «﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»[1] وقال له مفروق:

١- [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله ﷺ: «﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾» إلى قوله تعالى: «﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾»[1]، فقال له مفروق: دعوتَ والله يا قرشي إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أُفِكَ قومٌ كذَّبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحبَّ أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال له هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وصدقت قولك، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أولٌ ولا آخر إن لم نتفكر في أمرك وننظر في عاقبة ما تدعونا إليه إنه زلة في الرأي وطيشة في العقل وقلَّة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نَكْرَه أن نَعْقِد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر، وكأنه أحبَّ أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا، وصاحب حربنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك، واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلَّمتَ به، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، إنما نزلنا بين صيرين، أحدهما اليمامة، والأخرى السماوة، فقال له رسول الله ﷺ: «وما هذان الصيران»؟ فقال له: أما

١- [النحل: ٩٠].

أحدهما؛ فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا، ولعلَّ هذا الأمر الذي تدعو إليه تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول؛ فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلنا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أسأتم الردَّ إذ أفصحتم بالصدق؛ إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه» ثم نهض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قابضًا على يد أبي بكر، ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال علي: وكانوا صُدُقًا صُبُرًا رضوان الله عليهم أجمعين[1].

تفكيره في الهجرة إلى الحبشة

ضاقت الدنيا على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واشتدَّ خناق المشركين على المسلمين؛ ففكَّر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أن يهاجر إلى الحبشة كما فعل بعض المسلمين، لكن الله شاء ألا يغادر مكة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: لم أعقل

١- [ضعيف]: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٢٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١ / ٢٨٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣٧)، وقال: «ليس لهذا الحديث أصل، ولا يروى من وجه يثبت إلا شيء يروى في مغازي الواقدي وغيره مرسلًا».

أبوي قط، إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدُّغُنَّة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تُكسب المعدوم وتصل الرحِمَ، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلًا يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلَّ، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربَّه في داره، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكَّاء،

لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنَّا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربَّه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنَّا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربَّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فَسَلْه أن يردَّ إليك ذمتك، فإنَّا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي؛ فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين»، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ

السَّمُرِ، وهو الخَبَط، أربعة أشهر[1].

فكان من قدر الله عز وجل أن يبقى أبو بكر في مكة، بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يكون رفيقَه في هجرته إلى المدينة، وينال ذلك الشرف العظيم.

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٠٥).

المبحث الثالث: هجرته مع النبي ﷺ إلى المدينة

❁ مقدمات الهجرة:

لما اشتدَّ أذى المشركين بأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبالصحابة، فكَّر في الهجرة إلى الحبشة كما سبق، كما فكَّر في الهجرة بعد ذلك إلى المدينة، لكنَّ رسول الله ﷺ أمره أن ينتظر، وتنقل لنا أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تلك الأحداث فتقول: قال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهَّز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وَعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُرِ، وهو الخبط، أربعة أشهر. قال ابن شهاب، قال: عروة، قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ

لأبي بكر: «أَخْرِجْ من عندك». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أُذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم» قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالثمن». قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب؛ فبذلك سُميت ذات النطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فَكَمَنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثَقِف لَقِن، فَيُدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كَبائِتٍ، فلا يسمع أمرًا، يُكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر مِنْحَةً من غنم، فَيُرِيحُها عليهما حين تذهب ساعةٌ من العشاء، فيبيتان في رِسْلٍ، وهو لبنُ مِنْحَتِهما وَرَضِيفِهما، حتى يَنْعِقَ بها عامر بن فهيرة بِغَلَسٍ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي، هاديًا خريتًا، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه

فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صُبْحَ ثلاثٍ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل[١].

وهكذا خرج النبي ﷺ وأبو بكر من مكة مهاجرين إلى المدينة، قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد، حين خرج، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصِّديق، وآل أبي بكر. أما علي؛ فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلَّف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لِما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ[٢].

معاناته في طريق الهجرة

بدأ أول المصاعِب في الطريق؛ فقد كان أبو بكر رضي الله عنه حريصًا ألا يصاب رسول الله ﷺ بأي أذى من أي جانب؛ فيُروى عن ابن أبي مليكة قال: لما هاجر النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر، فأخذا طريق ثور، قال: فجعل

١- تقدم تخريجه.

٢- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٤٨٥).

أبو بكر يمشي خلفه ويمشي أمامه، فقال له النبي ﷺ: «ما لك»؟ فقال: يا رسول الله، أخاف أن تؤتى من خلفك فأتأخر، وأخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدَّم[١].

فلما وصل النبي وأبو بكر إلى الغار خشي أبو بكر على رسول الله، أن يكون في الغار شيء يؤذيه، فدخل الغار أولًا حتى يتأكَّد بنفسه؛ فعن أنس رضي الله عنه، قال: دخل أبو بكر الغار فجعل يكنس بيديه، فكلما وجد جحرًا شق من ثوبه وسدَّ به الجحر، حتى لم يدع من ذلك شيئًا، وبقي جحر واحد، ولم يبق من الثوب شيء يسد به؛ فألقمه عَقِبَه، وقال: ادخل فداك أبي وأمي يا رسول الله، فلمَّا أصبح قال له رسول الله ﷺ: «أين ثوبك يا أبا بكر»؟ فأخبره فرفع رسول الله ﷺ يده فدعا له[٢].

ولما أحاط المشركون بالغار طمأن النبي ﷺ أبا بكر؛ فعن أنس بن مالك، أنَّ أبا بكر الصِّديق، حدَّثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على

١- [ضعيف]: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٢٢)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٠٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم/ ٢٤٢٥)، وإسناد الإمام أحمد رجاله ثقات إلا أن ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر؛ فهو من أوساط التابعين.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦٠) بإسناد فيه جهالة، واستغربه، وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٣).

رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[١].

وقد قصَّ الله عزَّ وجلَّ علينا في كتابه ذلك الموقف، فقال سبحانه: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيَّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم}[٢].

وبعد أن خرج النبي ﷺ وأبو بكر من الغار، لقيا من المصاعب أيضًا الكثير؛ منها ما رواه البراء بن عازب، يقول: جاء أبو بكر الصِّديق إلى أبي في منزله، فاشترى منه رحلًا، فقال لعازب: ابعث معي ابنك يحمله معي إلى منزلي، فقال لي أبي: احمله، فحملته، وخرج أبي معه ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، أسرينا ليلتنا كلها، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكانًا، ينام

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٥٣)، ومسلم (رقم/ ٢٣٨١)، واللفظ لمسلم.

٢- [التوبة: ٤٠].

فيه النبي ﷺ في ظلها، ثم بسطت عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براعي غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فلقيته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة، قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أفتحلب لي؟ قال: نعم، فأخذ شاةً، فقلت له: انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى - قال: فرأيت البراء يضرب بيده على الأخرى ينفض - فحلب لي، في قعب معه، كثبة من لبن، قال: ومعي إداوة أرتوي فيها للنبي ﷺ، ليشرب منها ويتوضأ، قال: فأتيت النبي ﷺ، وكرهت أن أوقظه من نومه، فوافقته استيقظ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: «ألم يأن للرحيل»؟ قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس[١].

ثم كان مشهد آخر من متاعب رحلة الهجرة وهو لحاق سراقة بن جعشم بالنبي ﷺ وأبي بكر، وينقل لنا سراقة ما حدث فيقول: جاءنا رُسُلُ كفارِ قريش، يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر، دية كلِّ واحد

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٢٤٣٩)، ومسلم (رقم/ ٢٠٠٩)، واللفظ لمسلم.

منهما، مَنْ قَتَلَه أو أَسَرَه، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلِج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا سراقة: إني قد رأيت آنفًا أسودةً بالسَّاحل، أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعةً، ثم قمتُ فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أَكَمَةٍ، فتحبسها عليَّ، وأخذتُ رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بِزُجِّه الأرضَ، وخفضت عالَيه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تُقرِّبُ بي، حتى دنوت منهم، فَعَثَرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمتُ فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرُّهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي، وعصيت الأزلام، تُقرِّب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يُكْثِرُ الالتفاتَ، ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمةً، إذا لأثر يديها عُثانٌ ساطع في السماء مثل الدُّخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ.

فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الديةَ، وأخبرتهم أخبارَ ما يريد الناسُ

بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني، إلا أن قال: «أخفِ عنَّا». فسألتُه أن يكتب لي كتابَ أمنٍ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ[١].

ثم إنهم نزلوا بعد ذلك على أمِّ مَعْبَد وكان ذلك من تيسير الله عز وجل لهم في طريق الهجرة، فعن هشام بن حبيش بن خويلد صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأبو بكر رضي الله عنه، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما الليثي عبد الله بن أريقط مروا على خيمتي أمِّ معبد الخزاعية، وكانت امرأة بَرْزَةً جلدة تَحْتَبي بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مُرْمِلِين مُسْنِتِين، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسْرِ الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد»؟ قالت: شاة خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم، قال: «هل بها من لبن»؟ قالت: هي أَجْهَدُ من ذلك، قال: «أتأذنين لي أن أحلبها»؟ قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حَلْبًا فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فَتَفاجَّتْ عليه ودرَّت، فاجترَّت، فدعا بإناء يُرْبِض الرَّهطَ، فحلب فيه ثجًّا حتى علاه

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٠٦).

البَهَاءُ، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم حتى أراضوا، ثم حلب فيه الثانية على هَدَّةٍ حتى ملأ الإناءَ، ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها، فقال: ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد ليسوق أَعْنُزًا عجافًا يَتَسَاوَكَن هزالًا، مُخهنَّ قليلٌ، فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه، قال: من أين لك هذا يا أمَّ معبد والشاء عازِبٌ حائل، ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلًا ظاهرَ الوضاءةِ، أبلجَ الوجه، حسن الخلق، لم تُعبه ثُجْلَةٌ، ولم تزريه صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره وَطفٌ، وفي صوته صَهَلٌ، وفي عنقه سَطْعٌ، وفي لحيته كَثَاثَةٌ، أزجّ أقرن، إنْ صَمَتَ فعليه الوقارُ، وإن تكلَّم سَمَاهُ وعلاه البهاءُ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق فصلًا، لا نَزْر ولا هَذْر، كأن منطقه خرزات نظمٍ يتحدَّرن، رَبْعَةٌ لا تَشنأُهُ من طول، ولا تقتحمه عين من قِصَر، غصنٌ بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يَحُفون به، إن قال: سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفودٌ محشودٌ، لا عابس ولا مُفَند، قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكر، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلًا،

وأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسؤدد
ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صريحا ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب ... يرددها في مصدر بعد مورد

فلما سمع حسان الهاتف بذلك، شبب يجاوب الهاتف، فقال:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... فأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد[1]

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الحاكم (٣/ ١٠)، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٨١)، وصححه الحاكم، وفي تصحيحه نظر، انظر: «القول الأحمد بصحة الرواية المختصرة لحديث أم معبد» (ص/ ١٨).

ثم كان من فضل الله عز وجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لقيا ركبًا من المسلمين، قال ابن شهاب، فأخبرني عروة بن الزبير، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين، كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض[١].

استقبال النبي وأبي بكر في المدينة

ينقل ابن شهاب رحمه الله كيف استقبل المسلمون في المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر، فيقول: سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم، لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٠٦).

رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر، لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد، ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول، وهو ينقل اللبن:

هــذا الحــمــال لا حــمــال خيبر ... هـــذا أبـــر ربـنـــا وأطـهـــر

ويقول:

اللــهــم إن الأجـــر أجـــر الآخـــره ... فـــارحـم الأنـصـــار، والمهاجره[1]

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٠٦).

مرض أبي بكر الصِّديق بالمدينة

لما أقام أبو بكر رضي الله عنه بالمدينة بعد الهجرة وعكته الحمى، كما حكت عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى، واشتكى أصحابه، واشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم، فأذن لها، فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وسألت عامر بن فهيرة، فقال:

إني وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

وسألت بلالًا، فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفج وحولي إذخر وجليل

فأتت رسول الله ﷺ فأخبرته بقولهم، فنظر إلى السماء، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشد، اللهم بارك لنا في صاعها ومدها، وانقل وباءها إلى مهيعة»، وهي الجحفة[1].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ١٨٨٩)، ومسلم (رقم/ ١٣٧٦)، وابن حبان (رقم/ ٥٦٠٠)، واللفظ لابن حبان.

وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ، وعوفي أبو بكر وبلال وعامر ﷺ.

أبو بكر الصِّديق وفنحاص اليهودي

قال ابن إسحاق: دخل أبو بكر الصِّديق بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجلٍ منهم، يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر من أحبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا فنحاص! اتقِ الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدًا لرسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنَّا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنيًا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنيًا ما أعطانا الربا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربت رأسك، أي عدو الله. قال: فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو

الله قال قولًا عظيمًا، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردًا عليه، وتصديقًا لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[1].

ونزل في أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

ثم قال فيما قال فنحاص والأحبار معه من يهود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، يعني: فنحاص وأشيع وأشباههما من

١- [آل عمران: ١٨١]، وانظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص/ ٥٩).

٢- [آل عمران: ١٨٦]، وانظر: «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة» (١/ ٣٤٣).

٣- [آل عمران: ١٨٨]، وانظر: «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة» (١/ ١١٩).

الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، أن يقول الناس: علماء، وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى ولا حق، ويحبون أن يقول الناس: قد فعلوا[١].

١- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٥٥٨).

المبحث الرابع

مشاركة الصديق في غزوات الرسول

قال ابن الجوزي: ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وجميع المشاهد، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك[١].

وقال ابن الأثير: ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها[٢].

أبو بكر في بدر الكبرى

شهد أبو بكر رضي الله عنه غزوة بدر مع رسول الله ﷺ، وكان له فيها مواقف كثيرة؛ أولها لما علم رسول الله أن قافلة أبي سفيان قد نجت فاستشار الصحابة رضوان الله عليهم فكان أبو بكر رضي الله عنه ممن أشار عليه؛ فعن أنس بن مالك، قال: استشار النبي ﷺ مخرجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم

١- «صفة الصفوة» (١ / ٩٢).

٢- «أسد الغابة» (٣ / ٣١٠).

استشار عمر، فأشار عليه عمر[١].

وقد قام النبي ﷺ وأبو بكر بجولةٍ استطلاعية ليستكشفا أحوال جيش المشركين؛ قال ابن إسحاق كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان: حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتَنا أخبرناك». قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق[٢]؟

وفي هذا الموقف يتضح قرب أبي بكر رضي الله عنه من النبي ﷺ.

ولما رتَّب النبي ﷺ الصفوف للقتال جهَّز له الصحابة عريشًا ليشرف

١- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٠٥)، وأصله عند مسلم (رقم/ ١٧٧٩).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٢ / ٤٣٥) بإسناد ضعيف عن ابن إسحاق به.

على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر.

عن محمد بن عقيل، عن عليٍّ أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنَّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه؛ فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحاده، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فو الله ما دنا منَّا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[1]، ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال عليٌّ: فو الله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه[2].

وينقل لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان يدور في العريش فيقول: لما

١- [غافر: ٢٨].

٢- [إسناده ضعيف]: تقدم تخريجه.

كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربِّه، مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] فأمده الله بالملائكة[2].

وعن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[3][4].

وقد بشَّر النبيُّ ﷺ أبا بكر بالنصر ونزول الملائكة، قال ابن إسحاق:

١- [الأنفال: ٩].
٢- أخرجه مسلم (رقم/ ١٧٦٣).
٣- [القمر: ٤٥].
٤- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٥٣).

وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النقع»[1].

وقد قاتل النبي ﷺ بنفسه الكريمة قتالًا شديدًا ببدنه، وبجانبه أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه[2].

وقد قاتل في يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر مع المشركين قبل أن يسلم؛ فعن ابن سيرين: أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّديق رضي الله عنهما كان يوم بدر مع المشركين، فلما أسلم؛ قال لأبيه: لقد أهدفت لي يوم بدر فصرفت عنك ولم أقتلك. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك[3].

ولما انقضت غزوة بدر كانت استشارة النبي ﷺ لأصحابه في كيفية التعامل مع الأسرى؛ قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى»؟ فقال أبو بكر:

١- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١ / ٦٢٧).

٢- انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٣٤٠).

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن عساكر (٣٠ / ١٢٨)، والدينوري في «المجالسة» (رقم/ ١٠٧٦).

يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فديةً فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب»؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبًا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ -، وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾[1] فأحل الله الغنيمة لهم[2].

١- [الأنفال: ٦٧- ٦٩].

٢- أخرجه مسلم (رقم/ ١٧٦٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تقولون في هؤلاء الأسرى»؟ قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم، واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم، قال: وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك وكذبوك، قربهم فاضرب أعناقهم، قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديًا كثير الحطب، فأدخلهم فيه، ثم أضرم عليهم نارًا قال: فقال العباس: قطعت رحمك، قال: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يرد عليهم شيئًا، قال: فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، قال: فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه، حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، وإن مثلك يا عمر كمثل

١- [إبراهيم: ٣٦].

٢- [المائدة: ١١٨].

نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[١]، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى، قال: رب ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾[٢]، أنتم عالة، فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء، أو ضربة عنق»، قال عبد الله: فقلت: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء، فإني قد سمعته يذكر الإسلام، قال: فسكت، قال: فما رأيتني في يوم، أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء في ذلك اليوم حتى قال: «إلا سهيل بن بيضاء»، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٣].

وعن علي، قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال أو قال يشهد الصف[٤].

١- [نوح: ٢٦].

٢- [يونس: ٨٨].

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه الإمام أحمد (١ / ٣٨٣)، والترمذي (رقم/ ١٧١٤) وحسنه، واللفظ للإمام أحمد.

٤- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٤٧)، وصححه الحاكم (٣/ ٧٢)، والضياء في «المختارة» (٢/ ٢٥٧)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ٣٢٤١).

أبو بكر في أُحد

لما وقع ما وقع في غزوة أُحد وتعرض جيش المسلمين لهجومٍ والتفاف من جيش المشركين بعد نزول الرماة، كان أبو بكر رضي الله عنه ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصِّديق: لما كان يوم أُحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ، فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ، فرأيت بين يديه رجلًا يقاتل عنه ويحميه، فقلت: كُن طلحة فداك أبي وأمي، كُن طلحة فداك أبي وأمي، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح، فإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا إلى النبي ﷺ، فإذا طلحة بين يديه صريع فقال النبي ﷺ: «دونكم أخاكم، فقد أوجب»، وقد رمي النبي ﷺ في جبينه ورمي في وجنته حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجهه فذهبت لأنزعها عن النبي ﷺ، فقال أبو عبيدة نشدتك بالله يا أبا بكر ألا تركتني، فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينصنصه كراهة أن يؤذي النبي ﷺ، ثم استلَّ السهم بفيه وندرت ثنية أبي عبيدة. قال أبو بكر ثم ذهبت لأجد الآخر، فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر ألا تركتني، قال: فأخذه بفيه فجعل ينصنص السهم ثم استلَّه وندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى، ثم قال رسول الله ﷺ: «دونكم أخاكم فقد أوجب»،

قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضع عشرة ضربة بين ضربة وطعنة، منها: نرفقا في جنبه، ومنها: ما قطع نَسَاه حتى يبست إصبعه[١].

وبعد ذلك لما هدأت الحرب، وقام أبو سفيان يتكلم، كان ما يهمه هو أن يسأل عن ثلاثة أشخاص، هم: النبي ﷺ وأبو بكر وعمر ﷺ، عن البراء بن عازب ﷺ قال: أشرف أبو سفيان يوم أحد، فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «لا تجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعْلُ هُبَل، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني[٢].

١- [لا بأس به]: أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (رقم/ ٦)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٦٣)، وصححه ابن حبان (رقم/ ٦٩٨٠)، والحاكم (٣/ ٢٩٨)، والضياء في «المختارة» (١/ ١٣٧).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٠٤٣).

ثم كان لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دور بعد ذلك في حماية رسول الله ﷺ بعد انتهاء المعركة، خوفًا من أن يعود المشركون مرة أخرى؛ فعن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١]، قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم»، فانتدب منهم سبعون رجلًا، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير[٢].

أبو بكر في بدر الآخرة

سببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى: موعد ما بيننا وبينكم بدر الصفراء، رأس الحول، نلتقي فيها فنقتتل.

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «قل: نعم إن شاء الله»، فافترق الناس على ذلك، ورجعت قريش فخبروا من قبلهم بالموعد.

وكانت بدر الصفراء مجمعًا للعرب، وسوقًا تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان ليال خلون منه، فإذا مضت ثمان ليال تفرق الناس إلى بلادهم.

١- [آل عمران: ١٧٢].

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٠٧٧).

فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج إلى رسول الله ﷺ، وأحب ألا يوافى رسول الله ﷺ الموعد، وكان أبو سفيان يظهر أنه يريد أن يغزو رسول الله ﷺ في جمعٍ كثيف، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع، وتسير في العرب، فيهاب المسلمون ذلك.

وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة - وأسلم بعد ذلك - فبصر أبا سفيان وقريشًا بتهيؤ المسلمين لحربهم. وكان عام جدب، فصارحه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين، وتعلل بجدب الأرض، وجعل لنعيم عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو، على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده، وحمله على بعير. فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى أرعب المسلمين، وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوبهم، ولم يبق لهم نية في الخروج، واستبشر المنافقون واليهود، وقالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، حتى خشي ألا يخرج معه أحد، وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد سمعا ما سمعا، وقالا: يا رسول الله إن الله تعالى مظهرٌ دينه، ومعز نبيه، وقد وعدنا القوم موعدًا لا نحب أن نتخلَّف عنه، فيرون أن هذا جبنٌ، فَسِرْ لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة،

فسرَّ رسول الله ﷺ بذلك، ثم قال: «والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد».

واستخلف النبي على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول فيما قاله ابن إسحاق.

وقال محمد بن عمر: استخلف عبد الله بن رواحة.

وخرج رسول الله ﷺ، في ألف وخمسمائة، فيهم عدة أفراس؛ فرس لرسول الله ﷺ، وفرس لأبي بكر، وفرس لعمر بن الخطاب، وفرس لأبي قتادة، وفرس لسعيد بن زيد، وفرس للمقداد بن الأسود، وفرس للحباب بن المنذر، وفرس للزبير بن العوام، وفرس لعباد بن بشر.

وحمل لواء رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وخرج المسلمون بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحًا كثيرًا.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ربحت للدينار دينارًا.

فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال، فأقاموا ثمانية أيام، والسوق قائمة، وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده.

فأتاه مخشي بن عمرو الضمري، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان، وأصحاب رسول الله ﷺ أكثر أهل الموسم، فقال: يا محمد، لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد، فما أعلمكم إلا أهل الموسم، فقال رسول الله ﷺ: «وإن شئت مع ذلك رددنا ما كان بيننا وبينك»، فقال: لا والله ما لنا بذلك من حاجة، بل نكف أيدينا عنكم، ونتمسك بحلفك.

وقال أبو سفيان لقريش: قد بعثنا نعيم بن مسعود لأن يخذل أصحاب محمد عن الخروج، وهو جاهد، ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع، فإن كان محمد لم يخرج بلغه أنَّا خرجنا فرجعنا، لأنه لم يخرج، فيكون هذا لنا عليه، وإن كان خرج أظهرنا أن هذا عام جدب، ولا يصلحنا إلا عام عشب. قالوا: نِعم ما رأيت. فخرج في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسًا، حتى انتهوا إلى مجنة من ناحية الظهران، ثم قال: ارجعوا لا يصلحنا إلا عام خصب غيداق، نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فسمى أهل مكة ذلك الجيش «جيش السويق»، ويقولون: خرجوا يشربون السويق.

وانطلق معبد بن أبي معبد الخزاعي سريعًا، بعد انقضاء الموسم إلى مكة، فأخبر بكثرة المسلمين، وأنهم أهل ذلك الموسم، وأنهم ألفان، وأخبر بما قال رسول الله ﷺ للضمري، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترأوا علينا، ورأوا أنا قد أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف عنهم. وأخذوا في الكيد والنفقة في قتال رسول الله ﷺ، واستجلبوا من حولهم من العرب، وجمعوا الأموال وضربوا البعث على أهل مكة، فلم يترك أحد منهم إلا أن يأتي بمال، ولم يقبل من أحد منهم أقل من أوقية لغزو الخندق.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة[١].

فكانت مشورة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على رسول الله بوجوب المسير إلى بدر بركةً على المسلمين؛ لِما جلبت عليهم من المهابة والخير وإظهار الدين والقوة، ولِما جلبت على المشركين من مظاهر الرعب والتمزق ونقض المواعيد.

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٥٩-٦٠)، و«سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٣٣٧-٣٣٨).

في غزوة بني النضير

قال ابن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان ﷺ أعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهدٌ وحلف، فلما أتاهم ﷺ، قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرةً كما قال: ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي.

فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة.

فلما أبطأ النبي ﷺ، قام أصحابه في طلبه فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة، فسألوه عنه فقال رأيته داخلًا المدينة.

فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر، بما كانت يهود أرادت من الغدر به، قال الواقدي: فبعث رسول الله ﷺ

محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر؛ فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حيي بن أحطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ونابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، قال الواقدي: فحاصروهم خمس عشرة ليلة.

وقال ابن إسحاق: وأمر النبي ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر حينئذ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيب من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها. قال: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإنَّا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم.

فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب،

فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكفَّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[1].

في غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان كلٌ قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث، التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذا، فلما سمع بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع، من ناحية قديد إلى السَّاحل، فتزاحم الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه.

وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه إلى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصِّديق، ويقال إلى عمار بن ياسر وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة،

١- انظر: «البداية والنهاية» (٤ / ٨٦).

ثم أمر عمر بن الخطاب: فنادى في الناس: أن قولوا لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد[1].

وفي هذه الغزوة ضاع عقد عائشة رضي الله عنها، وكان ذلك سببًا في نزول آية التيمم؛ فعن عائشة، أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنَّا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير - وهو أحد النقباء -: ما هي

١- انظر: «البداية والنهاية» (٤ / ١٧٨).

بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته[1].

في غزوة الخندق

كان رسول الله ﷺ من شدة اجتهاده في العمل يضرب مرةً بالمعول ومرة يجرف بالمسحاة التراب، ومرة يحمل التراب في المكتل، وبلغ منه التعب يومًا مبلغًا فجلس، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر فنام: فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه ينحيان الناس عنه، أن يمروا به، فينبهوه، ثم استيقظ ووثب فقال: «أفلا أفزعتموني»! وأخذ الكرزن يضرب به، ويقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة
اللهم العن عضلا والقارة ... فهم كلفوني أنقل الحجارة

وعمل المسلمون في الخندق حتى أحكموه[2].

في غزوة بني قريظة

كان أبو بكر رضي الله عنه مرافقًا لرسول الله ﷺ في حصاره لبني قريظة، ولما

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٣٤)، ومسلم (رقم/ ٣٦٧)، واللفظ لمسلم.
٢- انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٤ / ٣٦٧).

حكم سعد فيهم تقول عائشة رضي الله عنها: ثم دعا سعد بن معاذ - يعني: بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم - فقال: اللهم إنَّك قد علمت أنه لم يكن قوم أحبّ إليّ أن أقاتل أو أجاهد من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك فانفجر كلمه، فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد، قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، فوالذى نفس محمد بيده، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لفي حجرتي، قالت: وكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]، قال علقمة: أي أُمَّه! كيف كان يصنع رسول الله ﷺ؟

قالت: كانت عينه لا تدمع على أحدٍ، ولكنه كان إذا اشتدَّ وَجْدُه على أحد، أو إذا وَجَدَ فإنما هو آخذ بلحيته[2].

١- [الفتح: ٢٩].

٢- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٦ / ١٤١)، وصححه ابن حبان (رقم/ ٧٠٢٨)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٢): «إسناده جيد، وله شواهد من وجوه كثيرة»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٨): «فيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات».

في الحديبية

كان خروج النبي ﷺ للعمرة ببيت الله الحرام، ولكن قريشًا أرادت الحرب، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، وكان في مشورة أبي بكر الخير؛ فعن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه، قالا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة، قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، قال: إن قريشًا جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، ومانعوك، فقال: «أشيروا أيها الناس عليّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينًا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين»، قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت، لا تريد قتلَ أحدٍ، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: «امضوا على اسم الله»[1].

وينقل لنا عروة بن الزبير تفاصيل أحداث صلح الحديبية ودور أبي بكر رضي الله عنه في المفاوضات وبعد الصلح؛ فعن عروة بن الزبير، عن المسور

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤١٧٨).

بن مخرمة، ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلتُه، فقال الناس: حَلْ حَلْ فألَحَّت، فقالوا: خَلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضًا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّيِّ حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا

معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر: فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره»، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشًا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولًا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أو لست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلمَّا بلَّحُوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، اقبلوها ودعوني آتيه، قالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك، وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهًا، وإني لأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر الصِّديق:

امصص ببظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجْزِك بها لأجبتُك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلَّم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أيْ غدرُ، ألستُ أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدلَّك بها وجهه وجلده، وإذا أَمَرَهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فدلَّك بها وجهه وجلده، وإذا

أَمَرَهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البُدْن، فابعثوها له»، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البُدْن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب، عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: «لقد سهل لكم من أمركم»، قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال:

«هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنَّا نعلم أنَّك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله» - قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» - فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنَّا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددتَه إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذن لم أصالحك على شيء أبدًا، قال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذب عذابًا شديدًا في الله، قال: فقال عمر بن

الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألست نبي الله حقًا، قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل، قال: «بلى»، قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام»؟ قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيُّها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبَرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، - قال الزهري: قال عمر -: فعملت لذلك أعمالًا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثمَّ لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه،

ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾[1]، فطلق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغوا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرًا»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ، قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب، لو كان له أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج

١- [الممتحنة: ١٠].

حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم، لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[1]، حتى بلغ ﴿ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾[2]، وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

قال أبو عبد الله البخاري: مَعرَّةٌ، العُرُّ: الجَرَبُ، تزيَّلوا: تميَّزوا، وَحَمَيْتُ القوم: مَنَعْتُهم حمايةً، وأَحْمَيتُ الحِمى: جعلته حِمىً لا يُدخل، وأحميتُ الحديدَ وأحميتُ الرجلَ: إذا أغضبته إحماءً[3].

ومما جاء في الثناء على أهل الحديبية أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفًا وأربع

١- [الفتح: ٢٤].

٢- [الفتح: ٢٦].

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٢٧٣١).

مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة[١].

وعنه أنه قال: أخبرتني أم مبشر: أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[٢] فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز و جل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾»[٣] [٤].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤١٥٤).

٢- [مريم: ٧١].

٣- [مريم: ٧٢].

٤- أخرجه مسلم (رقم/ ٢٤٩٦).

في غزوة خيبر

كان أبو بكر رضي الله عنه أوَّلَ من أخذ راية الحرب في غزوة خيبر؛ فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل بخيبر أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، وأن أبا بكر رضي الله عنه أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نهض فقاتل قتالًا شديدًا ثم رجع(١).

في سرية نجد

خرج أبو بكر رضي الله عنه أميرًا على سرية إلى نجد، يقول عنها سلمة بن الأكوع: أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر رضي الله عنه، فغزونا ناسًا من المشركين فبيتناهم نقتلهم، وكان شعارنا تلك الليلة: «أَمِتْ أَمِتْ». قال سلمة: فقتلت بيدي تلك الليلة سبعة أهل أبيات من المشركين(٢).

١- [لا بأس به]: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٩)، وصححه، وله شاهد أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٥٣) بإسناد رجاله ثقات، وفيه ردٌّ على ما قاله شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٣٦٦): «ولم تكن الراية قبل ذلك لأبي بكر، ولا لعمر، ولا قربها واحد منهما، بل هذا من الأكاذيب».

٢- [صحيح]: أخرجه أبو داود (رقم/ ٢٦٣٨)، وصححه ابن حبان (رقم/ ٤٧٤٤)، وأصله في «صحيح مسلم» (رقم/ ١٧٥٥).

في سرية فزارة

كما خرج أبو بكر رضي الله عنه أميرًا على سرية إلى فزارة؛ يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، أمَّره رسول الله ﷺ علينا، فلمَّا كان بيننا وبين الماء ساعةٌ، أمرنا أبو بكر فعرَّسْنا، ثم شنَّ الغارة، فورد الماء، فقتل من قتل عليه، وسبى، وأنظرُ إلى عنق من الناس فيهم الذراريُّ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهمٍ بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السَّهم وقفوا، فجئتُ بهم أسوقهم وفيهم امرأةٌ من بني فزارة عليها قَشْعٌ من أدم - قال: القشع: النِّطَع - معها ابنةٌ لها من أحسن العرب، فسُقْتُهم حتى أتيت بهم أبا بكر، فنفَّلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبًا، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «يا سلمة، هبْ لي المرأة»، فقلت: يا رسول الله، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبًا، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق، فقال لي: «يا سلمة، هبْ لي المرأة لله أبوك»، فقلت: هي لك يا رسول الله، فوالله ما كشفت لها ثوبًا، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، فَفَدَى بها ناسًا من المسلمين كانوا أُسروا بمكة»[1].

١- أخرجه مسلم (رقم/ ١٧٥٥).

في سرية ذات السلاسل

خرج أبو بكر رضي الله عنه في سرية ذات السلاسل، وكان أميرها عمرو بن العاص؛ فعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا نارًا، فغضب عمر وهمَّ أن ينال منه، فنهاه أبو بكر رضي الله عنه، وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلا لعلمه بالحرب؛ فهدأ عنه عمر رضي الله عنه[1].

في فتح مكة

كان السبب المباشر لفتح مكة هو نقض قريش لصلح الحديبية، فقد دخلت قبيلة خزاعة في أمان النبي ودخلت بنو بكر في أمان قريش، فعدت بنو بكر على بني خزاعة وأمنتهم قريش؛ ففكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو قريش، وهنا قدم أبو سفيان المدينة.

عن موسى بن عقبة، في فتح مكة، قال: خرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخوَّف الذي كان، فقال: يا محمد، اشْدُد العقد، وَزِدْنا في المُدَّة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولذلك قَدِمتَ؟ هل كان مِنْ حدثٍ قِبَلَكُم»؟

١- [صحيح]: أخرجه ابن حبان (رقم/ ٤٥٤٠)، والحاكم (٣/ ٤٥)، واللفظ له.

قال: «معاذ الله، نحن على عَهْدِنا وصُلْحِنا يوم الحديبية، لا نغيِّر ولا نبدِّل»، فخرج من عند رسول الله ﷺ، فأتى أبا بكر فقال: جدِّد العقدَ، وَزِدْنا في المـدَّة، فقال أبو بكر: جِواري في جِوار رسولِ الله ﷺ، والله لو وجدتُ الذَّرَّ تقاتلكم لأعنتُها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلَّمه، فقال عمر: ما كان من حلفنا جديدًا فأَخْلَقَه الله، وما كان منه مثبتًا فَقَطَعَه الله، وما كان منه مقطوعًا فلا وَصَلَه الله، فقال له أبو سفيان: جُزِيتَ من ذي رَحِمٍ سوءًا، ثم دخل على عثمان فكلَّمه فقال عثمان: جِواري في جِوار رسولِ الله ﷺ، ثمَّ اتَّبع أشرافَ قريش والأنصار يكلمهم، فكلُّهم يقول: عَقْدُنا في عَقْدِ رسول الله ﷺ، فلما يَئِسَ مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فكلَّمها فقالت: إنما أنا امرأةٌ، وإنما ذاك إلى رسول الله ﷺ، قال: فَأْمُرِي أَحَدَ ابْنَيْكِ، قالت: إنما هما صبيَّان ليس مثلهما يُجير، قال: فكلِّمي عليًا، قالت: أنت فكلِّمه، فكلَّم عليًا، فقال: يا أبا سفيان إنه ليس أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يَفْتَاتُ على رسول الله ﷺ بجوارٍ، وأنت سيِّدُ قريشٍ وأكبرها وأمنعها، فَأَجِرْ بين عشيرتك، قال: صَدَقْتَ، وأنا كذلك، فخرج فصاح: ألا إني قد أَجَرْتُ بين الناس، ولا والله لا أظنُّ أن يُخفِّرَني أحد، ثم دخل على النبي ﷺ، فقال: يا محمد قد أَجَرْتُ بين الناس،

ولا والله ما أظنُّ أن يُخفِّرَني أحد ولا يُردَّ جواري، فقال: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»! فخرج أبو سفيان على ذلك فزعموا والله أعلم أن رسول الله ﷺ قال حين أَدْبَرَ أبو سفيان: «اللهم خُذْ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتةً، ولا يسمعون بنا إلا فجأةً».

وقدم أبو سفيان مكة، فقالت له قريش: ما وراءك؟ هل جئت بكتابٍ من محمد أو عهده، قال: لا، والله لقد أبى عليّ، وقد تتبعت أصحابَه فما رأيت قومًا لملكٍ عليهم أطوعَ منهم له، غير أن علي بن أبي طالب قد قال لي: لِمَ تلتمس جوارَ الناس على محمد، ولا تُجير أنتَ عليه وعلى قومك وأنت سيِّدُ قريش وأكبرها وأحقها أن لا يُخفَّر جِوارُه؟ فقمتُ بالجِوار، ثم دخلت على محمد فذكرت له أن قد أَجَرْتُ بين الناس، وقلت: ما أظن أن تُخفِّرَني، فقال: أنت يا أبا حنظلة تقول ذلك؟ فقالوا مجيبين له: رضيتَ بغير رضًا وجئتنا بما لا يغني عنَّا ولا عنك شيئًا، وإنما لَعِبَ بك عليٌّ، لعمرو الله ما جوارك بجائر، وإنَّ إِخْفَارَك عليهم لهيِّنٌ، ثم دخل على امرأته فحدَّثها الحديث، فقالت: فتح الله من وافدِ قومٍ فما جئتَ بخير، ورأى رسول الله ﷺ سحابًا فقال: «إن هذا السحاب لينصَبُّ بنصر بني كعب». فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج من عنده أبو سفيان، ثم

أعذر في الجهاز، وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، أو إلى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حِنْطَةً تُنْسَفُ، أو تُنقَّى، فقال لها: يا بنيَّة، لماذا تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت، فقال: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت، فقال: لعلَّه يريد بني الأصفر، وهم الروم، فذكر من ذلك أمرًا فيه منهم بعض المكروه في ذلك الزمان، فصمتت، قال: فلعلَّه يريد أهلَ نجد فذكر منهم نحوًا من ذلك، فصمتت، قال: فلعلَّه يريد قريشًا وإن لهم مدةً، فصمتت، قال: فدخل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتريد أن تخرج مخرجًا؟ قال: «نعم». قال: لعلك تريد بني الأصفر؟ قال: «لا»، قال: أفتريد أهل نجد؟ قال: «لا»، قال: فلعلك تريد قريشًا؟ قال: «نعم»، قال أبو بكر: يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة، قال: ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب؟ وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو[1].

وقد شاور النبي ﷺ الصحابة قبل أن يأخذ قرار الغزو، وكان أول من شاورهم هو أبو بكر رضي الله عنه.

١- [ضعيف]: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥ / ٩)، ومختصرًا في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٩١)، وانظر: «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٢).

عن محمد بن الحنفية قال: خرج رسول الله ﷺ من بعض حُجره فجلس عند بابِها، وكان إذا جلس وَحْدَه لم يأته أحدٌ حتى يدعوه قال: ادعُ لي أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلًا ثم أمره فجلس عن يمينه أو عن يساره، ثم قال: ادعُ لي عمر فجاء فجلس إلى أبي بكر فناجاه طويلًا فرفع عمر صوتَه، فقال: يا رسول الله هم رأسُ الكفرِ، هم الذين زعموا أنك ساحرٌ وأنك كاهن وأنك كذاب وأنك مُفْتَرٍ، ولم يدع شيئًا مما كان أهل مكة يقولونه إلا ذَكَرَه، فأمره أن يجلس من الجانب الآخر فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، ثم دعا الناس، فقال: «ألا أحدِّثكم بمثل صاحبيكم هذين»؟ قالوا: نعم يا رسول الله فأقبل بوجهه إلى أبي بكر، فقال: «إن إبراهيم كان أَلْيَنَ في الله من الدُّهْنِ في اللَّبَن»، ثم أقبل على عمر، فقال: «إن نوحًا كان أشدَّ في الله من الحَجَر، وإن الأمرَ أمرُ عمر فتجهزوا»، فقاموا فتبعوا أبا بكر، فقالوا: يا أبا بكر إنا كرهنا أن نسأل عمر، ما هذا الذي ناجاك به رسول الله ﷺ؟ قال: قال لي كيف تأمروني في غزو مكة؟ قلت: يا رسول الله هم قومك حتى رأيت أنه سيطيعني، ثم دعا عمر فقال عمر: إنهم لرأس الكفر حتى ذكر كلَّ سوءٍ كانوا يقولونه، وأيمُ الله لا تَذِلُّ العربُ حتى تذلَّ أهل مكة، فأمركم

بالجهاز لتغزوا مكة[١].

وقد رأى أبو بكر رضي الله عنه رؤيا قبل دخول مكة، فقد قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، أراني في المنام وأراك دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهرُّ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فإذا هي تشخب لبنا، فقال: «ذهب كلبهم، وأقبل درُّهم، وهم سائلوكم بأرحامكم، وإنكم لاقون بعضهم، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه»، فلقوا أبا سفيان وحكيمًا بِمَـــرٍّ[٢].

وكان أبو بكر رضي الله عنه مرافقًا للنبي ﷺ أثناء الفتح؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوهَ الخيل بالخُمُر، فتبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان بن ثابت»؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

عدمت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كتفي كداء
ينازعن الأعنة مسرعات ... يلطمهن بالخمر النساء

فقال رسول الله ﷺ: «ادخلوا من حيث قال حسان»[٣].

١- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (رقم/ ٣٦٩٥١).
٢- ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (٥ / ٤٨) بلفظ: «يقال».
٣- [صحيح]: أخرجه الحاكم (٣ / ٧٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥ / ٤٨).

وبعد أن دخل النبي ﷺ مكة، كان إسلام أبي قُحَافة والد أبي بكر ﵁، فعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية أظهريني على أبي قبيس، قالت: وقد كُفَّ بَصَرُه، فأشرفت به عليه، قال: يا بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سوادًا مجتمعًا، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلًا يسعى بين يدي ذلك السَّواد مقبلًا ومدبرًا، قال: ذاك يا بنية الوازع الذي يأمر الخيل، ويتقدَّم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السَّواد، فقال: قد والله دُفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به، فتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق الجارية طَوْقٌ لها من وَرَقٍ، فتلقاها رجل، فاقتلعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ، ودخل المسجد أتاه أبو بكر ﵁ بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه»، قال أبو بكر ﵁: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أَسْلِم»، فأَسْلَم، قالت: ودخل به أبو بكر ﵁ على رسول الله ﷺ وكأن رأسَه ثَغَامَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «غيِّروا هذا من شَعْره»، ثم قام أبو بكر وأخذ بيد أخته، فقال: أَنْشُدُ اللهَ والإسلام طَوْقَ

أختي، فلم يُجبه أحد، فقال: يا أُخَيَّة احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليلٌ[١].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته، لأتيناه تكرمةً لأبي بكر»، فأسلم ولحيته ورأسه كالثَّغَامَة بياضًا، فقال رسول الله ﷺ: «غيروهما، وجنبوه السواد»[٢].

وقد ذكروا أنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مرافقًا للنبي ﷺ بعد دخول مكة؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يوم الفتح قاعدًا، وأبو بكر قائمٌ على رأسِه بالسيف[٣].

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٤٩) من حديث أسماء بنت أبي بكر، وصححه ابن حبان (رقم/ ٧٢٠٨)، والحاكم (٣/ ٤٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٤): «رجاله ثقات»، وتقدم مختصرًا.

٢- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٦٠)، وصححه ابن حبان (رقم/ ٥٤٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٠): «رجاله رجال الصحيح»، وله شاهد في «صحيح مسلم» (رقم/ ٢١٠٢) من حديث جابر.

٣- [ضعيف]: أخرجه البزار في «مسنده» (رقم/ ٨٧٧٤)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٦).

في غزوة حنين

لما جلب اغترار بعض المسلمين بعددهم وقوتهم ما جلب في غزوة حنين، وتعرضوا للهجوم، كان أبو بكر ﷺ ممن ثبت مع رسول الله ﷺ؛ فعن جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي حنين قال: انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف، حطوط، إنما ننحدر فيه انحدارًا، قال: وفي عَمَايَة الصُّبح، وقد كان القوم كَمَنُوا لنا في شِعابه، وفي أَجْنَابِه، ومَضَايقه، قد أجمعوا وتهيَّئوا، وأعدُّوا قال: فوالله ما راعَنا، ونحن منحطون إلا الكتائب، قد شدَّت علينا شدَّة رجلٍ واحد، وانهزم الناس راجعين فاستمروا لا يلوي أحدٌ منهم على أحدٍ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: «إليَّ أيها الناس، هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله»، قال: فلا شيء احتملت الإبل بعضها بعضًا، فانطلق الناس إلا أنَّ مع رسول الله ﷺ رهطًا من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته غير كثير، ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته: علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر في يده راية له سوداء في رأس رمح طويل له أمام الناس، وهوازن

خلفه، فإذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه، فاتبعوه[١].

وبعد أن انتهت المعركة كان لأبي بكر رضي الله عنه رأي في قسمة الغنائم؛ فعن أبي قتادة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلمَّا التقينا كانت للمسلمين جولة، قال: فرأيت رجلًا من المشركين قد علا رجلًا من المسلمين، فاستدرت إليه حتى أتيته من ورائه، فضربته على حبل عاتقه، وأقبل عليَّ فضمَّني ضمَّة وجدت منها ريحَ الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب، فقال: ما للناس؟ فقلت: أَمْرُ الله، ثم إنَّ الناس رجعوا وجلس رسول الله ﷺ، فقال: «من قتل قتيلًا له عليه بيِّنة، فله سَلَبُه»، قال: فقمت، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال مثل ذلك، فقال: فقمت، فقلت من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال ذلك الثالثة، فقمت، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا قتادة»؟ فقصصت عليه القصة، فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله، سَلَبُ ذلك القتيل عندي، فارْضِه من حَقِّه، وقال أبو بكر الصِّديق: لَاهَا اللهِ، إذًا لا يَعْمِد إلى أسدٍ من أُسد الله، يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سَلَبَه، فقال رسول

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٧٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (رقم/ ١٨٦٢) والبزار في «مسنده» (رقم/ ١٨٣٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٠): «فيه ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع في رواية أبي يعلى، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح».

الله ﷺ: «صدق، فأعطه إيَّاه»، فأعطاني[1].

كما كان أبو بكر رضي الله عنه حاضرًا لما جاء عباس بن مرداس إلى النبي وأنشده شعرًا؛ فعن موسى بن عقبة، قال: قال عباس بن مرداس السُّلمي حين رأى رسول الله ﷺ يَقْسِم الغنائم وهو يَسْتَكْثِرُ رسول الله ﷺ:

كانت نِهاباً تلافيتها ... بكرِّي على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تُدرأ ... فلم أُعط شيئا ولم أُمنع
إلا أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ رسول الله ﷺ قوله فدعاه، فقال: «أنت القائل: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة»؟ فقال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: بأبي وأمِّي أنت لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعرٍ وما ينبغي لك، وما أنت براوية، قال: «فكيف»؟ فأنشده أبو بكر، فقال النبي ﷺ: «سواءٌ هما ما يضرُّك بأيهما بدأت: بالأقرع، أم عيينة»، فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣١٤٢)، ومسلم (رقم/ ١٧٥١)، واللفظ لمسلم.

عنِّي لسانَه»، ففزع منها، وقالوا: أمر بعباس بن مرداس يُمثَّل به، وإنما أراد رسول الله ﷺ بقوله: «اقطعوا عنِّي لسانه»، أن يقطعوه بالعطيَّة من الشاء والغنم[١].

في الطائف

في حصار النبي ﷺ للطائف رأى رؤيا فقصها على أبي بكر رضي الله عنه، قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصِّديق وهو محاصر ثقيفًا: «يا أبا بكر، إنِّي رأيت أنَّي أهديت لي قعبة مملوءة زبدًا، فنقرها ديك، فهراق ما فيها». فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك»[٢].

وكان ممن أصيب في ذلك اليوم عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما؛ فقد أصابه سهم كان سببًا في موته، وقد علم أبو بكر رضي الله عنه مَن رماه، وكان له في ذلك موقفٌ كريم؛ فعن القاسم بن محمد، قال: رُمي عبد الله بن أبي بكر بسهمٍ يوم الطائف، فانتُقِضَت به بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٤/ ٢٧٢) عن عبد الرحمن بن أبي الزناد مرسلًا به، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥ / ١٨١) عن موسى بن عقبة مرسلًا به.

٢- ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٦٩) عن ابن إسحاق بلاغًا، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢ / ٤٨٤).

ليلةً، فمات فدخل أبو بكر على عائشة، فقال: أَيْ بنيَّة، والله لكأنما أُخِذَ بأُذُن شاةٍ، فأُخرجت من دارنا، فقالت: الحمد لله الذي رَبَطَ على قلبك، وعَزَمَ لك على رشدك، فخرج ثمَّ دخل، فقال: أَيْ بنيَّة، أتخافون أن تكونوا دفنتم عبدَ الله وهو حيٌّ؟ فقالت: إنَّا لله وإنا إليه راجعون يا أَبَتِ، فقال: أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أَيْ بنيَّة إنه ليس أحدٌ إلا وله لِمَّتان: لِمَّةٌ من الملَك ولِمَّة من الشيطان. قال: فقدم عليه وفد ثقيف، ولم يزل ذلك السهم عَنَاه فأخرج إليهم، فقال: هل يعرف هذا السهمَ منكم أحدٌ؟ فقال: سعد بن عبيد أخو بني العجلان هذا سهم أنا بَرَيْتُه وَرِشْتُه وعَقَّبته، وأنا رميت به، فقال أبو بكر: فإنَّ هذا السهم الذي قتل عبد الله بن أبي بكر، فالحمد لله الذي أكرمه بيدك، ولم يَهْنِك بيده، فإنه واسع الحِمى[1].

ولما قدم وفد ثقيف بعد ذلك إلى المدينة ليسلموا بين يدي النبي ﷺ كان أبو بكر ﵁ حريصًا أن يسرع ليبشِّر النبيَّ ﷺ بقدومهم، قال ابن هشام: فلما دنا وفد ثقيف من المدينة، ونزلوا قناةً، ألفوا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نَوْبَتِه ركابَ أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رِعْيَتُها نُوَبًا على أصحابه ﷺ، فلما رآهم ترك الركاب عند

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الحاكم (٣/ ٥٤٣)، وعنه البيهقي (٩/ ١٦٧).

الثقفيين، وَضَبَرَ[١] يَشْتَدُّ، ليبشّر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصِّديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيفٍ أنْ قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطًا، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابًا في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدومهم عليه[٢].

في غزوة تبوك

حثَّ النبي ﷺ الصحابة لينفقوا في سبيل الله لتجهيز الجيش؛ فتصدق أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمالِه كله؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك»؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم اللهَ ورسولَه،

١- أي: وثب، انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٢/ ٧١٩).

٢- «السيرة النبوية» (٢/ ٥٣٩).

قلت: لا أسابقك إلى شيءٍ أبدًا[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فكان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة؛ لكن حال الصِّديق رضي الله عنه أفضل منه، وهو أنه خالٍ من المنافسة مطلقًا لا ينظر إلى حال غيره[٢].

وقد أصاب المسلمين في غزوة تبوك عطشٌ شديد؛ فطلب أبو بكر من النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم، فأجاب النبيُّ صلى الله عليه وسلم طَلَبَه؛ فعن عبد الله بن عباس، أنه قيل لعمر بن الخطاب، حدِّثنا عن شأن ساعة العُسْرَة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قَيْظٍ شديد، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش حتى ظننَّا أن رقابنا ستنقطع، حتى إنَّ الرجل لَيَنْحَر بعيرَه، فيعصر فَرْثَه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصِّديق: يا رسول الله إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيرًا فادعُ له، فقال: «أتحبُّ ذلك»؟ قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلَّت ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر[٣].

١- [صحيح]: تقدم تخريجه.

٢- «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١١٧).

٣- [صحيح]: أخرجه ابن خزيمة (رقم/ ١٠١)، وابن حبان (رقم/ ١٣٨٣)، والحاكم (١ / ٢٦٣)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٣): «إسناده جيد».

إمارة الحج

أرسل النبي ﷺ أبا بكر أميرًا على رحلة الحج في العام التاسع من الهجرة، وكان ذلك لتطهير البيت قبل أن يحجَّ رسول الله في السنة التالية؛ فعن أبي هريرة، قال: بعثني أبو بكر الصِّديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ، قبل حجة الوداع، في رهط، يؤذِّنون في الناس يوم النحر: «لا يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ عليًّا، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذَّن معنا عليٌّ في أهل منى يوم النحر: «لا يَحُجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»[١].

وقد كان إرسال عليٍّ رضي الله عنه بسبب نزول سورة براءة، فأرسله النبيُّ ﷺ ليقرأها على الناس في الحج؛ فعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ استعمل أبا بكر على الحج، ثم وجَّه ببراءة مع علي، فقال أبو بكر: يا رسول الله، وجدت عليَّ في شيء؟ قال: «لا، أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض»[٢].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٩)، ومسلم (رقم/ ١٣٤٧)، واللفظ للبخاري.

٢- [رجاله رجال الصحيح]: أخرجه البزار [«كشف الأستار» (رقم/ ٢٤٨٥)]، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٥٠): «رجاله رجال الصحيح»، وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه الترمذي (رقم/ ٣٦٧٠)، وقال: حسن صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فبعث النبيُّ ﷺ أبا بكر الصِّديق أميرًا على الحاج وأمره أن ينادي: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف عريان فكانوا يصرخون بها من الموسم كما ثبت ذلك في «الصحيح» وغيره في حديث أبي هريرة وغيره وهو من المتواتر، وأردفه النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب أن لا ينبذ للمعاهدين عهودهم؛ لأن عادتهم كانت أن لا يقبلوا بنبذ العهد وحله إلا من الكبير أو بعض أهل بيته فأخرهم النبي ﷺ، إذ ذاك على عادتهم ليقبلوا ذلك، وكان أبو بكر هو الإمام الذي يقيم للناس مناسكهم ويصلي بهم ويحكم فيهم وعلي معه ليبلغ رسالة البراءة إلى أهل العهود[١].

قال شيخ الإسلام: وكان أبو بكر هو الأمير على الموسم وعلي معه يصلي خلفه ويأتمر بأمره، لكن أرسله النبي ﷺ؛ لأنه كان من عادة العرب أن العهود لا يعقدها ولا يحلها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته؛ فخاف إن لم يبعث واحدًا من أهل بيته أن لا يقبلوا نبذ العهود، ولم يرجع أبو بكر إلى المدينة ولا عزله عن شيء كان ولَّاه، وما روي من ذلك فهو من الكذب المعلوم أنه كذب[٢].

١- «الاستقامة» (٢ / ١٧٣).

٢- «الصفدية» (٢ / ٣١٩)، وانظر: «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢ / ٨٧٨، ٨٨٧-٨٨٩).

وقال ابن القيم: فقيل: أرسل عليًّا؛ لأن أولها نزل بعد خروج أبي بكر إلى الحج. وقيل: بل لأنَّ عادة العرب كانت أنه لا يحل العقود ويعقدها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته. وقيل: أردفه به عونًا له ومساعدًا؛ ولهذا قال له الصِّديق: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور.

وأما الغلاة، فيقولون عَزَلَه بعلي، وليس هذا ببدع من بهتهم وافترائهم(١).

في حجة الوداع

كان أبو بكر رضي الله عنه حاضرًا في حجة الوداع؛ فعن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، أن أسماء بنت أبي بكر، قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجَّاجًا، حتى إذا كنَّا بالعَرْجِ، نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست عائشة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلست إلى جنب أبي، وكانت زِمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزِمالة أبي بكر واحدةً مع غلام أبي بكر، فجلس أبو بكر ينتظره أن يَطْلُع عليه، فَطَلَعَ، وليس معه بَعِيرُه، فقال: أين بَعِيرُك؟ قال: أَضْلَلْتُه البارحة، فقال أبو بكر: بعيرٌ واحد تُضِلُّه، فَطَفِقَ يَضْرِبُه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسَّم، ويقول: «انظروا إلى هذا المُحْرِمِ وما يصنع»(٢).

١- «زاد المعاد» (١ / ١٢٢) بتصرف.

٢- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٤٤)، وأبو داود (رقم/ ١٨١٨)، وابن ماجه (رقم/ ٢٩٣٣)، وصححه ابن خزيمة (رقم/ ٢٦٧٩)، والحاكم (١/ ٦٢٣).



الفصل الثاني

وفاة الرسول ﷺ

وتولية أبي بكر

المبحث الأول

وفاة الرسول ﷺ

۞ مرض النبي ﷺ وإمامة أبي بكر في الصلاة:

لما دنا أَجَلُ النبي ﷺ جاءته بعض الإشارات بذلك؛ فقام النبيُّ ﷺ خطيبًا في الصحابة وأعطى إشارة بذلك، وكان أبو بكر رضي الله عنه هو الذي فهم تلك الإشارة.

فعن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ، جلس على المنبر فقال: «عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر وبكى، فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «إن أمنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»[1].

١- تقدم تخريجه.

فلما اشتدَّ المرض برسول الله ﷺ، ولم يستطع الخروج لإمامة المسلمين في الصلاة، أمر أن يقوم أبو بكر بإمامة الناس، وأصرَّ على ذلك؛ فعن عبيد الله بن عبد الله، قال: دخلت على عائشة فقلت لها ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى ثَقُلَ النبي ﷺ، فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب»، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب»، ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب»، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: «أصلَّى الناس»؟ فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلِّي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلِّي بالناس، فقال أبو بكر وكان رجلًا رقيقًا: يا عمر صلِّ بالناس، قال: فقال عمر: أنت أحقُّ بذلك، قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إنَّ

رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وَجَدَ من نفسه خفَّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس، لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّر، فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أن لا يتأخَّر، وقال لهما: «أجلساني إلى جنبه»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد.

قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس، فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدَّثتني عائشة عن مَرَضِ رسول الله ﷺ، فقال: هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي[١].

وهذه الرواية فيها أنَّ النبيَّ ﷺ كان إمامًا وأبو بكر رضي الله عنه يقتدي به، وجاء في رواية أخرى عكس ذلك؛ فعن عائشة، قالت: صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه خلف أبي بكر قاعدًا[٢].

وربما يظهر التعارض بين هذين الحديثين؛ ولكن أجاب ابن حبان

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٨٧)، ومسلم (رقم/ ٤١٨).

٢- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٥٩)، وابن حبان (رقم/ ٢١١٩)، وله شاهد من حديث أنس بن مالك، أخرجه الترمذي (رقم/ ٣٦٣)، وقال: حسن صحيح، وانظر: «فتح الباري» لابن رجب (٤/ ٨٩).

رحمه الله، فقال: ونحن نقول بمشيئة الله وتوفيقه: إن هذه الأخبار كلها صحاحٌ وليس شيء منها يعارض الآخر، ولكنَّ النبي ﷺ صلَّى في علته صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة في إحداهما كان مأمومًا، وفي الأخرى كان إمامًا، والدليل على أنهما كانا صلاتين لا صلاة واحدة أن في خبر عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ خرج بين رجلين يريد أحدهما العباس والآخر عليًا، وفي خبر مسروق، عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ خرج بين بريرة ونوبة، فهذا يدلك على أنها كانت صلاتين لا صلاة واحدة[١].

وقد أصرَّ النبي ﷺ إصرارًا شديدًا ألَّا يصلي بالناس إلا أبو بكر رضي الله عنه؛ فعن عبد الله بن زمعة، قال: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: «مروا من يصلي للناس»، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقلت: يا عمر قُم فصلِّ بالناس، فتقدَّم فكبَّر، فلمَّا سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلًا مجهرًا، قال: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»، فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلَّى عمر

١- «الصحيح» (٥ / ٤٨٨).

تلك الصلاة فصلَّى بالناس[١].

وفي يومٍ آخر أحسَّ النبي ﷺ من نفسه راحةً فنظر للناس وهم يصلون من سجف حجرته، فظنوا أنه خارج للصلاة، لكنها كانت آخر مرة يرى فيها الصحابة رسول الله ﷺ؛ فعن أنس بن مالك، أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ، الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظر إلينا، وهو قائم كأنَّ وَجْهَه ورقةُ مصحفٍ، ثم تبسَّم رسول الله ﷺ ضاحكًا، قال: فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظنَّ أنَّ رسول الله ﷺ خارجٌ للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتمّوا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر، قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك[٢].

فلما اشتدَّت السكرات برسول الله ﷺ دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه؛ فعن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وأنَّ الله جَمَعَ

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٢)، وأبو داود (رقم/ ٤٦٦٠)، وصححه الحاكم (٣/ ٧٤٣)، والضياء في «المختارة» (٩/ ٣٥٨).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٨٠)، ومسلم (رقم/ ٤١٩)، واللفظ لمسلم.

بين رِيقِي ورِيقِه عند موتِه: دخل عليَّ عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مسندةٌ رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فتناولته، فاشتدَّ عليه، وقلت: ألَيِّنه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فليَّنته، فأمره، وبين يديه رَكْوَةٌ أو عُلْبَةٌ فيها ماءٌ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى»، حتى قُبِضَ ومالت يده[1].

وأنكر بعض الغلاة في علي حقيقة إمامة أبي بكر بالناس في مرض النبي ﷺ، وأوردوا كثيرًا من الشبهات ردَّها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فنقل قول ابن المطهر: وأما تقديمه في الصلاة فخطأ؛ لأنَّ بلالًا لما أذَّن بالصلاة، أمرت عائشة أن يقدم أبا بكر فلما أفاق رسول الله ﷺ سمع التكبير، فقال: «من يصلي بالناس»، فقالوا: أبو بكر فقال: أخرجوني فخرج بين علي والعباس فنحاه عن القبلة وعزله عن الصلاة، وتولى الصلاة.

وأجاب عنه: أن هذا من الكذب المعلوم عند جميع أهل العلم

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٤٤٩).

بالحديث، ويقال له: أولًا: مَن ذكر ما نقلته بإسناد يوثق به؟ وهل هذا إلا في كتب من نقله مرسلًا من الرافضة، الذين هم من أكذب الناس وأجهلهم بأحوال الرسول مثل المفيد بن النعمان، والكراجكي وأمثالهما من الذين هم من أبعد الناس عن معرفة حال الرسول وأقواله وأعماله؟

ويقال: ثانيًا: هذا كلام جاهل يظن أنَّ أبا بكر لم يصل بهم إلا صلاة واحدة، وأهل العلم يعلمون أنه لم يزل يصلي بهم حتى مات رسول الله ﷺ بإذنه واستخلافه له في الصلاة، بعد أن راجعته عائشة وحفصة في ذلك وصلى بهم أيامًا متعددة، وكان قد استخلفه في الصلاة قبل ذلك، لما ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، ولم ينقل أن النبي ﷺ استخلف في غيبته على الصلاة، في غير سفر في حال غيبته، وفي مرضه إلا أبا بكر ولكن عبد الرحمن بن عوف صلى بالمسلمين مرة صلاة الفجر في السفر عام تبوك؛ لأن النبي ﷺ كان قد ذهب ليقضي حاجته فتأخَّر، وقدَّم المسلمون عبد الرحمن بن عوف، فلما جاء النبي ﷺ ومعه المغيرة بن شعبة، وكان النبي ﷺ قد توضأ ومسح على خفيه فأدرك معه ركعة، وقضى ركعة، وأعجبه ما فعلوه من صلاتهم لما تأخَّر،

فهذا إقرار منه على تقديم عبد الرحمن.

وكان إذا سافر عن المدينة استخلف من يستخلفه يصلي بالمسلمين، كما استخلف ابن أم مكتوم تارة، وعليًّا تارة في الصلاة، واستخلف غيرهما تارة.

فأما في حال غيبته ومرضه؛ فلم يستخلف إلا أبا بكر لا عليًّا ولا غيره، واستخلافه للصديق في الصلاة متواتر ثابت في الصحاح والسنن والمساند من غير وجه، كما أخرج البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم من أهل الصحيح عن أبي موسى الأشعري، قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس، فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف»، فصلى بهم أبو بكر في حياة رسول الله ﷺ، وذكر البخاري فيه مراجعة عائشة للنبي ﷺ ثلاث مرات.

وهذا الذي فيه من أن أبا بكر صلى بهم في حياة النبي ﷺ في مرضه إلى أن مات مما اتفق عليه العلماء بالنقل، فإن النبي ﷺ مرض أيامًا متعددة حتى قبضه الله إليه، وفي تلك الأيام لم يكن يصلي بهم إلا أبو

بكر، وحجرته إلى جانب المسجد، فيمتنع والحال هذه أن يكون قد أمر غـيره بالصلاة، فصلَّى أبو بكر بغير أمره تلك المدة، ولا مراجعة أحد في ذلك.

والعباس وعلي وغيرهما كانوا يدخلون عليه بيته، وقد خرج بينهما في بعض تلك الأيام.

والعلماء كلهم متفقون على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول؛ فدلَّ هذا على أن تقديم غير أبي بكر في الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه كما ذم النسوة على مراودة يوسف، هذا مع أنَّ أبا بكر قد قال لعمر يصلي فلم يتقدَّم عمر، وقال: أنت أحقُّ بذلك، فكان في هذا اعتراف عمر له أنه أحقُّ بذلك منه، كما اعترف له بأنه أحقُّ بالخلافة منه ومن سائر الصحابة، وأنه أفضلهم.

فقول هؤلاء الكذابين: إن بلالًا لما أذَّن أمرته عائشة أن يقدِّم أبا بكر، كذب واضح لم تأمره عائشة أن يقدِّم أبا بكر، ولم تأمره بشيء ولا أخذ بلال ذلك عنها، بل هو الذي آذنه بالصلاة، وقال النبي ﷺ لكل من حضره: لبلال وغيره: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فلم يخص عائشة بالخطاب، ولا سمع ذلك بلال منها.

وقوله: فلمَّا أفاق سمع التكبير، فقال: من يصلي بالناس؟ فقالوا: أبو بكر، فقال: أخرجوني.

فهو كذبٌ ظاهر؛ فإنه قد ثبت بالنصوص المستفيضة التي اتفق أهل العلم بالحديث على صحتها أنَّ أبا بكر صلَّى بهم أيامًا قبل خروجه، كما صلَّى بهم أيامًا بعد خروجه، وأنه لم يصلِّ بهم في مرضه غيره.

ثم يقال: من المعلوم المتواتر أن النبي ﷺ مرض أيامًا متعددة عجز فيها عن الصلاة بالناس أيامًا، فمَن الذي كان يصلي بهم تلك الأيام غير أبي بكر؟ ولم ينقل أحد قط: لا صادق ولا كاذب: أنه صلى بهم غير أبي بكر، لا عمر ولا علي ولا غيرهما، وقد صلوا جماعة، فعلم أن المصلي بهم كان أبا بكر.

ومن الممتنع أن يكون الرسول لم يعلم ذلك، ولم يستأذنه المسلمون فيه، فإن مثل هذا ممتنعٌ عادة وشرعًا، فعلم أن ذلك كان بإذنه[1].

١- «منهاج السنة» (٨/ ٥٥٦ - ٥٧٤) بتصرف شديد.

وفاة النبي ﷺ وتجهيزه ودفنه

لما اشتدَّ المرض بالنبيِّ ﷺ طلب أبو بكر رَضِيَ الله عَنْه أن يمرضه هو؛ فعن عبد الله بن عمر قال: جاء أبو بكر رَضِيَ الله عَنْه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله ائذن لي فَأُمَرِّضُك وأكون الذي أقوم عليك، فقال: «يا أبا بكر إني إن لم أحتمل أزواجي وبناتي وأهل بيتي علاجي ازدادت مصيبتي عليهم عِظَمًا، وقد وقع أجرك على الله تعالى»[1].

فلمَّا كان اليوم الذي توفي فيه النبيُّ ﷺ كان النبيُّ قد وجد من نفسه خفَّةً فاستأذنه أبو بكر أن يذهب إلى بيته بالسُّنْح؛ فعن عبيد بن عمير الليثي أنَّ رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس الصبح، وأنَّ أبا بكر كبَّر، فوجد النبي ﷺ بعض الخفَّة فقام يفرج الصفوف. قال: وكان أبو بكر لا يلتفت إذا صلَّى، فلمَّا سمع أبو بكر الحسَّ من ورائه عرف أنه لا يتقدَّم إلى ذلك المقعد إلا رسول الله ﷺ، فخنس وراءه إلى الصف، فرده رسول الله ﷺ مكانه، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه وأبو بكر قائم يصلي، حتى إذا فرغ أبو بكر قال: أي رسول الله، أراك أصبحت صالحًا، وهذا يوم بنت

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (٤ / ٢٦) بإسناد فيه سيف بن عمر.

خارجة، فرجع أبو بكر إلى أهله، فمكث رسول الله ﷺ مكانه وجلس إلى جنب الحجر يحذر الفتن، قال: «إني والله لا يمسك الناس علي شيئًا إلا أني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه، يا فاطمة بنت رسول الله، يا صفية عمة رسول الله، اعملا لما عند الله؛ فإني لا أغني عنكما من الله شيئًا»(١).

ولم يعد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السُّنْح حتى جاءه الخبر بوفاة النبي ﷺ؛ فجاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسرعًا وكان له موقفٌ عظيم في حماية الدين في ذلك الظرف بالغ الصعوبة؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فرسه من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلِّم الناس حتى دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتيمَّم النبيَّ ﷺ وهو مسجى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه، فقبَّله، ثم بكى، فقال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أمَّا الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها، قال أبو سلمة: فأخبرني ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكلِّم الناس، فقال: اجلس، فأبَى، فقال: اجلس، فأبَى، فتشهَّد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمال إليه الناس، وتركوا عمر، فقال: أمَّا بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ، فإن محمدًا

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الشافعي في «مسنده» (١/ ٢٩)، ومن طريقه البيهقي (٧/ ١٢٠).

ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(١)، والله لكأنَّ الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها(٢).

قال ابن القيم: وكان حبُّ أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ أعظم من حبِّ عمر رضي الله عنه وغيره، ولم يحصل له عند موته من الاضطراب والغشي والإقعاد ما حصل لغيره(٣).

ثم بعد أن حسم أبو بكر رضي الله عنه هذه الفتنة التي كادت أن تحدث، حسم رضي الله عنه أيضًا حيرةً أخرى وقع فيها الصحابة، وهي مكان دفن النبي ﷺ؛ فعن عائشة، قالت: لما قُبِضَ رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه»، ادفنوه في موضع فراشه(٤).

١- [آل عمران: ١٤٤].

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ١٢٤١).

٣- «مدارج السالكين» (٣/ ١٧٥).

٤- [ضعيف]: أخرجه الترمذي (رقم/ ١٠١٨)، واستغربه، وانظر شواهده في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٦- ٢٨٨).

وقد كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رأت رؤيا فكان تفسير أبي بكر لها أن يدفن النبي ﷺ في حجرتها؛ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطت في حجرتي، فسألت أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا عائشة، إن تصدق رؤياك يدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ ودُفِنَ، قال لي أبو بكر: يا عائشة، هذا خير أقمارك، وهو أحدها[1].

وقد كاد الصحابة أن يختلفوا أيضًا في أحقِّ الناس بتجهيز النبي ﷺ؛ فحسم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلاف؛ فعن علي بن أبي طالب قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعًا فنادت الأنصار: نحن أخواله ومكاننا من الإسلام مكاننا! ونادت قريش: نحن عصبته! فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم، فننشدكم الله فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دُعِيَ[2].

فلما بدأ الناس في الصلاة على النبي ﷺ، كان أبو بكر في مقدّمتهم؛ فعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قال: وجدت هذا

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢)، وصححه، وفي إسناده اختلاف، فانظر: «علل الدارقطني» (رقم/ ٣٧٢٩).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٢/ ٢١٣).

في صحيفةٍ بخطِّ أبي فيها: لما كُفِّن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته! ومعهما نَفَرٌ من المهاجرين والأنصار قَدْرَ ما يسع البيت. فسلَّموا كما سلَّم أبو بكر وعمر وصفُّوا صفوفًا لا يؤمُّهم عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر، وهما في الصف الأول حِيال رسول الله ﷺ: اللهم إنَّا نشهد أن قد بلَّغ ما أُنزل إليه ونصح لأمَّته وجاهد في سبيل الله حتى أعزَّ الله دينه وتمَّت كلماته، فآمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلَهَنَا ممن يتبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه، فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا. لا نبتغي بالإيمان بدلًا ولا نشتري به ثمنًا أبدًا، فيقول الناس: آمين آمين! ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلوا عليه. الرجال ثم النساء ثم الصبيان، فلما فرغوا من الصلاة تكلَّموا في موضع قبره[1].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٢/ ٢٢١)، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٧٩): مرسل ضعيف، لكنه حسن المتن.

المبحث الثاني

تولية أبي بكر رضي الله عنه الخلافة

❁ الإشارات على خلافة أبي بكر[1]:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

قال القرطبي: قال بعض العلماء: في قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه؛ لأن الخليفة لا يكون أبدًا إلا ثانيًا، وسمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر يقول: إنما استحق الصِّديق أن يقال له: {ثاني اثنين} لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر، كقيام النبي ﷺ به أولًا، وذلك أن النبي ﷺ لما مات ارتدت العرب كلها، ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة

١- انظر: إمام الأمة وقائدها أبو بكر/د/ حامد الخليفة (٢/ ٨٩).

٢- [التوبة: ٤٠].

ومكة وجواثا[١]، فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي ﷺ؛ فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: قال بعض السلف: خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حق في كتابه، ثم تلا هذه الآية[٤].

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إنْ جئت فلم أجدك؟ - قال أبي: كأنَّها تعني الموت - قال: «فإن لم تجديني فأتي أبا بكر»[٥].

١- موضع بالبحرين، انظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٧٤).

٢- «الجامع لأحكام القرآن» (٨ / ١٤٧- ١٤٨).

٣- [النور: ٥٥].

٤- تفسير ابن كثير: (٦ / ٧٩).

٥- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٥٩)، ومسلم (رقم/ ٢٣٨٦).

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: «بَيْنَا أنا نائمٌ أُرِيتُ أنِّي أنزع على حوضي أسقي الناس، فجاءني أبو بكر فأخذ الدَّلْوَ من يدي لِيُرَوِّحَني، فنزع دلوين، وفي نزعه ضعفٌ، والله يغفر له، فجاء ابن الخطاب فأخذ منه، فلم أر نَزْعَ رجلٍ قطُّ أقوى منه، حتى تولَّى الناسُ، والحوض ملآن يتفجَّر»[١].

قال الشافعي: رؤيا الأنبياء وحي، وقوله: «وفي نزعه ضعف» قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته[٢].

عن حذيفة، قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فقال: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي»، وأشار إلى أبي بكر وعمر[٣].

قال المناوي: قوله: «اقتدوا باللذين» بفتح الذال أي بالخليفتين اللذين

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٦٤)، ومسلم (رقم/ ٢٣٩٢)، واللفظ لمسلم.

٢- انظر: «الاعتقاد» للبيهقي (ص/ ٣٣٩).

٣- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي (رقم/ ٣٦٦٣)، وابن ماجه (رقم/ ٩٧)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (رقم/ ٦٩٠٢)، والحاكم (٣/ ٨٠)، وفي سنده اختلاف، فانظر: «علل الترمذي الكبير» (رقم/ ٦٨٩)، و«علل ابن أبي حاتم» (رقم/ ٢٦٤٨، ٢٦٥٥).

يقومان «من بعدي أبي بكر وعمر» لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما وفيه إشارة لأمر الخلافة[١].

عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، أباك، وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإنِّي أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٢].

عن عبيد الله بن عبد الله، قال: دخلت على عائشة فقلت لها ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى ثَقُلَ النبي ﷺ، فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب»، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب»، ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب»، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق فقال: «أصلَّى الناس»؟ فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن

١- «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١ / ١٩١).

٢- أخرجه مسلم (رقم/ ٢٣٨٧).

يصلِّي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلِّي بالناس، فقال أبو بكر وكان رجلًا رقيقًا: يا عمر صلِّ بالناس، قال: فقال عمر: أنت أحقُّ بذلك، قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وَجَدَ من نفسه خفَّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس، لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّر، فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أن لا يتأخَّر، وقال لهما: «أجلساني إلى جنبه»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد.

قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس، فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدَّثتني عائشة عن مَرَضِ رسول الله ﷺ، فقال: هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي[1].

قال النووي: فيه فوائد منها فضيلة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله، وتنبيه على أنه أحقُّ بخلافة رسول الله ﷺ من غيره، ومنها أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم، وأنه لا يستخلف إلا

١- تقدم تخريجه.

أفضلهم، ومنها فضيلة عمر بعد أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يعدل إلى غيره[١].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت الأنصار: منَّا أمير ومنكم أمير، قال: فأتاهم عمر رضي الله عنه، فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر يؤم الناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر رضي الله عنه؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[٢].

١- «شرح صحيح مسلم» (٤ / ١٣٧).

٢- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١)، والنسائي (٢/ ٧٤)، وصححه الحاكم (٣ / ٧٠)، والضياء في «المختارة» (١/ ٣٣٦).

هل كانت خلافته نصًّا أم اختيارًا

أهل السنة لهم قولان في إمامة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه من حيث الإشارة بالنص الخفيّ أو الجليّ.

القول الأول:

منهم من قال: إن إمامة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه ثابتةٌ بالنصِّ الخفيّ والإشارة، وهذا القول يُنسب إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى وجماعة من أهل الحديث[1]، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه[2] واستدلَّ أصحاب هذا القول بتقديم النبي ﷺ له في الصلاة وبأمره ﷺ بسد الأبواب إلا باب أبي بكر.

القول الثاني:

ومنهم من قال: إن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتةٌ بالنصِّ الجليّ وهذا قول طائفة من أهل الحديث، وبه قال أبو محمد بن حزم الظاهري واستدلَّ هذا الفريق بحديث المرأة التي قال لها: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»، وبقوله

١- انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤ / ١٠٧)، و«منهاج السنة» (١ / ١٣٤).

٢- انظر: «المعتمد في أصول الدين» لأبي يعلى الفراء (ص/ ٢٢٦)، و«منهاج السنة» (١/ ١٣٤).

لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإنِّي أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»، وحديث رؤياه ﷺ أنه على حوض يسقي الناس فجاء أبو بكر فنزع الدَّلْوَ من يده ليروحه...

والقول الذي يطمئن إليه القلب، وترتاح له النفس في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقال: إن المصطفى ﷺ لم يأمر المسلمين بأن يكون الخليفة عليهم من بعده أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما دلَّهم عليها لإعلام الله سبحانه له بأن المسلمين سيختارونه لما اجتمع له من الفضائل العالية التي ورد بها القرآن والسنة وفاق بها غيره من جميع الأمة المحمدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد ذكره للخلاف الوارد في خلافة الصِّديق هل ثبتت بالنص الجليّ، أو الخفيّ: والتحقيق أن النبي ﷺ دلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك... فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبيَّنه رسول الله ﷺ بيانًا قاطعًا للعذر، ولكن لما دلَّهم دلالات متعددة على أنَّ أبا بكر هو المتعيّن، وفهموا

ذلك حصل المقصود؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، رواه البخاري ومسلم... إلى أن قال: فخلافة أبي بكر الصِّديق دلَّت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارًا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله، وأنَّه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله؛ فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعًا، لكن النص دلَّ على رضا الله ورسوله بها وأنها حقٌّ وأنَّ الله أمر بها وقدَّرها وأن المؤمنين يختارونها، وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها؛ لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد، ودلَّت النصوص على صوابهم فيما فعلوه، ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلًا على أنَّ الصِّديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهدٍ خاص[1].

فهذا هو الرأي الراجح في هذه المسألة؛ لأن النصوص متفقةٌ على إثبات فضله الذي لا يلحقه فيه أحد، وإرشاد الأمة إلى أنه أحقُّ النَّاس بنيابة الرسول ﷺ بعد وفاته؛ فقد أخبر النبي ﷺ أن المسلمين سيجتمعون على خلافة أبي

١- «منهاج السنة» (١/ ٥١٦ - ٥٢٥).

بكر لسابقته إلى الإسلام وفضله العظيم الذي لا يشاركه فيه أحد؛ فخلافته رضي الله عنه ورد في القرآن والسنة التنبيه والإشارة إليها والله أعلم[١].

والقول بأنها قد ثبتت بالنصِّ قد يصعب الاستدلال عليه؛ لأنَّ أقواله ﷺ وأفعاله التي يستدل بها على أن خلافة أبي بكر ثابتةٌ بالنصِّ لا تفيد هذا إفادةً صريحة؛ فتقديم الرسول ﷺ أبا بكر للصلاة بالناس ليس نصًّا على خلافته لا جليًّا ولا خفيًّا؛ وإنما هو إرشاد للأمة إلى أنَّ أبا بكر أولى بأن ينوب عن الرسول ﷺ، وكذلك أحاديث سدِّ الأبواب والخوخ إلا باب أبي بكر ففيه إشارة إلى فضله وتميّزه عن غيره لا أكثر.

أما الأحاديث الدالة على أنه أراد أن يكتب عهدًا ثم تركه؛ فقد ترك ذلك لعلمه بأن المؤمنين سيختارونه من دون عهدٍ منه ﷺ؛ فدلَّ على أنه ليس هناك عهد.

وكذلك حديث المرأة السائلة؛ ففيه: إخبار بأن الذي سيكون واليًا هو أبو بكر، فلتأته المرأة وتسأله، وكذلك حديث الأمر بالاقتداء ليس نصًّا في الخلافة.

١- انظر: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» لناصر بن علي (٢/ ٥٤٧).

فهذه الأحاديث التي يظن بعض الناس أنها تفيد النصَّ على إمامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه إنما تدلُّ على علم رسول الله ﷺ عن طريق الوحي بأن المسلمين سيجتمعون على خلافة أبي بكر لمزاياه التي لا يضارعه فيها أحد، كما تدلُّ على رضا الله ورسوله بذلك دون غيره، وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منها، يدل على ذلك ما يلي:

١- اجتماع السقيفة: حيث لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين، فلو كان هناك نصٌّ ما اجتمعوا لذلك ولبايعوا المعهود إليه مباشرة، وهم أحرص الناس على اتباع رسول الله ﷺ.

٢- كما يدل على ذلك أيضًا أخذ أبي بكر رضي الله تعالى عنه بيدي عمر وأبي عبيدة بن الجراح، وقوله: قد اخترت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم؛ فلو كان هناك عهدٌ له لم يجز له أن يختار، ولا يعقل أن لا يعلم هو بذلك وهو المعهود له.

٣- ومنها قول عمر رضي الله تعالى عنه حينما طلب منه أن يختار خليفة للمسلمين بعده، فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني: أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني: الرسول

ﷺ-، وهذا نص في المسألة بأن النبيَّ ﷺ لم يستخلف أحدًا بعده.

٤- وممَّا يدل على ذلك أيضًا قول عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟ فقالت: أبو بكر، قيل ثم من؟ قالت: عمر، قيل ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. فقول السائل: «لو استخلف» دالٌّ على أنَّه لم يستخلف، والسؤال عما لو كان مستخلفًا فمن سيستخلف؟

٥- ومنها ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مات رسول الله ﷺ ولم يوص. فهذا دليلٌ صريح في المسألة على أن النبيَّ ﷺ لم يوصِ بالخلافة لا لأبي بكر، ولا لعلي رضي الله عنهما، ولا لغيرهما.

٦- ومنها ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى علي رضي الله عنه، قال: قيل يا رسول الله من تؤمِّر بعدك؟ قال: «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويًا أمينًا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليًّا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الطريق المستقيم».

فقول النبي ﷺ: «إن تؤمروا» دليل على أنه لم يؤمِّر أحدًا؛ وإنما وكل

ذلك إلى المسلمين، ثم استعرض ﷺ بعض أفاضل الصحابة مبتدئا بأبي بكر وبيَّن ما في كل واحد منهم من الخصال الحميدة المميزة له[١] [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تبيَّن أن كثيرًا من السلف والخلف قالوا فيها بالنصِّ الجليّ أو الخفيّ، وحينئذ فقد بطل القدح في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبيَّ ﷺ لم ينصّ على إمامة أحدٍ، وأنه مات من غير وصيةٍ، وذلك أن هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقًّا فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه فقد قال بعضهم ذلك. فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة[٣].

قال شيخ الإسلام: فكان فيما دلهم به من الدلائل الشرعية، وما علم بأن الله سيقدره من الخير الموافق لأمره ورضاه ما يحصل به تمام الحكمة في خلقه وأمره، قدرًا وشرعًا.

وقد ذكرنا أن ما اختاره الله كان أفضل في حق الأمة من وجوه، وأنهم إذا ولوا بعلمهم واختيارهم من علموا أنه الأحقُّ بالولاية عند الله

١- انظر: «الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة» لعبد الله بن عمر الدميجي (ص/ ١٣٣).

٢- مستفاد من موقع الدرر السنية.

٣- «منهاج السنة النبوية» (١/ ٤٩٩- ٥٠٠) بتصرف.

ورسوله كان في ذلك من المصالح الشرعية ما لا يحصل بدون ذلك.

وبيان الأحكام يحصل تارة بالنصِّ الجليّ المؤكّد، وتارة بالنصِّ الجليّ المجرد، وتارة بالنصِّ الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته.

وذلك كله داخل في البلاغ المبين؛ فإنه من ليس شرط البلاغ المبين أن لا يشكل على أحد، فإن هذا لا ينضبط، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، وفيهم من يبلغه العلم، وفيهم من لا يبلغه إما لتفريطه وإما لعجزه.

وإنما على الرسول البلاغ المبين: البيان الممكن، وهذا - ولله الحمد - قد حصل منه ﷺ، فإنه بلَّغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وما ترك من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمر الخلق به، ولا من شيء يقربهم من النار إلا نهاهم عنه؛ فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته[1].

١- «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٥٧٥- ٥٧٦)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٤٧ - ٤٩).

سقيفة بني ساعدة

لما دُفِنَ رسول الله ﷺ، اجتمع كبار الصحابة رضوان الله عليهم ليختاروا من يكون خليفة رسول الله، وينقل لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما حدث، فيقول: وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأَسْرِهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم، لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينَّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمَّلٌ بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يُوعَكُ، فلمَّا جلسنا قليلًا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أَهْلُهُ، ثمَّ قال: أمَّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهطٌ، وقد دفَّت دافَّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يَحْضُنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن

أتكلَّم، وكنت قد زوَّرت مقالةً أعجبتني أريد أن أقدِّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعضَ الحدِّ، فلمَّا أردت أن أتكلَّم، قال أبو بكر: على رِسْلَكَ، فكرهت أن أغضبه، فتكلَّم أبو بكر فكان هو أَحْلَمَ منِّي وأَوْقَرَ، والله ما ترك من كلمةٍ أعجبتني في تزويري، إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سَكَتَ، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهلٌ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدَّم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك من إثمٍ، أحبّ إليَّ من أن أتأمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلُها المـُحَكَّك، وعُذَيْقُها المـُرجَّب، منَّا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثر اللَّغَطُ، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقْتُ من الاختلاف، فقلت: ابْسُطْ يدك يا أبا بكر، فَبَسَطَ يَدَهُ فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنَّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمرٍ أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن

بيعة: أن يبايعوا رجلًا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلًا على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه، تغرَّةً أن يُقتلا[1].

البيعة العامة

بعد أن تمَّ الاتفاق بين الصحابة في سقيفة بني ساعدة على تولية أبي بكر رضي الله عنه، جاء عمر في اليوم التالي وخطب الناس وقدَّم أبا بكر رضي الله عنه ليبايعه عامة الناس؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ، فتشهَّد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به، هدى الله محمدًا ﷺ، وإنَّ أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر، قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر،

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٨٣٠).

فبايعه الناس عامة[١].

وفي رواية أخرى ينقل لنا أنس بن مالك رضي الله عنه تفاصيل أكثر لخطبة عمر وخطبة أبي بكر رضي الله عنهما في البيعة العامة فيقول: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا، حتى يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإنَّ الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلَّم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

أما بعد أيُّها الناس، فإنِّي قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإنْ أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة،

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٧٢١٩).

والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذلِّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله[1]!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ونقول إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصِّديق رضوان الله عليه، وأن الله أعزَّ به الدين، وأظهره على المرتدين، وقدَّمه المسلمون بالإمامة، كما قدَّمه رسول الله ﷺ للصلاة، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ[2].

وقال ابن القيم: صحَّ عن الشافعي أنه قال: خلافة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه حقٌّ، قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب أصحاب نبيه ومعلوم أن المقضي في الأرض والقضاء فعله سبحانه وتعالى

١- [حسن]: أخرجه ابن إسحاق في «سيره» [كما في «السير» لابن هشام (٢/ ٦٦١)]، ومن طريقه الطبري في «تاريخه» (٣ / ٢١٠)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٤٠٦).

٢- «بيان تلبيس الجهمية» (١ / ١١٣).

المتضمن لمشيئته وقدرته[١].

وكانت صفة البيعة كما حدَّث ابن العفيف، قال: رأيت أبا بكر وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ، فيجتمع إليه العصابة، فيقول: تبايعوني على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير؟ فيقولون: نعم، فيبايعهم، فقمت عنده ساعة وأنا يومئذ المحتلم أو فوقه، فتعلمت شرطه الذي شرط على الناس، ثم أتيته فقلت، وبدأته، قلت: أنا أبايعك على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير، فصعَّد في البصر ثم صوَّبه، ورأيت أنِّي أعجبته رحمه الله[٢].

فلمّا كان اليوم التالي كلَّم أبو بكر رضي الله عنه الناس إن أرادوا إقالته من البيعة التي بايعوه؛ فعن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر، الغد حين بويع، فخطب الناس، فقال: يا أَيُّها الناس إنِّي قد أقلتكم رأيكم، إني لست بخيركم، فبايعوا خيركم. فقاموا إليه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت والله خيرنا. فقال: يا أَيُّها الناس، إنَّ الناس دخلوا في الإسلام طوعًا وكرهًا، فهم عواذ الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يطلبكم

١- «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ١٦٥).

٢- [حسن]: أخرجه الحارث في «مسنده» [كما في «المطالب العالية» (رقم/ ٢١٠٨)]، والبيهقي (٨/ ٢٥٢).

الله بشيء من ذمته فافعلوا، إنَّ لي شيطانًا يحضرني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني، لا أمثل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيُّها الناس، تفقدوا ضرائب غلمانكم، إنه لا ينبغي للحمٍ نبت من سحت أن يدخل الجنة، ألا وراعوني بأبصاركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوِّموني، وإن أطعت الله فأطيعوني، وإن عصيت الله فاعصوني[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن المعلوم أنَّ أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه لا بحقٍ ولا بغير حق، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: إما عمر بن الخطاب وإما أبا عبيدة. قال عمر: فوالله لأنْ أقدَّم فتُضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثمٍ أحبّ إليَّ من أن أتأمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر. وهذا اللفظ في الصحيحين، وقد روي عنه أيضًا أنه قال: أقيلوني أقيلوني، فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم، كما قال له عمر يوم السقيفة بمحضر المهاجرين والأنصار: أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك أحد، وهذا أيضًا في الصحيحين... والمسلمون اختاروه كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابًا لا

١- [ضعيف]: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم/ ٨٥٩٧)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٤).

يختلف عليه الناس من بعدي»، ثم قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»، فأبى الله وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبي بكر، فالله هو ولاه قدرًا وشرعًا، وأمر المؤمنين بولايته، وهداهم إلى أن ولوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه[1].

بيعة علي والزبير رضي الله عنهما

زعم بعض المبغضين للصديق أن عليًّا رضي الله عنه لم يبايع أبا بكر إلا متأخرًا أو أنَّه كان مكرهًا وغير راضٍ بتلك البيعة، وهذا كذب على عليّ رضي الله عنه؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم، يقول: يا معشر المهاجرين إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلًا منكم قرن معه رجلًا منَّا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منَّا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنَّ الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنَّا أنصار رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال: جزاكم الله خيرًا يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم. ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم. ثم أخذ زيد بن ثابت بيد

١- «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٥٠ - ٥٢).

أبي بكر، فقال: هذا صاحبكم، فبايعوه، ثم انطلقوا، فلمَّا قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا فسأل عنه، فقال: ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه[1].

فدلَّ الحديث على أن عليًّا رضي الله عنه بايع أبا بكر رضي الله عنه كما بايع الناس، لكن الذي اشتهر هو بيعة علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما توفيت فاطمة استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد، كراهية محضر عمر بن الخطاب، فقال عمر لأبي بكر: والله، لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي؟ إنِّي والله لآتينهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتشهَّد علي بن أبي طالب، ثم

١- [صحيح]: أخرجه الحاكم (٣ / ٨٠)، وعنه البيهقي (٨/ ١٤٣) به، وصححه الحاكم، وأخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٨٥) مختصرا، وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٧٠)، وقال: «هذا إسناد صحيح محفوظ».

قال: إنَّا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك، وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنَّا نحن نرى لنا حقًا لقرابتنا من رسول الله ﷺ، فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر، فلمَّا تكلَّم أبو بكر، قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فإنِّي لم آلُ فيها عن الحق، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلَّى أبو بكر صلاة الظهر، رقي على المنبر، فتشهَّد وذكر شأن علي وتخلُّفَه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهَّد علي بن أبي طالب، فعظَّم حقَّ أبي بكر، وأنَّه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارًا للذي فضَّله الله به، ولكنَّا كنَّا نرى لنا في الأمر نصيبًا، فاستبدَّ علينا به، فوجدنا في أنفسنا، فسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، فكان المسلمون إلى علي قريبًا حين راجع الأمر المعروف[1].

وقد جمع ابن كثير رحمه الله بين الروايتين - رواية بيعته مع الناس ورواية بيعته بعد وفاة فاطمة -، فقال: أما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر، فذلك محمول

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٢٤٠)، ومسلم (رقم/ ١٧٥٩)، واللفظ لمسلم.

على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنصِّ عن رسول الله ﷺ في قوله: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، كما تقدَّم إيراد أسانيده وألفاظه ولله الحمد[1].

بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه

الثابت في السنة أن سعد بن عبادة رضي الله عنه بايع كما بايع الناس؛ فعن الضحاك بن خليفة، قال: تتابع القوم على البيعة، وبايع سعد، وكانت فَلْتَةً كَفَلَتَاتِ الجاهليَّة، قام أبو بكر دونها وقال قائل حين أوطئ سعد: قتلتم سعدًا، فقال عمر: قتله الله! إنه منافق، واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه[2].

وعن جابر، قال: قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر: إنَّكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة، وإنَّك وقومي أجبرتموني على البيعة، فقالوا: إنَّا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعةٍ، ولكنَّا أجبرنا على الجماعة، فلا إقالة فيها، لئن نزعت يدًا من طاعة، أو فرَّقت جماعة، لنضربنَّ الذي فيه عيناك[3].

١- «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٤).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٢٣).

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٢٣).

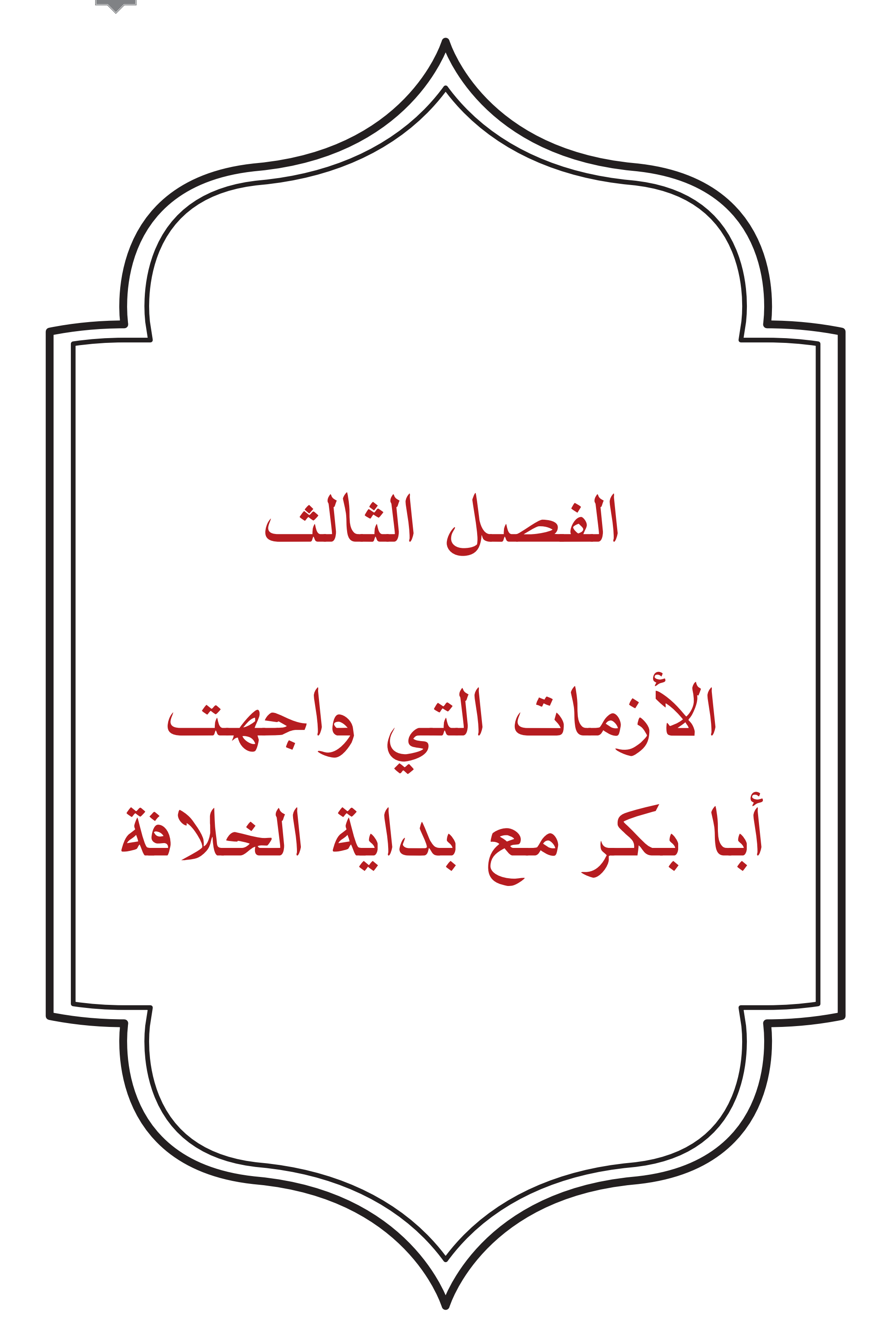
وأما الروايات التي جاءت أنَّ سعدًا رضي الله عنه امتنع عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه، مثل ما جاء عن أبي مخنف: قال عبد الله بن عبد الرحمن: فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطئون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدًا لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله! ثم قام على رأسه، فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك، فأخذ سعد بلحية عمر، فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة، فقال أبو بكر: مهلا يا عمر! الرفق هاهنا أبلغ فأعرض عنه عمر، وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما، أقوى على النهوض، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرًا يجحرك وأصحابك، أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعًا غير متبوع! احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه في داره، وترك أيامًا ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل، وايم الله لو أنَّ الجنَّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم، حتى أعرض على ربي، وأعلم ما حسابي.

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع فقال له بشير

بن سعد: إنه قد لجَّ وأَبَى، وليس بمبايعكم حتى يُقتل، وليس بمقتولٍ حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم، إنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله[1].

هذه الروايات ساقطة إسنادًا ومتنًا، فمدارها على الكلبيِّ وهو متهم بالكذب، وأبو مخنف وهو متروك الرواية.

١- [إسناده ضعيف جدًا]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٢٢- ٢٢٣).



الفصل الثالث

الأزمات التي واجهت أبا بكر مع بداية الخلافة

المبحث الأول

جيش أسامة رضي الله عنه

❁ إنفاذ أبي بكر الصِّديق جيش أسامة :

كان رسول الله ﷺ قد أرسل جيشًا بقيادة أسامة رضي الله عنه، ثم مات رسول الله ﷺ، فحدثت مناقشات من بعض الصحابة، لكنَّ أبا بكر رضي الله عنه أصرَّ على إنفاذ الجيش بقيادة أسامة لا غيره؛ فعن الحسن بن أبي الحسن البصري، قال: ضرب رسول الله ﷺ قبل وفاته بعثًا على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق، حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ، فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه، يأذن لي أن أرجع بالناس، فإنَّ معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الأنصار: فإن أبَى إلا أن نمضي فأبلغه عنَّا، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلًا أقدم سنًّا من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة، فقال

أبو بكر: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضى به رسول الله ﷺ! قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلًا أقدم سنًّا من أسامة، فوثب أبو بكر - وكان جالسًا - فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا، ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، فأشخصهم وشيعهم وهو ماشٍ وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبنَّ أو لأنزلنَّ! فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب! وما عليَّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترتفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة! حتى إذا انتهى، قال: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل؟ فأذن له، ثم قال: يا أيُّها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا

أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله[١].

وكان من أسباب تخوُّف الصحابة من إرسال جيش أسامة هو ظهور المرتدين في ذلك الوقت، فأصرَّ أبو بكر رضي الله عنه على إنفاذ أمر رسول الله ﷺ؛ فعن سليمان بن يسار، قال: أمَّر رسول الله ﷺ أسامة على جيش وأمره أن يحرق قرية يبنا، فمضى أول الجيش وجعل أسامة يتردد حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ، ودخل أسامة على أبي بكر، فقال: ما تأمرني؟ فقال: تمضي على أمرك الذي أمرك رسول الله ﷺ، لا أزيد فيه ولا أنقص منه. فقال الناس: إنَّك إن تبعث أسامة ومعه حد الناس فترتد هذه الأعراب فتميل على ثقل رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: والله لو أنِّي أعلم أن الذئاب والكلاب تنهشني بها ما رددت أمرًا أمر به رسول الله ﷺ، امضِ، فإنَّ الله سيعيننا، ولكن إن رأيت أن تأذن عمر بن الخطاب؟ فقال: نعم. قال أسامة: فخرجت على عمر، فقال: ما فعلت؟ قال: قلت: سألني أن آذن

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٢٥- ٢٢٦).

لك ففعلت، وأمرني أن أمضي، فقال عمر: رحمك الله[1].

وكان حرص أبي بكر رضي الله عنه على إنفاذ أمر رسول الله خيرًا وبركة على المسلمين؛ فقد أُلقي الرعب في قلوب القبائل التي تفكر في الارتداد؛ فعن أبي هريرة، قال: جعل أسامة لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ذروهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوا ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام[2].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٢٨٩٠)عن سليمان بن يسار مرسلًا به.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (رقم/ ٣٢٣)، وضعفه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٦).

عودة جيش أسامة وموقف أبي بكر

لما أدى أسامة رضي الله عنه مهمته التي خرج لها، أمر الناس بالرحيل ثم أغذَّ السير فورد وادي القرى في تسع ليال ثم بعث بشيرًا إلى المدينة بسلامتهم ثم قصد بعد في السير فسار إلى المدينة ستًا حتى رجع إلى المدينة، ولم يصب أحد من المسلمين. وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سرورًا بسلامتهم، ودخل على فرس أبيه سبحة واللواء أمامه يحمله بريدة بن الحصيب حتى انتهى إلى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف إلى بيته، وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة فبعث رابطة يكونون بالبلقاء فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[١].

قال ابن الجوزي: قدم أسامة بعد أن غاب شهرين وأيامًا، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وارعوا ظهوركم.

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصَّة، والذين كانوا على الأنقاب، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث

١- انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٦ / ٢٥٠).

رجلًا، فإن أصيب أمرت آخر، فقال:

والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبيته إلى ذي القصَّة، فنزلها وهي على بريد من المدينة فقطع فيها الجنود.

فلما أراح أسامة وجنده ظهرهم وحموا قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية[1].

١- «المنتظم» (٤ / ٧٦).

المبحث الثاني

ميراث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بعد وفاة النبي ﷺ وتولي أبي بكر للخلافة، طلبت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ميراثها منه؛ فعن عائشة، أن فاطمة عليها السلام، بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورِّثُ، ما تركنا صدقةٌ، إنَّما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال»، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا، فَوَجَدَت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلًا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها[1].

وما كان من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلا أن ردت على أبي بكر وقالت: فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ أعلم[2].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٢٤٠)، ومسلم (رقم/ ١٧٥٩).

٢- [رجاله ثقات]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤) مطولًا، واستنكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣١٠) الزيادة على ما هنا.

وعن أبي هريرة، أن فاطمة جاءت أبا بكر، وعمر، تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ، فقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إني لا أورِّث»، قالت: والله لا أكلمكما أبدًا، فماتت ولا تكلمهما، قال علي بن عيسى شيخ الترمذي: معنى «لا أكلمكما»، تعني: في هذا الميراث أبدًا أنتما صادقان[1].

وقد بقيت هذه المسألة محلَّ جدلٍ حتى في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فعن مالك بن أوس، قال: أرسل إليَّ عمر بن الخطاب، فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالسًا على سرير مفضيًا إلى رماله، متكئًا على وسادة من أدم، فقال لي: يا مال، إنه قد دف أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم برضخ، فخذه فاقسمه بينهم، قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري، قال: خذه يا مال، قال: فجاء يرفا، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم فدخلوا، ثم جاء، فقال: هل لك في عباس، وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم وأرحهم، فقال مالك بن أوس: يخيَّل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك، فقال عمر: اتئدا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورِّث، ما تركناه صدقة»، قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس، وعلي، فقال:

١- ف[رجاله ثقات]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٣)، والترمذي (رقم/ ١٦٠٩)، واللفظ للترمذي.

أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورِّث، ما تركناه صدقة»، قالا: نعم، فقال عمر: إن الله جلَّ وعزَّ كان خصَّ رسوله ﷺ بخاصة، لم يخصص بها أحدًا غيره، قال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[1] - ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا - قال: فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فوالله، ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم، حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي أسوة المال، ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم نشد عباسًا، وعليًّا، بمثل ما نشد به القوم، أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: «ما نورِّث، ما تركناه صدقة»، فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا! والله يعلم إنه لصادقٌ بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله ﷺ، وولي أبي بكر، فرأيتماني كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا! والله يعلم إني لصادقٌ بار راشد تابع للحق، فوليتها ثم جئتني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ، فأخذتماها بذلك، قال: أكذلك؟! قالا: نعم، قال:

١- [الحشر: ٧].

ثم جئتماني لأقضي بينكما، ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فرداها إليّ"[١].

وقد أثيرت الشبهات حول هذه المسألة، فنقل شيخ الإسلام ابن تيمية: كلام ابن المطهر التالي: ومنع أبو بكر فاطمة إرثها فقالت: يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي؟ والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها - وكان هو الغريم لها؛ لأن الصدقة تحل له - لأن النبي ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»، على أن ما رووه عنه فالقرآن يخالف ذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[٢]، ولم يجعل الله ذلك خاصًا بالأمة دونه ﷺ، وكذب روايتهم، فقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٣]، وقال تعالى عن زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾[٤].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٠٣٣)، ومسلم (رقم/ ١٧٥٧)، واللفظ لمسلم.

٢- [النساء: ١١].

٣- [النمل: ١٦].

٤- [مريم: ٥-٦].

ثم أجاب عنه فقال:

والجواب عن ذلك من وجوه؛ أحدها: أن ما ذكر من قول فاطمة رضي الله عنها: أترث أباك ولا أرث أبي؟ لا يعلم صحته عنها، وإن صحَّ فليس فيه حجة؛ لأن أباها صلوات الله عليه وسلامه لا يقاس بأحدٍ من البشر، وليس أبو بكر أولى بالمؤمنين من أنفسهم كأبيها، ولا هو ممن حرَّم الله عليه صدقة الفرض والتطوع كأبيها، ولا هو أيضًا ممن جعل الله محبته مقدمة على محبة الأهل والمال، كما جعل أباها كذلك.

والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورثوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، وأما أبو بكر الصِّديق وأمثاله فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبيَّنا عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة، وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة.

الثاني: أن قوله: «والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها» كذب؛ فإن قول النبي ﷺ: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» رواه عنه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ، وأبو هريرة، والرواية

عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد، مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إنَّ أبا بكر انفرد بالرواية، يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب.

الثالث: قوله: «وكان هو الغريم لها» كذب، فإنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يدَّع هذا المال لنفسه ولا لأهل بيته، وإنما هو صدقة لمستحقها، كما أن المسجد حق للمسلمين.

الرابع: أنَّ الصِّديق رضي الله عنه لم يكن من أهل هذه الصدقة، بل كان مستغنيًا عنها، ولا انتفع هو ولا أحد من أهله بهذه الصدقة؛ فهو كما لو شهد قوم من الأغنياء على رجل أنه وصى بصدقة للفقراء؛ فإن هذه شهادة مقبولة بالاتفاق.

الخامس: أن قوله: «على أن ما رووه فالقرآن يخالف ذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾، ولم يجعل الله ذلك خاصًا بالأمة دونه صلى الله عليه وسلم.

فيقال: ليس في عموم لفظ الآية ما يقتضي أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم يورث، فإن الله تعالى قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾، وهذا الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب وليس فيه ما يوجب أن النبيَّ ﷺ مخاطبٌ بها[1].

١- «منهاج السنة النبوية» (٤ / ١٩٣ - ١٩٩) بتصرف، وما بعده فيه تفنيد لكثير من الشبهات.

المبحث الثالث

حروب الردة

❁ ظهور المرتدين وأصنافهم:

بدأت حركة الردة منذ العام التاسع للهجرة المسمى بعام الوفود، وكانت حركة الردة في هذه الأثناء لم تظهر بشكلٍ واسع، حتى إذا كانت حجة الوداع ومرض النبي ثم وفاته تجرَّأ الذين في قلوبهم مرض على الخروج؛ فظهر الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، وطليحة الأسدي في بلاد قومه، وقد أخبر عن ذلك النبي ﷺ قبل وفاته، فقد قال يومًا وهو يخطب الناس على منبره: «أيها الناس، إنِّي قد أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، ورأيت أن في ذراعي سوارين من ذهب، فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن وصاحب اليمامة»[١].

قال أهل العلم: إن نفخه ﷺ لهما يدل على أنهما يقتلان بريحه؛ لأنه لا يغزوهما بنفسه، وإن وصفه لهما بأنهما من ذهب دلالة على كذبهما؛ لأن شأنهما زخرف وتمويه، كما دلَّ لفظ السوارين على أنهما ملكان؛

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٢١)، ومسلم (رقم/ ٢٢٧٤).

لأن الأساورة هم الملوك، ودلا بكونهما يحيطان باليدين أن أمرهما يشتد على المسلمين فترة؛ لكون السوار مضيقًا على الذراع[١].

وقد كان للردَّة التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ أسباب، منها: الصدمة بموت النبي ﷺ، ومنها رقة الدين والسقم في فهم نصوصه، ومنها الحنين إلى الجاهلية ومقارفة موبقاتها، ومنها رغبة التفلت من النظام والخروج على السلطة الشرعية، ومنها العصبية القبلية والطمع في الملك، ومنها التكسب بالدين والشحّ بالمال، ومنها التحاسد، ومنها المؤثرات الأجنبية، كدور اليهود والنصارى والمجوس.

وأما أصناف المرتدين: فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلًا وعاد إلى الوثنية وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة، ولكنه امتنع عن أداء زكاته، ومنهم من شمت بموت الرسول ﷺ وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحيَّر وتردَّد وانتظر على من تكون الدائرة.

وبهذا يكون المرتدون أربعة أصناف: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام، وصنف اتبعوا المتنبئين الكذبة، وصنف أنكروا وجوب

١- انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٢٠٢).

الزكاة وجحدوها، وصنف لم ينكروا وجوبها ولكنهم أبوا أن يدفعوها إلى أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه[١].

قال الإمام الشافعي: أهل الردة بعد رسول الله ﷺ ضربان، منهم قوم أغروا بعد الإسلام مثل طليحة ومسيلمة والعنسي وأصحابهم، ومنهم قوم تمسكوا بالإسلام ومنعوا الصدقات، فإن قال قائل: ما دلَّ على ذلك والعامة تقول لهم أهل الردة؟

فهو لسان عربي، فالردَّة الارتداد عما كانوا عليه بالكفر والارتداد يمنع الحق، ومن رجع عن شيء جاز أن يقال: ارتدَّ عن كذا، وقول عمر لأبي بكر: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» في قول أبي بكر هذا من حقها لو منعوني عناقًا مما أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه معرفة منهما معًا بأن ممن قاتلوا من هو على التمسك بالإيمان ولولا ذلك ما شكَّ عمر في قتالهم، ولقال أبو بكر: قد تركوا لا إله إلا الله فصاروا مشركين[٢].

١- انظر: سيرة أبي بكر الصديق، د/ علي الصلابي (ص/ ١٩٤).

٢- «الأم» (٤/ ٢٢٧- ٢٢٨)، وانظر نحو ذلك عن القاضي عياض في «إكمال المعلم» (١/ ٢٤٣- ٢٤٤).

وقال الماوردي: أما أبو بكر رضي الله عنه فإنه قاتل طائفتين:

طائفة: ارتدت عن الإسلام مع مسيلمة وطليحة والعنسي فلم يختلف عليه من الصحابة في قتالهم أحد.

وطائفة: أقاموا على الإسلام ومنعوا الزكاة بتأويل اشتبه، فخالفه أكثر الصحابة في الابتداء، ثم رجعوا إلى رأيه ووافقوه عليه في الانتهاء حين وضح لهم الصواب وزالت عنهم الشبهة[١].

موقف الصِديق من المرتدين

لما ظهرت الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، قام في الناس خطيبًا؛ فعن صالح بن كيسان، قال: لما كانت الردة قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي هدى فكفى وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم والعلم شريدٌ، والإسلام غريب طريد، قد رثَّ حبله، وخلق عهده، وضلَّ أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب، فلا يعطيهم خيرًا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشر عندهم قد غيَّروا كتابهم وأتوا عليه ما ليس فيه، والعرب الأميُّون صِفْرٌ من الله لا يعبدونه، ولا يَدْعونه، أَجْهَدهم عيشًا، وأضلَّهم دينًا في ظَلْفٍ من الأرض مع قلة السَّحاب

١- «الحاوي الكبير» (١٣/ ١٠١).

فجمعهم الله بمحمد ﷺ، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم وبغى هلكتهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1]، إنَّ مَن حولكم أَمِنَ العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم، وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم يكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما قد فقدتم من بركة نبيكم ﷺ، ولقد وكَّلكم إلى المحلَّى الذي وجده ضالًا فهداه، وعائلًا فأغناه، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أَدَعُ أُقاتل على أمر الله حتى يُنْجِز الله وعده ويوفي لنا عهده ويقتل من قتل منَّا شهيدًا من أهل الجنة ويبقى من بقي منا خليفته وورثته في أرضه قضاء الله الحق وقوله الذي لا خلف له ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] الآية ثم نزل رحمه الله[3].

١- [آل عمران: ١٤٤].

٢- [النور: ٥٥].

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٢ / ٤٦٨)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٠ / ٣١٨) عن صالح بن كيسان به، وصالح لم يدرك أبا بكر، انظر: «جامع التحصيل» (ص/ ١٩٨).

وقد أشار بعض الصحابة على أبي بكر أن يترك مانعي الزكاة ويتألَّفهم، فامتنع الصِّديق عن ذلك وأقنع الصحابة برأيه؛ فعن أبي هريرة، قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله، ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله»، فقال أبو بكر: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة، والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله عزَّ وجلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[1].

قال الخطابي: كان هذا من عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تعلقًا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره ويتأمَّل شرائطه، فقال له أبو بكر: إنَّ الزكاة حقُّ المال، يرد أن القضية التي قد تضمنت عصمة دمٍ ومال معلقة بإيفاء شرائطها، والحكم المعلق بشرطين، لا يجب بأحدهما، والآخر معدوم، ثم قايسه بالصلاة ورد الزكاة إليها، فكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٩٢٤)، ومسلم (رقم/ ٢٠)، واللفظ لمسلم.

الصلاة كان إجماعًا من رأي الصحابة؛ ولذلك رد المختلف فيه إلى المتفق عليه فاجتمع في هذه القضية الاحتجاج من عمر بالعموم ومن أبي بكر بالقياس، ودلَّ ذلك على أنَّ العموم يخص بالقياس، وأن جميع ما يتضمنه الخطاب الوارد في الحكم الواحد من شرط واستثناء مراعى فيه ومعتبر صحته به، فلمَّا استقر عمر رضي الله عنه صحة رأي أبي بكر رضي الله عنه وبان له صوابه تابعه على قتال القوم، وهو معنى قوله: فلمَّا رأيت أنَّ الله قد شرح صدر أبي بكر عرفت أنه الحق، يشير إلى انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها والبرهان الذي أقامه نصًّا ودلالة[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة، فلهذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها، وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله[2].

فكان أبو بكر رضي الله عنه أبعد الصحابة نظرًا، وأعلاهم فهما، وكان هذا من توفيق الله له؛ فعن عائشة، أنها كانت تقول: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل

١- «معالم السنن» (٢/ ٥).

٢- «الفتاوى الكبرى» (٣ / ٥٤١)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤١٢- ٤١٣، ٥٣٠- ٥٣١).

بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشرأبَّ النفاق بالمدينة، وارتدَّت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وفنائها في الإسلام[1].

المفاوضات مع المرتدين وبداية الحرب

لما أبرم أبو بكر رضي الله عنه أمرًا في حرب المرتدين، أراد بعضهم أن يفاوض أبا بكر رضي الله عنه، لكنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان ثابتًا على الحق، وكان هذا من توفيق الله عز وجل له.

عن القاسم بن محمد، قال: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة، إلا ما كان من خواصِّ أقوام في القبائل الثلاث، فاجتمعت أسد بسُمَيْراء، وفَزَارَة ومن يليهم من غَطَفَان بجنوب طِيبة، وطيِّئ على حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مُرَّة وعَبْس بالأَبْرق من الرَّبْذَة، وتأشَّب إليهم ناس من بني كِنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين، فأقامت فرقة منهم بالأَبْرق، وسارت الأخرى إلى ذي القصَّة، وأمدهم طليحة بحِبال فكان حِبالٌ على أهل ذي القصَّة من بني أسد ومَن تأشَّب مِن ليثٍ والدَّيل ومُدْلج، وكان على مُرَّة بالأَبْرق عوفُ بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعَبْسٍ الحارث

١- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٧٠٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم/ ٤٣١٨)، و«المعجم الصغير» (رقم/ ١٠٥١) من طرق عن عائشة، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٠): «رجال أحدها ثقات».

ابن فلان، أحد بني سَبيع، وقد بعثوا وفودًا فقدموا المدينة، فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم ما خلا عبَّاسًا فتحمَّلوا بهم على أبي بكر، على أن يقيموا الصلاة، وعلى ألا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقالًا لجاهدتهم عليه - وكانت عُقُلُ الصَّدقة على أهل الصدقة مع الصَّدقة - فردَّهم فرجع وَفْدُ مَن يَلِي المدينة من المرتدَّة إليهم، فأخبروا عشائرهم بقلة من أهل المدينة، وأطمعوهم فيها، وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفرًا: عليًّا، والزبير، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إنَّ الأرض كافرةٌ، وقد رأى وفدهم منكم قلةً، وإنكم لا تدرون أليلًا تؤتون أم نهارًا! وأدناهم منكم على بريدٍ، وقد كان القوم يؤمِّلون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا.

فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حُسى، ليكونوا لهم ردءًا، فوافق الغوار ليلًا الأنقاب، وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يَدْرُجُون، فَنَهْنَهوهُم، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسل إليهم أبو بكر أنِ الزموا أماكنكم، ففعلوا وخرج في أهل المسجد على النَّواضِح إليهم، فانفشَّ العدوُّ، فاتَّبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسى، فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها،

جعلوا فيها الحِبال، ثم دَهْدَهوها بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نحى في طوله، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها - ولا تنفر الإبل من شيء نِفارَها من الأنحاء - فعاجت بهم ما يملكونها، حتى دخلت بهم المدينة، فلم يصرع مسلم ولم يصب، فقال: في ذلك الخطيل بن أوس أخو الحطيئه ابن أوس:

فدى لبني ذبيان رحلي وناقتي ... عشية يحذى بالرماح أبو بكر
ولكن يدهدي بالرجال فهبنه ... إلى قدر ما أن يزيد ولا يحري
ولله أجناد تذاق مذاقه ... لتحسب فيما عد من عجب الدهر!

وأنشده الزهري: من حسب الدهر.

وقال عبد الله الليثي، وكانت بنو عبد مَنَاة من المرتدَّة - وهم بنو ذُبْيان - في ذلك الأمر بذي القصَّة وبذي حمى:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر!
أيورثها بكرا إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بزمانه ... وهلا خشيتم حس راغية البكر!
وإن التي سألوكم فمنعتم ... لك التمر أو أحلى إلي من التمر

فظنَّ القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصَّة بالخبر، فقدموا عليهم اعتمادًا في الذين أخبروهم، وهم لا يشعرون لأمر

الله عَزَّوَجَلَّ الذي أراده، وأحبَّ أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهيَّأ، فعبَّى الناس، ثم خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشي، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الرِكاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيدٍ واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًّا حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذَرَّ قَرْنُ الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقُتل حِبالٌ واتبعهم أبو بكر، حتى نزل بذي القصَّة - وكان أول الفتح - ووضع بها النعمان بن مقرن في عددٍ، ورجع إلى المدينة فذلَّ بها المشركون، فوثب بنو ذبيان وعبس على مَن فيهم من المسلمين، فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم وعزَّ المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلنَّ في المشركين كل قتلة، وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم ... كما يسعى لموتته جلال
أراح على نواهقها عليا ... ومج لهن مهجته حبال

وقال أيضًا:

أقمنا لهم عرض الشمال فكبكبوا ... ككبكبة الغزى أناخوا على الوفر
فما صبروا للحرب عند قيامها ... صبيحة يسمو بالرجال أبو بكر
طرقنا بني عبس بأدنى نباجها ... وذبيان نهنهنا بقاصمة الظهر

ثمَّ لم يصنع إلا ذلك، حتى ازداد المسلمون لها ثباتًا على دينهم في كل قبيلة، وازداد لها المشركون انعكاسًا من أمرهم في كل قبيلة، وطرقت المدينة صدقات نفر: صفوان، الزبرقان، عدي، صفوان، ثم الزبرقان، ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في آخره وكان الذي بشَّر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشَّر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشَّر بعدي عبد الله بن مسعود وقال غيره: أبو قتادة.

قال: وقال الناس لكلهم حين طلع: نذير، وقال أبو بكر: هذا بشير، هذا حام وليس بوانٍ، فإذا نادى بالخير، قالوا: طالما بشَّرت بالخير! وذلك لتمام ستين يومًا من مخرج أسامة وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم.

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصَّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك! فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلًا، فإن أصيب أمَّرت آخر، فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبيته إلى ذي حُسى وذي القصَّة، والنعمان وعبد الله وسويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق، فاقتتلوا، فهزم الله الحارث وعوفًا، وأخذ الحطيئة أسيرًا،

فطارت عبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا، وقد غلب بني ذبيان على البلاد وقال:

حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله! وأجلاها.

فلما غلب أهل الردة، ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه، وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة، وهي كانت منازلهم لينزلوها، فمنعوا منها فأتوه في المدينة، فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا! فقال: كذبتم، ليست لكم ببلاد، ولكنها موهبي ونقدتي، ولم يعتبهم، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتالٍ كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات، فمنع بذلك بعضهم من بعض.

ولما فضَّت عبس وذبيان أرزوا إلى طليحة وقد نزل طليحة على بزاخة، وارتحل عن سُمَيْراء إليها، فأقام عليها، وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذبيان يلتهب التهابا
أتيناهم بداهية نسوف ... مع الصِّديق إذ ترك العتابا[1]

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣ / ٢٤٣ - ٢٤٨)، وأخرج البخاري (رقم/ ٧٢٢١) مفاوضة أبي بكر لوفد بزاخة مختصرًا.

عقد الألوية للجيوش ووصية أبي بكر

عن القاسم بن محمد، قال: لما أراح أسامة وجنده ظهرهم وجمُّوا، وقد جاءت صدقاتٌ كثيرة تَفْضُلُ عنهم، قطع أبو بكر البعوث وعقد الأَلْوِية، فعقد أحد عشر لواء: عقد لخالد بن الوليد وأَمَرَه بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح أن أقام له، ولعكرمة بن أبي جهل وأَمَرَه بمسيلمة، وللمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومَن أعانه من أهل اليمن عليهم، ثم يمضي إلى كِندة بحضرموت، ولخالد بن سعيد بن العاص - وكان قَدِمَ على تفيئة ذلك من اليمن وترك عمله - وبعثه إلى الحَمِقَتين من مشارف الشام، ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعة والحارث، ولحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دَبَا، ولعرفجة بن هرثمة وأَمَرَه بمُهْرة، وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه، وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمه بن أبي جهل، وقال: إذا فرغ من اليمامة فَالْحَقْ بقُضاعة، وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة، ولطريفة بن حاجز وأَمَرَه ببني سليم ومن معهم من هوازن، ولسويد بن مقرن وأَمَرَه بتهامة اليمن، وللعلاء بن الحضرمي وأَمَرَه بالبحرين، ففصلت الأمراء

من ذي القصَّة، ونزلوا على قصدهم، فلحق بكل أميرٍ جندُه، وقد عهد إليهم عهده[1].

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدَّة كتابًا واحدًا:

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى مَن بَلَغَه كتابي هذا من عامَّةٍ وخاصَّة، أَقَامَ على إسلامه أو رَجَعَ عنه، سلامٌ على من اتَّبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، نُقِرُّ بما جاء به، ونكفِّر مَن أَبَى ونجاهده، أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدًا بالحقِّ من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا؛ لينذر من كان حيًّا ويُحِقَّ القول على الكافرين فهدى الله بالحق مَن أجاب إليه.

وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طَوْعًا وكَرْهًا، ثم توفَّى الله رسوله الله ﷺ وقد نفَّذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيَّن له ذلك ولأهل الإسلام

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٤٩).

في الكتاب الذي أنزل، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[١]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[٢]، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٣]، فمَن كان إنما يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حيٌّ قيُّوم لا يموت، ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، حافظٌ لأمره، منتقمٌ من عدوه يجزيه، وإنِّي أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإنَّ كلَّ مَن لم يهده الله ضالٌ، وكلَّ مَن لم يُعَافِه مبتلى، وكلّ من لم يُعِنْه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديًا، ومن أضلَّه كان ضالًا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٤]، ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقرَّ به، ولم يقبل منه في الآخرة صِرفٌ ولا عدلٌ.

١- [الزمر: ٣٠].

٢- [الأنبياء: ٣٤].

٣- [آل عمران: ١٤٤].

٤- [الكهف: ١٧].

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به، اغترارًا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[1]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2]، وإني بعثت إليكم فلانًا في جيشٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأَمَرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقي على أحدٍ منهم قَدِرَ عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمعٍ لكم، والداعيةُ الأذانُ، فإذا أذَّن المسلمون فأذَّنوا كفُّوا عنهم، وإن لم يؤذِّنوا عاجلوهم، وإن أذَّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أَبَوْا عاجلوهم، وإن أقروا قُبِلَ منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم.

١- [الكهف: ٥٠].

٢- [فاطر: ٦].

فَنَفَذَت الرسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلانٍ حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجدِّ في أمر الله، ومجاهدة من تولَّى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنَّ غارته عليهم، حتى يُقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عزَّ وجلَّ وأقرَّ له قَبِلَ ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يُقاتِل مَن كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيلٌ، وكان الله حسيبه بعد فيما استسرَّ به، ومن لم يجب داعية الله قُتِلَ وقُوتل حيث كان وحيث بَلَغَ، مُراغَمَةً، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرَّ قُبِلَ منه وَعَلِمَه، ومن أَبَى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشوًا

حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونًا، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول[1].

تفاصيل حروب الردة

سار الأمراء من ذي القصَّة على ما عوهدوا عليه، وكان سيد الأمراء ورأس الشجعان الصناديد أبو سليمان خالد بن الوليد، ولما توجَّه خالد من ذي القصَّة وفارقه الصِّديق، وَاعَده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولًا إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم.

وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنو عبسٍ وذبيان، وبعث إلى بني جديلة والغوث وطيِّئ يستدعيهم إليه، فبعثوا أقوامًا منهم بين أيديهم، ليلحقوهم على أثرهم سريعًا، وكان الصِّديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بني

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٥٠- ٢٥٢).

طيِّئ فأمرهم أن يبايعوا الصِّديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفضل أبدًا - يعنون: أبا بكر رضي الله عنه فقال: والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يَفْتِل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن طليعة، فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما، فلما وجدا ثابتًا وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة جبال بن طليحة، وقيل: بل كان قتل جبالًا قبل ذلك وأخذ ما معه، وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو وأخوه سلمة، ثابت بن أقوم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين، فشقَّ ذلك على المسلمين.

ومال خالد إلى بني طيِّئ، فخرج إليه عدي بن حاتم، فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحبّ إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد وقصد خالد بني جديلة فقال له: يا خالد، أجلني أيامًا

حتى آتيهم فلعلَّ الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئًا، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء خالدًا بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه، رضي الله عنه.

ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسلمى، وعبَّى جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له: بزاخة، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن التفَّ معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عيينة بن حصن في سبعمائة من قومه، بني فزارة، واصطفَّ الناس، وجلس طليحة ملتفًا في كساء له يتنبَّأ لهم ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل ما يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي إن لك رحاء كرحاه، وحديثًا لا تنساه، قال يقول عيينة، أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه، ثم قال: يا بني فزارة انصرفوا، وانهزم وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النوار

على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع، قالت بنو عامر وسليم وهوازن: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا، وهرب طليحة بامرأته إلى الشام، فنزل على بني كلب، وأسر خالد عيينة بن حصن، وبعث به إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك فجعل الولدان والغلمان يطعنونه بأيديهم، ويقولون: أي عدو الله، ارتددت عن الإسلام؟ فيقول: والله ما كنت آمنت قطُّ، فلما وقف بين يدي الصِّديق استتابه وحقن دمه، ثم حسن إسلامه بعد ذلك، وكذلك من على قرة بن هبيرة، وكان أحد الأمراء مع طليحة، فأسره مع عيينة، وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضًا، وذهب إلى مكة معتمرًا أيام الصِّديق، واستحيى أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصِّديق إلى خالد: أن استشره في الحرب ولا تؤمِّره - يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن - وهذا من فقه الصِّديق رضي الله عنه وأرضاه.

وقد كتب أبو بكر الصِّديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله

به خيرًا واتقِ الله في أمرك، فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[١]، جد في أمرك ولا تلن ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به، ومن أخذت ممن حاد الله أو ضاده ممن بري إن في ذلك صلاحًا فاقتله.

فأقام خالد ببزاخة شهرًا، يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين وصاه بسلبهم الصِّديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهرًا يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا؛ فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من رضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب، رضي الله عنه.

وقدم وفد بزاخة - أسد وغطفان - على أبي بكر يسألونه الصلح، خيَّرهم أبو بكر بين حرب مُجَلِّية أو حِطَّة مُخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الحطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتتركون أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يري الله خليفة نبيه والمؤمنين أمرًا يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منَّا، ولا نؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أنَّ قتلانا في الجنة وأنَّ قتلاكم في

١- [النحل: ١٢٨].

النار، وَتَدون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم، فقال عمر: أما قولك: تدون قتلانا، فإنَّ قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع، وقال عمر في الثاني: نعم ما رأيت.

وكان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلال يوم بزاخة من أصحاب طليحة، من بني غطفان فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زمل - سلمى بنت ملك بن حذيفة - وكانت من سيدات العرب، فذمرتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وناشب إليهم آخرون من بني سليم وطيئ وهوازن وأسد، فصاروا جيشًا كثيفًا وتفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالا شديدا وهي راكبة على جمل أمها الذي كان يقال له من يمس جملها فله مائة من الإبل وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصِّديق رضي الله عنه.

وكان من أخبار حروب الردة، أن قدم رجل يدعى الفجاءة - واسمه إياس بن عبد الله من بني سليم - على الصِّديق فزعم أنه أسلم، وسأل منه أن يجهز معه جيشًا يقاتل به أهل الردة، فجهز معه جيشًا، فلمَّا سار جعل لا يمر بمسلمٍ ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلمَّا سمع الصِّديق بعث وراءه جيشًا فردَّه، فلمَّا أمكنه بعث به إلى البقيع، فجمعت يداه إلى

قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط.

وكانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، فمنهم مَن ارتدَّ ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصِّديق، ومنهم من توقَّف لينظر في أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية من الجزيرة، وهي من نصارى العرب، وقد ادَّعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التفَّ بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصِّديق، فلمَّا مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بني تميم، وتخلَّف آخرون منهم عنها، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم، إلا أنَّ مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عودها، وحرضها على بني يربوع، ثم اتفق الجميع على قتال الناس، وقالوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب.

ثم إن سجاح قصدت بجنودها اليمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذَّاب، فهابه قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمرُه وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة * دفوا دفيف الحمامة * فإنها غزوة صرامة

* لا تلحقكم بعدها ملامة.

فعمدوا لحرب مسيلمة، فلمَّا سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده؛ وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال، وقد ساعده عكرمة بن أبي جهل بجنود المسلمين، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت، فقد ردَّه الله عليك فحباك به، وراسلها ليجتمع بها في طائفةٍ من قومه، فركب إليها في أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فقال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم، فتزوجها وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: ما أصدقك؟ فقالت: لم يصدقني شيئًا، فقالوا: إنه قبيحٌ على مثلك أن تتزوج بغير صداق فبعثت إليه تسأله صداقًا، فقال: أرسلي إليَّ مؤذنك، فبعثته إليه - وهو شبت بن ربعي - فقال: نادِ في قومك: إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد - يعني: صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة - فكان هذا صداقها عليه، لعنهما الله.

ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنوّ خالد من

أرض اليمامة فكرت راجعة إلى الجزيرة بعد ما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت في قومها بني تغلب، إلى زمان معاوية فأجلاهم منها عام الجماعة.

أما مالك بن نويرة؛ فكان قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلمَّا اتصلت بمسيلمة لعنهما الله، ثم ترحلت إلى بلادها - فلما كان ذلك - ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له: البطاح، فقصدها خالد بجنوده وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنَّا قد قضينا ما أمرنا به الصِّديق، فقال لهم خالد: إن هذا أمر لا بُدَّ من فعله، وفرصة لا بُدَّ من انتهازها، وإنَّه لم يأتني فيها كتاب، وأنا الأمير وإليَّ ترد الأخبار، ولست بالذي أجبركم على المسير، وأنا قاصد البطاح.

فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به، فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة، فبثَّ خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحيّر في أمره، متنحٍ عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية

فيهم، فشهد أبو قتادة - الحارث بن ربعي الأنصاري - أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا، فيقال إن الأسارى باتوا في كبولهم في ليلة شديدة البرد، فنادى منادي خالد: أن أدفئوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة.

واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة، وهي أم تميم ابنة المنهال، وكانت جميلة، فلما حلَّت بنى بها، ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنَّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضُربت عنقه، وأمر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدرًا، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب، من المرتدة وغيرهم، ويقال: إن شعر مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ولم تفرغ الشعر لكثرته، وقد تكلَّم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصِّديق، وتكلَّم عمر مع أبي قتادة في خالد: وقال للصِّديق: اعزله فإنَّ في سيفه رهقًا، فقال أبو بكر

لا أشيم سيفًا سلَّه الله على الكفار، وجاء متمِّم بن نويرة فجعل يشكو إلى الصِّديق خالدًا، وعمر يساعده وينشد الصِّديق ما قال في أخيه من المراثي، فوداه الصِّديق من عنده.

ولم يزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرض الصِّديق ويذمره على عزل خالد عن الإمرة ويقول: إن في سيفه لرهقًا، حتى بعث الصِّديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة، وقد لبس درعه التي من حديد، وقد صدئ من كثرة الدماء، وغرز في عمامته النشاب المضمخ بالدماء، فلمَّا دخل المسجد قام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهم من عمامة خالد فحطمها، وقال: أرياء قتلت امرأ مسلمًا ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنَّك بالجنادل، وخالد لا يكلمه، ولا يظن إلا أنَّ رأي الصِّديق فيه كرأي عمر، حتى دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك وودى مالك بن نويرة، فخرج من عنده وعمر جالس في المسجد، فقال خالد: هلم إليَّ يا ابن أم شملة، فلم يرد عليه وعرف أنَّ الصِّديق قد رضي عنه، واستمر أبو بكر بخالدٍ على الإمرة[1].

١- انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٦- ٣٥٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ﵁ ما زال يستعمل خالدًا في حرب أهل الردة وفي فتوح العراق والشام وبدت منه هفوات كان له فيها تأويلٌ، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى فلم يعزله من أجلها؛ بل عاتبه عليها؛ لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه وأن غيره لم يكن يقوم مقامه؛ لأنَّ المتولي الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغي أن يكون خلق نائبِه يميل إلى الشدَّة؛ وإذا كان خلقه يميل إلى الشدَّة فينبغي أن يكون خلق نائبِه يميل إلى اللين؛ ليعتدل الأمر. ولهذا؛ كان أبو بكر الصِّديق ﵁ يؤثر استنابة خالد، وكان عمر بن الخطاب ﵁ يؤثر عزل خالد واستنابة أبي عبيدة بن الجراح ﵁؛ لأنَّ خالدًا كان شديدًا كعمر بن الخطاب وأبا عبيدة كان ليّنًا كأبي بكر؛ وكان الأصلح لكل منهما أن يولي من ولاه؛ ليكون أمره معتدلًا ويكون بذلك من خلفاء رسول الله ﷺ الذي هو معتدل[1].

ولما رضي الصِّديق عن خالد بن الوليد وعذره بما اعتذر به، بعثه إلى قتال بني حنيفة باليمامة: وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم،

١- «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٥٦- ٢٥٧).

وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشرَّدهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصِّديق خالدًا بسرية لتكن ردءًا له من ورائه وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حنيفة؛ لأنهم في نحو أربعين ألفًا من المقاتلة، فعجل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل، فناجزهم فنكب، فانتظر خالدًا، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عقربا في طرف اليمامة والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل على مجنبتي جيشه المحكم بن الطفيل، والرجَّال بن عنفوة بن نهشل، وكان الرجَّال هذا صديقه الذي شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنَّه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب في الأمر، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضلَّ أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، لعنهما الله.

وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيدًا وأبا حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين، وقيل ستين فارسًا، عليهم مجاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو راجع إلى قومه فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم، وأمر بضرب

أعناقهم كلهم، سوى مُجَّاعة فإنه استبقاه مقيدًا عنده - لعلمه بالحرب والمكيدة - وكان سيدًا في بني حنيفة، شريفًا مطاعًا، ويقال: إنَّ خالدًا لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منَّا نبيٌّ ومنكم نبيٌّ، فقتلهم إلا واحدًا اسمه سارية، فقال له: أيُّها الرجل إن كنت تريد غدا بعدول هذا خيرًا أو شرًا فاستبق هذا الرجل - يعني: مجاعة بن مرارة - فاستبقاه خالد مقيدًا، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصي به خيرًا، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيَّات، وينكحن غير حظيَّات، فقاتلوا على أحسابكم وامنعوا نساءكم، وتقدَّم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومجَّاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجَّاعة وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرجال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا

من كل جانب: أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمي البراء بن معرور - وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء فيجلس على ظهر الرجال حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد، وقاتلت بنو حنيفة قتالًا لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنَّط وتكفَّن، فلم يزل ثابتًا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذًا، وقال زيد بن الخطاب: أيُّها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدمًا، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقُتل شهيدًا رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذ يا محمداه -

وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رحى المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئًا، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانصرف عنه خالد وقد ميَّز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بني أبٍ على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبرًا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولَّى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة - وهو محكم بن الطفيل لعنه الله - بدخولها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة

من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة - فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود.

فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبًا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفًا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم، وخرج خالد وتبعه مجَّاعة بن مرارة يرسف في قيوده، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرجَّال بن عنفوة قال له خالد: أهذا هو؟ قال: لا، والله هذا خير منه، هذا الرجَّال بن عنفوة، ثم مروا برجل أصفر أخنس، فقال: هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا.

ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء

والصبيان والشيوخ الكبار، فجدعه مجَّاعة فقال: إنها ملأى رجالًا ومقاتلة فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجَّاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس فظنَّهم كما قال مجَّاعة فانتظر الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق وردَّ عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقين إلى الصِّديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد بن الحنفية رضي الله عنه.

وكان ممن ارتدَّ أهل البحرين، وكان من خبرهم أنَّ رسول الله ﷺ كان قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى ملكها، المنذر بن ساوى العبدي، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلام والعدل، فلمَّا توفي رسول الله ﷺ، توفي المنذر بعده بقليل، فلمَّا مات المنذر ارتدَّ أهل البحرين وملَّكوا عليهم الغرور، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر، وقال قائلهم: لو كان محمد نبيًّا ما مات، ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال

لها جواثا، كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردَّة، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعًا شديدًا حتى فرج الله، وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتدَّ عليه الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا قد وجدنا الصبر للمتوكلينا

وبعث الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قدمنا إليهم العلاء بن الحضرمي، فلما دنا من البحرين جاء إليه ثمامة بن أثال في محفلٍ كبير، وجاء كل أمراء تلك النواحي فانضافوا إلى جيش العلاء بن الحضرمي، فأكرمهم العلاء وترحَّب بهم وأحسن إليهم، ثم لما اقترب من جيوش المرتدَّة - وقد حشدوا وجمعوا خلقًا عظيمًا - نزل ونزلوا، وباتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتًا عالية في جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبد الله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فوره والجيش معه فكبسوا أولئك

فقتلوهم قتلًا عظيمًا، وقلَّ من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمةً عظيمة جسيمة، وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائمًا، فقام دهشًا حين اقتحم المسلمون عليهم فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، ارفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: أجهز عليّ، فقال: لا أفعل، فوقع صريعًا كلما مرَّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحطم فاقتلني فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله وقال: واسوأتاه، لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكلِّ مرصد وطريق، وذهب من فرَّ منهم أو أكثرهم في البحر إلى دارين ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي في قسم الغنيمة ونقل الأثقال وفرغ من ذلك وقال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين؛ لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعًا، فأسرى بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أنَّ الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حيي يا محي، يا قيوم يا ذا الجلال

والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا.

وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مخبرًا، واستاق الذراري والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئًا سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسَّم غنائم المسلمين فيهم، فأصاب الفارس ألفين والراجل ألفًا، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصِّديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع.

وكان ممن ارتدَّ أهل عمان، فقد نبغ فيهم رجل يقال له: ذو التاج، لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسمى في الجاهلية الجلندي، فادعى النبوة أيضًا، وتابعه الجهلة من أهل عمان، فتغلب عليها وقهر جيفرًا وعبَّادًا وألجأهما إلى أطرافها، من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصِّديق فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصِّديق بأميرين وهما

حذيفة بن محصن الحميري، وعرفجة البارقي من الأزد؛ حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى مهرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعمان، وحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير، وأمر أبو بكر عكرمة أن يلحق بحذيفة وعرفجة إلى عمان، وكل منكم أمير على جيشه وحذيفة ما دمتم بعمان فهو أمير الناس، فإذا فرغتم فاذهبوا إلى مهرة، فإذا فرغتم منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المهاجر بن أبي أمية، ومن لقيته من المرتدَّة بين عمان إلى حضرموت واليمن فنكِّل به، فسار عكرمة لما أمره به الصِّديق، فلحق حذيفة وعرفجة قبل أن يصلا إلى عمان، وقد كتب إليهما الصِّديق أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عمان أو المقام بها، فساروا فلمَّا اقتربوا من عمان راسلوا جيفرًا، وبلغ لقيط بن مالك مجيء الجيش، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له: دبا، وهي مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الذراري والأموال وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صحار، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصِّديق فقدموا على المسلمين، فتقابل الجيشان هنالك، وتقاتلوا قتالًا شديدًا، وابتلي المسلمون وكادوا أن يولوا، فمنَّ الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مددًا، في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبد القيس، في جماعة من الأمراء،

فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها، وبعثوا بالخمس إلى الصِّديق رضي الله عنه مع أحد الأمراء، وهو عرفجة، ثم رجع إلى أصحابه.

ولما فرغوا من عمان، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مهرة، بمن معه من الجيوش ومن أضيف إليها، حتى اقتحم على مهرة بلادها، فوجدهم جندين على أحدهما - وهم الأكثر - أمير يقال له: المصبح، أحد بني محارب، وعلى الجند الآخر أمير يقال له: شخريت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين فراسل عكرمة شخريت فأجابه وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون، وضعف جأش المصبح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فاغترَّ بكثرة من معه ومخالفة لشخريت، فتمادى على طغيانه فسار إليه عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبح أشدَّ من قتال دبا المتقدم، ثم فتح الله بالظفر والنصر، ففرَّ المشركون وقُتل المصبح، وقتل خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة فخمس عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه إلى الصِّديق مع شخريت،

وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب، من بني عابد من مخزوم.

وأمَّا أهل اليمن؛ فقد ظهر فيهم الأسود العنسي في حياة النبيِّ ﷺ وادعى النبوة، وأضل خلقًا كثيرًا من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتدَّ كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام، فأرسل النبيُّ ﷺ إليه الأمراء الثلاثة قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي وداذويه فقتلوه.

ولما بلغ أهل اليمن موت رسول الله ﷺ ازداد بعضهم فيما كانوا فيه من الحيرة والشك، أجارنا الله من ذلك، وطمع قيس بن مكشوح في الإمرة باليمن، فعمل لذلك، وارتدَّ عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن، وكتب الصِّديق إلى الأمراء والرؤساء، من أهل اليمن أن يكونوا عونًا إلى فيروز والأبناء على قيس بن مكشوح حتى تأتيهم جنوده سريعًا، وحرص قيس على قتل الأميرين الأخيرين، فلم يقدر إلا على داذويه، واحترز منه فيروز الديلمي، وذلك أنَّه عمل طعامًا وأرسل إلى داذويه أولًا، فلمَّا جاءه عجل عليه فقتله، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر عنده فلمَّا كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لأخرى: وهذا أيضًا والله مقتول كما قُتل صاحبه، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه، وخرج إلى

أخواله خولان فتحصن عندهم وساعدته عقيل، وعك وخلق، وعمد قيس إلى ذراري فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن، وأرسل طائفة في البر وطائفة في البحر فاحتدَّ فيروز فخرج في خلق كثير، فتصادف هو وقيس فاقتتلوا قتالًا شديدًا فهزم قيسًا وجنده من العوام، وبقية جند الأسود العنسي، فهزموا في كلِّ وجه وأسر قيس وعمرو بن معدي كرب، وكان عمرو قد ارتدَّ أيضًا، وبايع الأسود العنسي، وبعث بهما المهاجر بن أبي أمية إلى أبي بكر أسيرين، فعنَّفهما وأنبهما، فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما، ووكل سرائرهما إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وأطلق سراحهما وردهما إلى قومهما، ورجعت عمال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كانوا باليمن إلى أماكنهم التي كانوا عليها في حياته عليه السلام بعد حروب طويلة، لو استقصينا إيرادها لطال ذكرها، وملخصها: أنَّه ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردَّة لبعض الناس، فبعث الصِّديق إليهم جيوشًا وأمراء يكونون عونًا لمن في تلك الناحية من المؤمنين، فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطنٍ من تلك المواطن إلا غلب جيش الصِّديق لمن هناك من المرتدين، ولله الحمد والمنة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مغانم كثيرة، فيتقوون بذلك على من هنالك، ويبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصِّديق فينفقه في

الناس فيحصل لهم قوة أيضًا ويستعدون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ولرسوله، وأهل ذمة من الصِّديق، كأهل نجران وما جرى مجراهم، ولله الحمد[١].

موقف الصحابة والعلماء من حروب الردة

لا بدَّ من التنبيه على أنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد أجمعوا على قتال المرتدين، قال القاضي عياض: فرأى أبو بكر والصحابة رضى الله عنهم قتال جميعهم، الصنفان الأولان لكفرهم والثالث لامتناعه بزكاته[٢].

وقال الخطابي حين ذكر بعض أصناف المرتدين، وهم من أقرَّ بالزكاة ولكن امتنع عن دفعها لأبي بكر: وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فراجع أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وناظره واحتجَّ عليه بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله»[٣].

وقال في من ارتدَّ: وقد بيَّنَّا أنَّ أهل الردة كانوا أصنافًا، منهم من ارتدَّ

١- هذا المبحث مستفاد غالبه من «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٨ - ٣٦٥) بتصرف شديد.

٢- «إكمال المعلم» (١/ ١٨١).

٣- «معالم السنن» (٢/ ١٦٥).

عن الملة ودعا إلى نبوة مسيلمة وغيره، ومنهم من ترك الصلاة والزكاة وأنكر الشرائع كلها، وهؤلاء الذين سماهم الصحابة كفارًا؛ ولذلك رأى أبو بكر سبي ذراريهم، وساعده على ذلك أكثر الصحابة، واستولد علي بن أبى طالب رضي الله عنه جارية من سبي بني حنيفة، فولدت له محمد بن علي الذي يدعى ابن الحنفية، ثم لم ينقض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أنَّ المرتدَّ لا يسبى[1].

لكن العلماء بعد ذلك اختلفوا: هل كان قتال أبي بكر و الصحابة رضوان الله عليهم لمانعي الزكاة قتال ردة أم قتال بغاة، وبعبارة أخرى: هل كانوا كفارًا أم لا ؟.

واستدل القائلون بعدم تكفيرهم بأنهم لو كانوا كافرين لما شك عمر في قتالهم، كما لم يشك في قتال مسيلمة والأسود وطليحة وغيرهم ممن ادعى النبوة أو رجع إلى عبادة الأوثان.

قال الإمام الشافعي: "في قول أبى بكر: "هذا من حقها، لو منعوني عناقا مما أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه" معرفة منهما معاً بأن مِمَّن قاتلوا من هُو على التمسك بالايمان ، ولولا ذلك ما شك عمر في قتالهم

١- المصدر السابق (٢/ ١٦٦).

ولقال أبو بكر : قد تركوا لا إله إلا الله فصاروا مشركين .

وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي مُخَاطَبَتِهِم جُيُوشَ أَبِي بَكرٍ ، وَأَشعَارِ مَن قَالَ الشِّعرَ مِنهُم ، وَمُخَاطَبَتِهِم لِأَبِي بَكرٍ بَعدَ الإِسَارِ فَقَالَ شَاعِرُهُم :

أَلَا أَصبَحِينَا قَبلَ نَائِرَةِ الفَجرِ   لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدرِي

أَطَعنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ وَسطَنَا   فَيَا عَجَبًا مَا بَالُ مِلكِ أَبِي بَكرِ

فَإِنَّ الَّذِي يسألكمو فَمَنَعتُمُ   لَكَالتَّمْرِ أَو أَحلَى إِلَيهِم مِن التَّمرِ

سَنَمنَعُهُم مَا كَانَ فِينَا بَقِيَّةٌ   كِرَامٌ عَلَى العَزَّاءِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ

وَقَالُوا لِأَبِي بَكرٍ بَعدَ الإِسَارِ: مَا كَفَرنَا بَعدَ إِيمَانِنَا وَلَكِن شَحِحنَا عَلَى أَموَالِنَا.

ومانع الصدقة ممتنع بحق ناصب دونه فإذا لم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قتاله فالباغي يقاتل الإمام العادل في مثل هذا المعنى في أنه لا يعطي الإمام العادل حقًّا إذا وجب عليه ويمتنع من حكمه ويزيد على مانع الصدقة أن يريد أن يحكم هو على الإمام العادل ويقاتله فيحل قتاله بإرادته قتاله الإمام.

وقد قاتل أهل الامتناع بالصدقة وقتلوا ثم قهروا فلم يقد منهم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ وكلا هذين متأول أما أهل الامتناع فقالوا

قد فرض الله علينا أن نؤديها إلى رسوله كأنهم ذهبوا إلى قول الله عز وجل لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقالوا لا نعلمه يجب علينا أن نؤديها إلى غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأما أهل البغي فشهدوا على من بغوا عليه بالضلال ورأوا أن جهاده حق فلم يكن على واحد من الفريقين عند تقضي الحرب قصاص عندنا والله تعالى أعلم"[1].

وهذا مذهب الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة.

وقيل بأنهم كانوا كفارًا وأن قتالهم كان ردةً وهذا القولُ ذهب إليه بعض فقهاءِ الحنفية ، وهو روايةٌ عن أحمدَ ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

واستدلوا بما أخرجه أبو بكر البرقاني رحمه الله تعالى في مستخرجه عَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ قَالَ : جَاءَ وَفْدُ بُزَاخَةَ أَسَدٌ وَغَطَفَانُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يَسْأَلُونَهُ الصُّلْحَ ، فَخَيَّرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَيْنَ الْحَرْبِ الْمُجْلِيَةِ أَوِ السِّلْمِ الْمُخْزِيَةِ ، قَالَ : فَقَالُوا هَذَا الْحَرْبُ الْمُجْلِيَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا ، فَمَا السِّلْمُ الْمُخْزِيَةُ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : تُؤَدُّونَ الْحَلْقَةَ وَالْكُرَاعَ ، وَتُتْرَكُونَ أَقْوَامًا

١- الأم (٤/ ٢٢٨) بتصرف.

يَتبَعُونَ أَذْنَابَ الإِبِلِ حَتَّى يُرِىَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونكُمْ بِهِ، وَتَدُونَ قَتْلانَا وَلاَ نَدِي قَتْلاكُمْ، وَقَتْلاَنَا فِى الْجَنَّةِ وَقَتْلاَكُمْ فِى النَّارِ ، وَتَرُدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنَّا، وَنَغْنَمُ مَا أَصَبْنَا مِنْكُمْ .

قَالَ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا وَسَنُشِيرُ عَلَيْكَ ، أَمَّا أَنْ يُؤَدُّوا الْحَلْقَةَ وَالْكُرَاعَ فَنِعِمَّا رَأَيْتَ ، وَأَمَّا أَنْ يُتْرَكُوا أَقْوَامًا يَتَّبِعُون أَذْنَابَ الإِبِلِ حَتَّى يُرِىَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونَهُمْ بِهِ فَنِعِمَّا رَأَيْتَ، وَأَمَّا أَنْ نَغْنَمَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ وَيَرُدُّونَ مَا أَصَابُوا مِنَّا فَنِعِمَّا رَأَيْتَ، وَأَمَّا أَنَّ قَتْلاَهُمْ فِى النَّارِ وَقَتْلاَنَا فِى الْجَنَّةِ فَنِعِمَّا رَأَيْتَ ، وَأَمَّا أَنْ يَدُوا قَتْلاَنَا فَلاَ قَتْلاَنَا قُتِلُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَلاَ دِيَاتَ لَهُمْ فَتَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ[1].

قال ابن تيمية : "واعلم أن طائفة من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد جعلوا قتال مانعي الزكاة وقتال الخوارج جميعًا من قتال البغاة، وجعلوا قتال الجمل وصفين من هذا الباب. وهذا القول خطأ مخالف لقول الأئمة الكبار، وهو خلاف نص مالك وأحمد وأبي

١- أخرج البخاري في صحيحه (رقم/ ٧٢٢١) جزءاً منه، وأخرجه بتمامه من هذا الطريق البرقاني في مستخرجه كما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين (١/ ٩٦) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٢٧٣١) عن وكيع عن سفيان بالإسناد المذكور.

حنيفة وغيرهم من أئمة السلف، ومخالف للسنة الثابتة عن النبي ﷺ؛ فإن الخوارج أمر النبي ﷺ بقتالهم، واتفق على ذلك الصحابة. وأما القتال بالجمل وصفين فهو قتال فتنة، وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة. وأما قتال مانعي الزكاة إذا كانوا ممتنعين عن أدائها بالكلية، أو عن الإقرار بها ; فهو أعظم من قتال الخوارج"[١].

وقد نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه نقل إجماع الصحابة على تكفيرهم، وهذا من الخطأ عليه.

وبهذا يظهر أن قتال الصحابة لأهل الردة بكل أصنافهم - من خرج من الدين بالكلية ومن امتنع عن الزكاة -؛ كان الدافع فيه هو السبب الديني، ولم يكن لأجل الغرض السياسي ولا الاقتصادي، ولا لأجل كونهم خرجوا عن الدولة، وإنما لأجل أنهم خرجوا عن الإسلام جملة، أو لأجل أنهم لم يلتزموا بشعيرة من شعائره الأساسية، ويدل عليه كتابات أبي بكر للمرتدين، فحين وقعت حادثة الردة قام أبو بكر بكتابة كتاب عام أمر أن يقرأ على كل المرتدين، وجاء فيه: «من أبي بكر خليفة رسول الله، إلى من بلغ كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه

١- منهاج السنة (٤/ ٥٠١).

أو رجعه عنه... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به... وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقاتل أحداً منكم حتى يدعوه إلى داعية الله... وألا يقبل من أحد إلا الإسلام».

إلا أن هناك بعض المعاصرين من أصحاب الخطاب العلماني كعلي عبدالرازق وغيره، وكثير من الإسلاميين ممن تبنى رؤية معاصرة في قضية الحرية تأول من خلالها كل ما يخالفها من أحكام الشريعة الثابتة، كقضية جهاد الطلب وحد الردة وغيرها، وتتلخص هذه الرؤية في أن الدافع الأولي لقتال الصحابة للمرتدين لم يكن البعد الديني، وإنما كان البعد السياسي، فحروب الردة في نظرهم لم تكن لأجل إعادة من غيّر اعتقاده وخرج من الإسلام أو لأجل إلزام من امتنع عن أداء فريضة من فرائض الإسلام الأساسية، وإنما هي في نظرهم لأجل أنهم مواطنون تخلوا عن التزاماتهم وواجباتهم باعتبارهم أعضاء في الدولة، ولأنهم سعوا إلى الانفصال عن جسد الدولة وأعلنوا الحرب عليها، وأمسوا يشكلون خطراً على أمنها واستقرارها[1] .

١- الإسلام وأصول الحكم، علي عبدالرازق (ص/ ١١٤-١١٧)، لا إكراه في الدين، طه جابر العلواني (ص/ ١٤٩)، الحريات العامة، عبدالحكيم العيلي (ص/ ٤٣١)،=

وهذا التفسير السياسي لحروب الردة مصادم لحقيقة ما كانت عليه تلك الحروب، ومتناقض مع حال الصحابة في التعامل معها، فإن هناك نصوصاً كثيرة - كما سبق بيانه - تدل على أن دافعهم في محاربة القبائل المرتدة لم يكن لأجل أنهم أعلنوا الخروج عن حكم الدولة ولا لأنهم باتوا يشكلون خطراً على أمنها، وإنما لأنهم أعلنوا الخروج عن الدين أو لأنهم أعلنوا عدم الالتزام بعبادة من أصول الإسلام وأركانه الأساسية، وأصحاب التفسير السياسي لحروب الردة لم يقدموا جواباً على تلك الأدلة والشواهد، وإنما أغفلوها وأعرضوا عنها وكأنه ليس لها وجود!

الحقوق والحريات السياسية في الإسلام، رحيل غرايبة (ص/ ٣٥٥)، الإسلام وحرية الفكر، جمال البنا (ص/ ٢٠٥)، حرية الفكر في الإسلام، عبدالمتعال الصعيدي (ص/ ٦٥)، حرية الاعتقاد في القرآن الكريم، عبدالرحمن حللي (ص/ ١٢٥)، حق الحرية في العالم، وهبة الزحيلي (ص/ ١٤٨)، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام، محمد منير إدلبي (ص/ ١٢١)، نصوص الردة في تاريخ الطبري، محمد حسن آل ياسين (٩٠)، مستفاد من: فضاءات الحرية، د/ سلطان العميري، (ص/ ٣٢٩-٤٢٣).

المبحث الرابع

جمع القرآن

مات النبي ﷺ والقرآن مفرق في صدور الرجال وبآحاد الصحف وما يشبهها، لا يجمعه مصحف واحد، وتعويل الصحابة يومئذ كان على حفظ صدورهم، ثم كان من تكريم الله للخليفة الراشد الأول أبي بكر الصِّديق أن قيض - سبحانه - الأسباب لتكون أولى خطوات هذا الفتح المبين الذي يمسكه المسلمون بين أيديهم اليوم في يسر بلا مشقة = على يد هذا الإمام رضي الله عنه.

* فما هي أسباب هذا الجمع، وما هي خصائصه ومعالمه، والفروق بينه وبين جمع القرآن زمان النبي ﷺ، والفروق بينه وبين الجمع العثماني؟

هذا هو ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث:

يعد خبر زيد بن ثابت رضي الله عنه هو النصّ الأمّ لمن أراد أن يحلل الجمع الأول؛ ليستبين صفاته ومعالمه؛ فناسب أن نبدأ به:

فعن عبيد بن السباق، أنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال: «أرسل إلي أبو بكر

مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده»، قال أبو بكر رضي الله عنه : «إنَّ عمر أتاني، فقال: «إنَّ القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن»، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟»، قال عمر: «هذا والله خير»، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر»، قال زيد: «قال أبو بكر: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه»، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن»، قلت: «كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟»، قال: «هو والله خير»، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف

عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم »[١].

* وبتحليل هذا النصّ، ومع ربطه بالنصوص الأخرى في الباب يمكننا تكسير النظر إلى الـمسائل التالية:

١- أخرجه الإمام أحمد: (١/ ١٠، وغيره)، والبخاري: [كتاب: (فضائل القرآن)، باب: (جمع القرآن)، رقم: (٤٩٨٦)، وغيره]، والترمذي: [(أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب: (ومن سورة التوبة)، رقم: (٣١٠٣)]..

المسألة الأولى

سبب الجمع

* قال أبو بكر رضي الله عنه: «إنَّ عمر أتاني، فقال: «إنَّ القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن»، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، قال عمر: «هذا والله خير»[1].

ـ والتعليق على هذا الموضع من النصِّ ينتظم في النقاط التالية:

١- ينبغي أن يعلم أنَّ جمع القرآن محفوظًا في الصدور هو الأصل عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو خصيصة من خصائص هذا القرآن الذي لا يغسله الماء، وكان الإسلام قد فُجع بمقتل سبعين من القراء من قبل، ثم أتت الفاجعة الثانية بانتشار القتل بين صفوف القراء يوم اليمامة.

- عن قتادة قال: «ما نعلم حيًّا من أحياء العرب أكثر شهيدًا، أعز يوم القيامة من الأنصار»، قال قتادة: «وحدثنا أنس بن مالك أنَّه قُتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون»، قال: «وكان بئر معونة على عهد رسول صلى الله عليه وسلم، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر

١- هو نفس الحديث السابق.

يوم مسيلمة الكذاب»[١].

- وعن سعيد بن الـمسيب قال: «قُتل من الأنصار يوم اليمامة سبعون»[٢].

- وفي أخبار تلك الـمعركة عند الطبري ما يؤكد كون حاملي القرآن كانوا كثرةً في هذا الجيش: «وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال وحمل فحازهم حتى أنفذهم، وأصيب - رحمه الله -، وحمل خالد بن الوليد، وقال لحماته: لا أوتين من خلفي حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة... لـمَّا أعطي سالـم الراية يومئذ، قال: ما أعلمني لأي شيء أعطيتمونيها! قلتم: صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات! قالوا: أجل، وقالوا: فانظر كيف تكون؟ فقال: بئس والله حامل القرآن أنا إن لـم أثبت! وكان صاحب الراية قبله عبد الله بن حفص بن غانم»[٣].

- واسترعى هذا القتل الـمستحر انتباه الـمحدَّث الـملهم الفاروق

١- أخرجه البخاري: [كتاب: (الـمغازي)، باب: (من قتل من الـمسلمين يوم أحد)، رقم: (٤٠٧٨)].

٢- «دلائل النبوة»؛ للبيهقي: (٣/ ٢٧٧).

٣- «تاريخ الأمم والملوك»، للطبري: (٣/ ٢٩٢).

عمر رضي الله عنه ، فكان منه هذا الاقتراح.

٢- ولا مجال للشكِّ في أنَّ مراد عمر هو: جمع القرآن مسطورًا مكتوبًا، وإخراجه من حالة التفرق في الرقاع واللخاف والعسب؛ إذ يكفي في الدلالة على هذا أنَّ هذا الجمع جاء في مقابل حفظ الصدر الذي يخشى من ذهابه بموت القراء.

٣- ومن نفائس فوائد هذا النص: أنَّ عمر رضي الله عنه لـم يتكل على تعهد الله - سبحانه - بحفظ القرآن دون أن يسلك سبل الأسباب، بل أعمل عقله ونظره في تحصيل أسباب القيام بواجب الأمانة نحو هذا الكتاب العظيم.

٤- ومن فوائد هذا النص أيضًا: جرأة الـمحدَّث الـملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على استحداث أمر لـم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم مبديًا حجته في ذلك «أنَّه خير» مستحضرًا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لـم يسبق لهذا الخير لعدم قيام دواعيه على نحو ما بيَّنَّاه آنفًا.

٥- ومن فوائد هذا النص: تقديم الصِّديق أبي بكر لأنموذج رفيع من نماذج حسن القيام بولاية الأمر حينما يستمع لعمر رضي الله عنه ، ثم حينما يجيبه

إلى ما لـم يكن راضيًا عنه أول الأمر، وهذا الإنصات في مصالح الدين والدنيا وتقديم ما يتبيَّن أنَّه الحق على ما تميل إليه النفس هما من أعظم سمات من يلي أمور الـمسلمين من الأمراء أو العلماء.

أما سبب تردد أبي بكر؛ فكما يقول ابن بطال: «إنما نفر أبو بكر أولًا، ثم زيد بن ثابت ثانيًا؛ لأنهما لـم يجدا رسول الله ﷺ فعله، فكرها أن يحلا أنفسهما محلَّ من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول».

المسألة الثانية

القائم بالجمع

١- يقول الحافظ ابن حجر: «هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، وقيل: أبو ثابت. وقيل غير ذلك في كنيته.

وكتب الوحي للنبي ﷺ، وأمه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي، وقُتل أبوه يوم بعاث، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، أخرج الواقدي ذلك من رواية يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عنه.

وكان زيد من علماء الصحابة، وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك.

روى عنه جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وأبو سعيد، وابن عمر، وأنس، وسهل بن سعد، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن يزيد الخطمي. ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وولداه: «خارجة، وسليمان»، والقاسم بن محمد، وسليمان بن يسار، وآخرون» [١].

١- «الإصابة»: (٢/ ٤٨٩ - ٤٩٢)، وللتوسع في ترجمته انظر: [«طبقات ابن سعد»: (٢/ ٣٥٨)، و«طبقات خليفة»، ص: (٨٩)، و«تاريخ خليفة»، ص: (٩٩، ٢٠٧، ٢٢٣)، و«التاريخ الكبير»: (٣/ ٣٨٠، ٣٨١)، و«المعارف»، ص: (٢٦٠، ٣٥٥، ٤٤٧)، و«تاريخ الفسوي»: (١/ ٣٠٠، ٤٨٣)، و«أخبار القضاة»: (١/ ١٠٧)،=

٢ - مؤهلاته للقيام بهذه المهمة:

- قال زيد: «قال أبو بكر: «إنَّك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه».

من هذا النصِّ وبجمعه مع نصوص أخرى يمكننا استخراج الصفات التي أهلت زيدًا للقيام بهذا العمل وهي:

=و«الجرح والتعديل»: (٣/ ٥٥٨)، و«ابن عساكر»: (٦/ ٢٧٨)، و«تهذيب الكمال»، ص: (٤٥٢)، و«العبر»: (١/ ٥٣)، و«معرفة القراء»، ص: (٣٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٣/ ٣٩٩)، و«خلاصة تذهيب الكمال»، ص: (١٢٧)، و«شذرات الذهب»: (١/ ٥٤، ٦٢)، و«أسد الغابة»، ت: (١٨٢٤٥)، و«الاستيعاب»، ت: (٨٤٠)، و«السير والمغازي»؛ لأبي إسحاق، ص: (١٣٠)، و«المغازي للواقدي»: (٣/ ١١٧١)، و«سيرة ابن هشام»: (٢/ ١٨٠)، و«المحبر»؛ لابن حبيب، ص: (٢٨٦)، و«ترتيب الثقات»؛ للعجلي، ص: (١٧٠)، و«تاريخ اليعقوبي»: (٢/ ٨٠)، و«مقدمة مسند بقي بن مخلد»، ص: (٨٣)، و«العقد الفريد»: (٢/ ١٢٧)، و«فضائل الصحابة»؛ للنسائي، ص: (١٦٤)، و«أخبار القضاة»؛ لوكيع: (١/ ١٠٧)، و«أنساب الأشراف»: (١/ ٢٦٧)، و«الثقات»، لابن حبان: (٣/ ١٣٥)، و«مشاهير علماء الأمصار»، ص: (١٠)، و«المعجم الكبير»، للطبراني: (٥/ ١١١)، و«جمهرة أنساب العرب»، ص: (٣٤٨)، و«المستدرك»، للحاكم: (٣/ ٤٢١)، و«الكنى والأسماء»، للدولابي: (١/ ٧١)، و«الجامع بين رجال الصحيحين»: (١/ ١٤٢)، و«تهذيب تاريخ دمشق»: (٥/ ٤٤٦)، و«معجم البلدان»: (١/ ٢٦٩)، و«تحفة الأشراف»: (٣/ ٢٠٥)، و«الكاشف» (١/ ٢٦٤)، و«العبر»: (١/ ٥٣)، و«سير أعلام النبلاء»: (٢/ ٢٢٦)].

كونه من حفظة القرآن.

فعن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: «من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟»، قال: «أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، ورجل من الأنصار يكنى أبا زيد»[1].

٢ـ كونه من كتبة الوحي.

٣ـ الذكورة وما يستتبعها من مؤهلات جسمية ونفسية وذهنية.

٤ـ الشباب وما يستتبعه من مؤهلات جسمية ونفسية وذهنية.

٥ـ شهوده للعرضة الأخيرة.

- يقول الزرقاني: «اهتمَّ أبو بكر بتحقيق هذه الرغبة ورأى بنور الله أن يندب لتحقيقها رجلًا من خيرة رجالات الصحابة هو زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لأنَّه اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال إذ كان من حفَّاظ القرآن ومن كتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته ﷺ، وكان فوق ذلك معروفًا بخصوبة عقله وشدة ورعه وعظم أمانته وكمال خلقه واستقامة دينه»[2].

١- أخرجه «البخاري»: (٣٨١٠)، و«مسلم»: (٢٤٦٥).
٢- «مناهل العرفان»: (١/ ٢٥٠).

ويقول قال أبو شامة: «قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنَّه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات؛ ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف رضي الله عنهم أجمعين»[1].

١- «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»: (١ / ٦٩).

المسألة الثالثة

ما سبب تقديم زيد بن ثابت على عبد الله بن مسعود؟

- الثابت بالأسانيد الصحيحة هو أنَّ عبد الله بن مسعود قد شهد العرضة الأخيرة، وهذا أقوى من طريق شهود زيد بن ثابت لها الذي لم نقف له على إسناد صحيح.

- وقد حاول بعض العلماء تفسير تقديم زيد على ابن مسعود؛ فقال أبو بكر الأنباري: «ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأنَّ زيدًا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله ﷺ حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيف وسبعون سورة، ثم تعلَّم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حي أولى بجمع المصاحف وأحق بالإيثار والاختيار، ولا ينبغي أن يظنَّ جاهل أنَّ في هذا طعنًا على عبد الله بن مسعود؛ لأنَّ زيدًا إذا كان أحفظ للقرآن منه، فليس ذلك موجبًا لتقدمه عليه؛ لأنَّ أبا بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيرًا منهما ولا مساويًا لهما في الفضائل والـمناقب، قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نتجه الغضب، ولا يُعمل به ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم، فالشائع الذائع الـمتعالـم عند أهل الرواية والنقل: أنَّ عبد الله بن مسعود تعلَّم بقية القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ »[1].

وقال الإمام أبو الفضل الرازي المقرىء، في جواب: ما الذي أوجب تقديم زيد في شبابه على عبد الله، ومشايخ الصحابة؟: « فلأنَّه كان أجود خطًا، وأعرفهم بالناسخ والمنسوخ؛ وأعلمهم بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ؛ ولأنَّه كان آخر من كتب الوحي لرسول الله ﷺ؛ وشهد العرضتين الأخيرتين من القرآن، وكتبهما.

إلى أن قال: فلم يكن المراعى في الجمع السن والسابقة فيقدم غيره، بل الشباب أنهض بمثل ذلك من الشيوخ»[2].

١- «تفسير القرطبي»: (١/ ٨٨).

٢- انظر: [«معاني الأحرف السبعة»؛ لأبي الفضل الرازي: (٥٤٥-٥٤٦)].

وخلاصة ما يذكر من اعتبارات لتقديم زيد على غيره من الصحابة رضي الله عنهم، يرجع إلى أمور[١]:

الأول: قرب موطن زيد من المدينة، وتفرق كثير من الصحابة في الأمصار.

قال الحافظ: والعذر لعثمان في ذلك أنَّه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر[٢].

الثاني: اقتداء عثمان رضي الله عنه في جمعه بأبي بكر في اختيار زيد رضي الله عنه.

قال الحافظ: فإنَّ عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفًا واحدًا وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت كما تقدَّم لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره[٣].

١- انظر: «المصاحف المنسوبة للصحابة، والرد على الشبهات المثارة حولها»، ت: محمد بن عبد الرحمن الطاسان، (٣٥٨-٣٨١).

٢- انظر: [«فتح الباري»؛ (٩/ ١٩)].

٣- انظر: [«فتح الباري»؛ (٩/ ١٩)].

الثالث: صفات اجتمعت في زيد بن ثابت رضي الله عنه، قد لا توجد في غيره إلا متفرقة.

قال الحافظ: ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شابًا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلًا فيكون أوعى له، وكونه لا يُتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له؛ وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة[1].

الرابع: أنَّه شهد آخر العرضتين التي عارضهما النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام.

قال شيخ الإسلام: والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره[2].

١- انظر: [«فتح الباري»؛ (٩/ ١٣)].

٢- انظر: [«مجموع الفتاوى»؛ (١٣/ ٣٩٥)].

الخامس: أنَّه حفظ القرآن كاملًا في عهد رسول الله ﷺ، بخلاف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره.

وقد ذكر ذلك عدد من العلماء منهم أبو بكر الأنباري، في كلامه المتقدم في أول المبحث.

السادس: تميَّز زيد بن ثابت رضي الله عنه بكثرة كتابة الوحي في عهد النبي ﷺ، وبعلم الرسم.

قال الذهبي: ولأنَّ زيدًا كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ؛ فهو إمام في الرسم، وابن مسعود فإمام في الأداء، ثم إنَّ زيدًا هو الذي ندبه الصِّديق لكتابة المصحف وجمع القرآن، فهلا عتب على أبي بكر؟

وقد ورد أنَّ ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد[1].

وقال الحافظ: وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه الكاتب بلام العهد كما في حديث البراء بن عازب ثاني حديثي الباب ولهذا قال له أبو بكر إنَّك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ[2].

١- انظر: [«سير أعلام النبلاء»، (١/ ٤٨٨)].

٢- انظر: [«فتح الباري»، (٩/ ٢٢)].

السابع: أنَّ الصحابة قصدوا إلى كتابة المصحف بالرسم الموافق للسان قريش عند الاختلاف؛ ولهذا اختاروا زيدًا، أما ابن مسعود فهذلي، وكان يقرأ الناس على حرفه، وبين حرفه وحرف قريش تباين[1].

١- انظر: [«المقنع»، لأبي عمرو الداني (١٢١-١٢٢)].

المسألة الرابعة

وظيفة الجمع

- قال البغوي: «فيه البيان الواضح أنَّ الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى- على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه، أو نقصوا منه شيئًا، والذي حملهم على جمعه ما جاء بيانه في الحديث، وهو أنه كان مفرقًا في العسب، واللخاف، وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ﷺ ، ودعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم، فأمر بجمعه في موضع واحد، باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئًا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه، ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل - صلوات الله عليه - إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أنَّ هذه الآية تُكتب عقيب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا، روي معنى هذا عن عثمان رضي الله عنه[1].

١- أخرجه الإمام أحمد: (١/ ٥٧، وغيره)، وأبو داود: [كتاب: (الصلاة)، باب: (من جهر بها - البسملة -)، رقم: (٧٨٦)]، والترمذي: [(أبواب تفسير القرآن عن=

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: لـم يكن النبي ﷺ يعلم ختم السورة حتى تنزل: {بسم الله الرحمن الرحيم}، فإذا نزل: {بسم الله الرحمن الرحيم}، علم أنَّ السورة قد ختمت[١].

فثبت أنَّ سعي الصحابة كان في جمعه في موضعٍ واحد، لا في ترتيبه؛ فإنَّ القرآن مكتوب في اللوح الـمحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله - تعالى - جملةً واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ٥٨١]، وقال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ١]»[٢].

* قلت: اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن: «هل هي توقيفية أو اجتهادية؟» على قولين:

- الأول: توقيفية، وحين جمعه أبو بكر، ثم عثمان كان جمعه على الترتيب الذي ترك رسول الله ﷺ عليه الناس، وهو كما في مصاحف

= رسول الله ﷺ)، باب: (ومن سورة التوبة)، رقم: (٣٠٨٦)].

١- أخرجه أبو داود: [كتاب: (الصلاة)، باب: (من جهر بها - البسملة -)، رقم: (٧٨٨)].

٢- «شرح السنة»: (٤/ ٥٢١-٥٢٣).

المسلمين من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١].

ورأى بعض أصحاب هذا القول أنَّ اعتقاد كون القرآن متواترًا يقتضي أن يكون متواترًا حتى في ترتيب سوره.

- الثاني: اجتهادية، وهو قول أكثر العلماء[٢].

وهو الراجح - والله أعلم -؛ خاصة مع اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيبها، كما تشهد به الآثار، ولو كان عندهم ترتيب توقيفي = لكانوا أولى بالتزامه.

- فالظاهر؛ أنَّ وظيفة الجمع كانت مجرد جمع نسخة كاملة مكتوبة بين دفتين، وكانت نسخة على غير الترتيب العثماني، وإلا لـما احتاج عثمان رضي الله عنه إلى النظر في أمر الترتيب، كما يدل عليه حديث يزيد الفارسي، عن ابن عباس، قال: «قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «براءة»، و«الأنفال» فقرنتم بينهما؟» الحديث[٣]؛ فإنَّه يدل على أنَّ لعثمان في جمعه القرآن بعد أبي بكر تصرفًا ما، وهو هذا، فأبو بكر جمع آيات كل

١- «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي: (١/ ٥٩، ٦٠).

٢- «فتح الباري»، لابن حجر: (٩/ ٤٠)، و«الإتقان»، للسيوطي: (١/ ١٧٥).

٣- أخرجه أحمد في مسنده: (١/ ٤٦٠).

سورة كتابة لها من الأوراق الـمكتوبة بين يـدي النبي ﷺ ومن الصدور، وعثمان جمع السور على هذا الترتيب في مصحفٍ واحد ناسخًا لها من صحف أبي بكر - رضي الله عن الجميع -.

المسألة الخامسة

المصادر التي اعتمد عليها زيد لجمع القرآن

- قال زيد: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة»[1].

فقد اتكأ زيد على الأساسين اللذين كانا قد جمع بهما القرآن زمن النبي ﷺ، وهما:

١ـ صدور الرجال.

٢ـ الصحف المفرقة وما يشبهها من أدوات الكتابة.

- وبيِّنٌ جدًا أنَّ زيدًا حرص على الجمع بين المحفوظ والمكتوب في كل آية، يدل على ذلك ما رواه خارجة بن زيد بن ثابت، أنَّه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه، يقول: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن

١- انظر: [حاشية رقم: (٤٤)].

ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف»[1].

فدلَّ إثبات زيد لسماع الآي على أنَّه إنما يطلب المكتوب، ودلَّ حصره للمفقود كتابة على أنهم وجدوا جميع القرآن مكتوبًا.

ولذلك فسَّر الحافظ ابن حجر الشاهدين بأنهما الحفظ والكتابة كما سيأتي.

١- انظر: [حاشية رقم: (٢٥١)].

المسألة السادسة

وسائل الكتابة[1]

* «العسب»: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض منه.

* «اللخاف»: بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة، آخره فاء، جمع: «لـخفة» بفتح اللام وسكون الخاء: وهي الحجارة الرقاق، وقال الـخطابي: صفائح الحجارة.

* «الرقاع»: جمع رقعة، وهي التي تكتب وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

* «الأضلاع»: جمع ضلع، بكسر الضاد وفتح اللام على لغة أهل الحجاز وبإسكانها على لغة تميم، وهي عظام الجنبين.

* «الأكتاف»: جمع كتف، والكتف والكتف ومثل: كَذِب وكِذب: عظمٌ عريض خلف الـمنكب، يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، وهو ما فوق العضد، كانوا إذا جفَّ كتبوا عليه.

١- انظر: [«جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين»، للشيخ الدكتور/ فهد الرومي، ص: (١٩-٢٤)].

* «الأقتاب»: جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، وفي اللسان: والقتب والقتب: إكاف البعير، وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير، وفي الصحاح: رحل صغير على قدر السنام.

* «قطع الأديم»: الأديم: الجلد الـمدبوغ، والجمع: أدم بفتحتين.

* «القضم»: جمع: قضيم، وهو الجلد الأبيض يكتب فيه، وقيل: هي الصحيفة البيضاء، قال ابن منظور: وفي حديث الزهري: قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العسب والقضم، هي الجلود البيض، واحدها قضيم، ويجمع أيضًا على قضم بفتحتين، كأدم وأديم، عن اللحياني، قال: وجمعها: قضم كصحيفة وصحف، قال الأزهري: القضيم هنا الرق الأبيض الذي يكتب فيه.

* «الظرر»: حجر له حد كحدِّ السكين، جمع: ظرار، مثل: رطب ورطاب، وربع ورباع، وظران أيضًا مثل: صرر وصردان.

* «القراطيس»: جمع قرطاس، مثلثة القاف، وهي الصحيفة الثابتة - من أي شيء كانت - التي يكتب فيها، أو الكاغد، ويقال للأديم الذي ينصب للنضال: قرطاس كذلك.

- وقد وردت الكلمة في سورة الأنعام بالإفراد والجمع في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعام: ٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا ﴾ [الأنعام:١٩].

- ونقل العلامة السيوطي رواية موطأ ابن وهب[1] عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: «جمع أبو بكر القرآن في قراطيس».

* «الألواح»: مفرده: اللوح، وهو: كل صحيفة عريضة من خشب أو عظم كتف إذا كتب عليه.

* «الصحف»: جمع صحيفة، وهي قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، والجمع: صحف بضمتين، وصحائف، مثل: كريم وكرائم.

* «الكرانيف»: جمع كرنافة، بالضم والكسر، وهي أصول الكرب - السعف الغلاظ العراض - تبقى في الجذع بعد قطع السعف.

١- أخرجه الطحاوي في «شرح المشكل»: (٥/ ٢٠٤، ٨/ ١٢٧)، وابن أبي داود في «المصاحف»: (رقم/ ٣٠) من طريقه، وسالم لم يدرك جده، ولا أبا بكر.

المسألة السابعة

منهج الجمع وصفته

يمكننا تبين معالم هذا المنهج من خلال تأمل الروايات التالية:

١- قال زيد: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة».

٢- عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أنَّ عمر بن الخطاب قام في الناس، فقال: «من كان تلقى من رسول الله شيئًا من القرآن؛ فليأتنا به»، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئًا حتى يشهد شهيدان[1].

٣- عن هشام، عن عروة، عن أبيه، قال: لما استحرَّ القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه».

١- أخرجه ابن وهب في «موطئه» [كما في «التفسير»؛ لابن كثير: (١/ ٢٦)]، ومن طريقه ابن أبي داود في «المصاحف»، رقم: (٣٣)، ويحيى لم يدرك عمر بن الخطاب.

ـ قال الـحافظ ابن حجر: «الـمراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة»[1].

- وقد ذهب السخاوي إلى أنَّ الـمراد بشاهدين: «رجلان عدلان يشهدان على أنَّه كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو أنَّه من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن»[2].

- وقال أبو شامة موضحًا محلَّ طلب الشهادة «لـم تكن البينة على أصل القرآن؛ فقد كان معلومًا لهم كما ذكر، وإنما كانت على ما أحضـروه من الرقاع الـمكتوبة، فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، وبإذنه على ما سمع من لفظه، ولهذا قال: «فليمل سعيد»، يعني: من الرقاع التي أحضرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لـم يحتج زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه».

٤- قال زيد: «وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

وبهذا يكون ابتداء الجمع بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة، أو أوائل الثانية عشرة، وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة عشرة، أي: قرابة خمسة عشر شهرًا.

١- «فتح الباري»: (٩/ ١٤).

٢- «جمال الإقراء»: (١/ ٨٦).

المسألة الثامنة

هل كان الجمع الأول بين دفتي مصحف، أم كان صحفًا مفرقة؟

ـ قال أبو شامة المقدسي: «وقد حكى القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار خلافًا في أنَّ أبا بكر جمع القرآن بين لوحين أو في صحف وأوراق متفرقة، وبكل معنى من ذلك قد وردت الآثار، وقيل: «كتبه أولًا في صحف ومدارج نسخت ونقلت إلى مصاحف جعلت بين لوحين»، وقيل: معنى قول علي: «أبو بكر أول من جمع القرآن بين اللوحين»، أي: جمع القرآن الذي هو الآن بين اللوحين، وكان هذا أقرب إلى الصواب جمعًا بين الروايات، وكأنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان جمع كل سورة أو سورتين أو أكثر من ذلك في صحيفة على قدر طول السورة وقصرها، فمن ثمَّ قيل: «إنَّه جمع القرآن في مصحف»، ونحو ذلك من العبارات المشعرة بالتعدد، ثم إنَّ عثمان رضي الله عنه نسخ من تلك الصحف مصحفًا جامعًا لها، مرتبة سورة سورة على هذا الترتيب، ويدل على ذلك ظاهر حديث يزيد الفارسي عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «براءة» و«الأنفال» فقرنتم بينهما؟» الحديث[1]؛ فإنَّه يدل على أنَّ لعثمان في جمعه القرآن بعد أبي بكر تصرفًا ما، وهو هذا، فأبو بكر جمع آيات كل

١- أخرجه أحمد في مسنده: (١/ ٤٦٠).

سورة كتابة لها من الأوراق الـمكتوبة بين النبي ﷺ، وعثمان جمع السور على هذا الترتيب في مصحفٍ واحد ناسخًا لها من صحف أبي بكر.

وأما ما روي أنَّ عثمان جمع القرآن أيضًا من الرقاع كما فعل أبو بكر؛ فرواية لـم تثبت، ولـم يكن له إلى ذلك حاجة، وقد كفيه بغيره؛ فالاعتماد على ما قدَّمناه أول الباب من حديث صحيح البخاري، وإنما ذكرنا ما بعده زيادة كالشرح له، وجمعًا لـما روي في ذلك، ويمكن أن يقال: إنَّ عثمان طلب إحضار الرقاع ممن هي عنده، وجمع منها، وعارض بما جمعه أبو بكر، وعارض بتلك الرقاع، أو جمع بين النظر في الجميع حالة النسخ؛ ففعل كل ذلك أو بعضه، استظهارًا ودفعًا لوهم من يتوهم خلاف الصواب، وسدًّا لباب القالة: إنَّ الصحف غُيرت أو زيد فيها ونقص، وما فعله مروان من طلبه الصحف من ابن عمر وتمزيقها - إن صح ذلك - فلم يكن لـمخالفة بين الجمعين، إلا فيما يتعلق بترتيب السور، فخشي أن يتعلق متعلق بأنَّه في جمع الصِّديق غير مرتب السور؛ فسدَّ الباب جملة. هذا إن قلنا إنَّ عين ما جمعه عثمان هو عين ما جمعه أبو بكر، ولـم يكن لعثمان فيه إلا حمل الناس عليه مع ترتيب السور، وأما ما قلنا بقول من زعم أنَّ عثمان اقتصر مما جمعه

أبو بكر على حرفٍ واحد من بين تلك القراءات الـمختلفة فأمر ما فعله مروان ظاهر، وسيأتي الكلام على كل واحد من القولين، وإيضاح الحق في ذلك - إن شاء الله تعالى -»[١].

١- «المرشد الوجيز»، ص: (٧٤-٧٦).

المسألة التاسعة

مصير الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنه

- عن سالـم بن عبد الله: أنَّ مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها. قال سالـم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت، فقال مروان: «إنما فعلت هذا لأنَّ ما فيها قد كُتب وحفظ بالـمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول إنَّه قد كان شيء منها لـم يكتب»[1].

١- «إسناده صحيح»: أخرجه ابن حبان: (٤٥٠٧)، والطبراني في «مسند الشاميين»: (٣١٦٨)، وابن أبي داود في «المصاحف»، رقم: (٧٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن»، رقم: (٥٥٣) وفيه أنَّ سؤال مروان لحفصة وقع حين كان أميرًا على المدينة، رواه الزهري عن أنس بن مالك، كما في الرواية عن سالم بن عبد الله: «أنَّه فشاها وحرقها»، وغيرهم. وقال أبو عبيد: «لـم يسمع في شيء من الحديث أنَّ مروان هو الذي مزق الصحف إلا في هذا الحديث».

المسألة العاشرة

ما الذي يميز هذا الذي جمعه أبو بكر عن المصاحف التي كانت بين أيدي الصحابة؟

*** يمكن تلخيص مميزات هذا الجمع في النقاط التالية:**

١ - أنَّ كتابته قامت على أدق وسائل التثبت والاستيثاق؛ فلم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنَّه قرآن وتواترت روايته.

٢- أنَّه جمع في مصحفٍ واحد مرتب الآيات والسور.

٣- موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة.

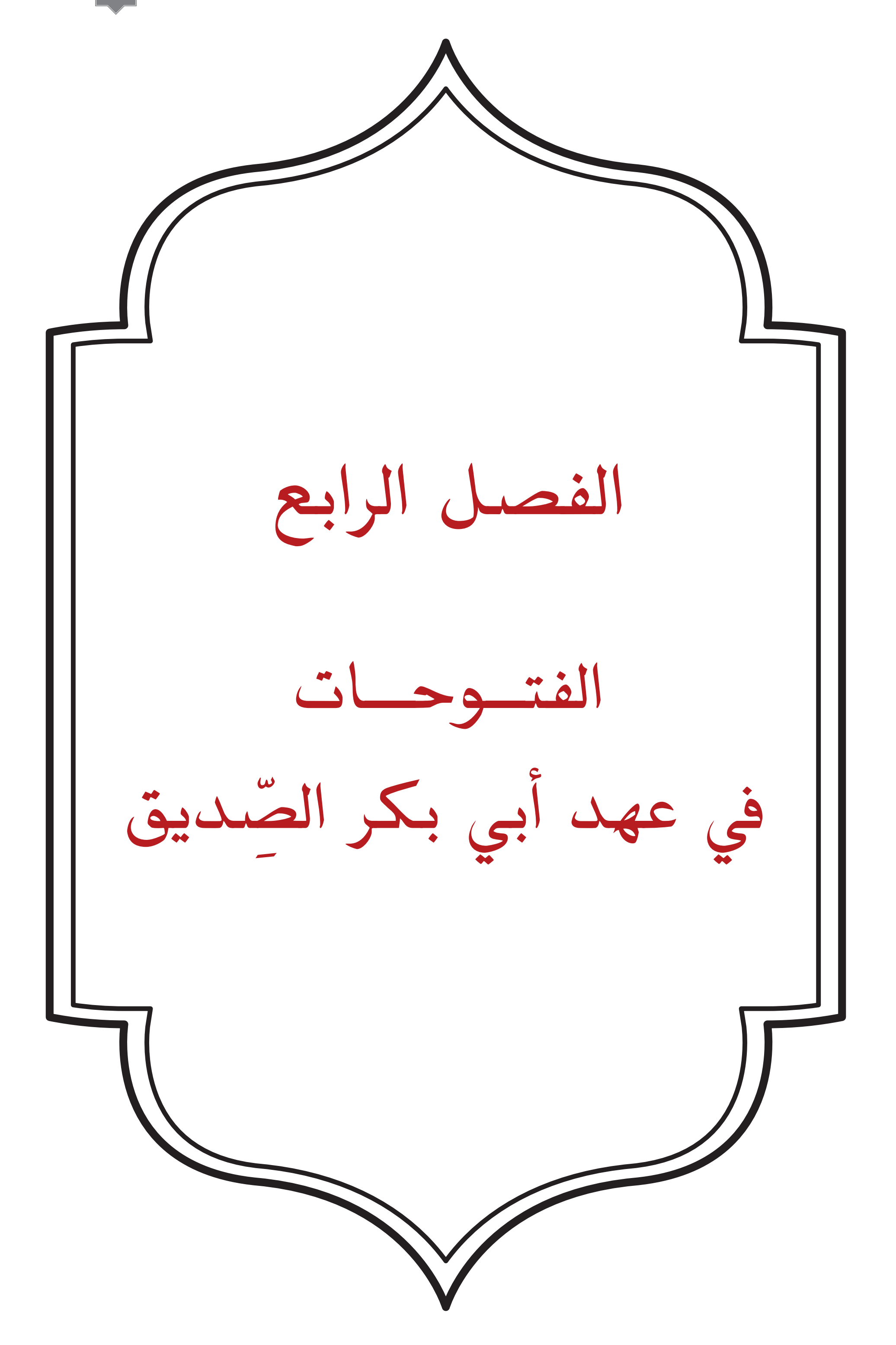
٤- اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.

٥- اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة.

٦- إجماع الصحابة على صحته ودقته، وعلى سلامته من الزيادة والنقصان، وتلقيهم له بالقبول والعناية.

٧ فهذه السمات اجتمعت في الصحف التي جمعها أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه، وإن وجدت مصاحف فردية لدى بعض الصحابة

كمصحف علي بن أبي طالب، ومصحف أبيّ بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ؛ إلا أنها لـم تكن على هذا النحو ولـم تحظ بالتحري والدقة والجمع والترتيب، والاقتصار على القرآن، حيث كانت متضمنة تعليقات وشروحًا وأدعية ومأثورات كتبها الصحابة لأنفسهم، فهي خاصة بهم وباستطاعتهم تمييز القرآن من غيره، أما غيرهم فقد لا يستطيع ذلك.



الفصل الرابع

الفتـــوحـــات
في عهد أبي بكر الصِّديق

المبحث الأول

فتوحات العراق

خطة الصِّديق لفتح العراق :

بعد أن انتهت حروب الردة، واستأصل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أذرع الفتن التي أحاطت بالدولة الإسلامية؛ بدأ يفكر في الفتوح، وجيش الجيوش، وكانت البداية بالعراق، وكان الجيش بقيادة خالد بن الوليد، وقد أوصاه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل خروجه.

قال ابن كثير: لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصِّديق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وفي الأبلة، ويأتي العراق من أعاليها، وأن يتألَّف الناس ويدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحدًا على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتدَّ عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب كل امرئ مرَّ به من المسلمين، وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمدادًا لخالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

كما أرسل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيشًا آخر بقيادة عياض بن غنم.

١- «البداية والنهاية» (٦ / ٣٧٦).

قال الشعبي: لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، كتب إليه أبو بكر رحمه الله: إنَّ الله فتح عليك فعارق حتى تلقى عياضًا، وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النباج والحجاز: أن سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها، وعارق حتى تلقى خالدًا وأذنا لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحا بمتكاره.

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض، وأذنا في القفل عن أمر أبي بكر قفل أهل المدينة وما حولها وأعروهما، فاستمدا أبا بكر، فأمدَّ أبو بكر خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمي، فقيل له: أتمد رجلًا قد ارفض عنه جنوده برجل! فقال: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا، وأمدَّ عياضًا بعبد بن عوف الحميري، وكتب إليهما أن استنفرا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله، ولا يغزون معكم أحدٌ ارتدَّ حتى أرى رأيي فلم يشهد الأيام مرتد.

فلما قدم الكتاب على خالد بتأمير العراق، كتب إلى حرملة وسلمى والمثنى ومذعور باللحاق به، وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبلة؛ وذلك أنَّ أبا بكر أمر خالدًا في كتابه: إذا دخل العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند - وهو يومئذ الأبلة - ليوم قد سماه، ثم حشر من بينه وبين

العراق، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر إلى ألفين كانا معه، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة - يعني بالأمراء الأربعة: المثنى، ومذعورًا، وسلمى، وحرملة - فلقي هرمز في ثمانية عشر ألفًا[1].

وعن المغيرة بن عتيبة: قالوا: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد، إذ أمره على حرب العراق، أن يدخلها من أسفلها وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق، أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتما بالحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم؛ فليكن أحدكما ردءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم، المدائن[2].

كما كان هناك المثنى بن حارثة الذي اضطلع بدورٍ كبير في فتوح العراق؛ قال ابن شبة: كان المثنى بن حارثة يغير على السواد، فبلغ أبا

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٣٤٦)، وضعفه، انظر: «التاريخ» (٣/ ٣٥٠).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٣٤٧)، وضعفه، انظر: «التاريخ» (٣/ ٣٥٠).

بكر خبره، فقال: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه، ثم قدم على أبي بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، ابعثني على قومي، فإن فيهم إسلامًا أقاتل بهم أهل فارس، وأقتل أهل ناحيتي من العدو. ففعل، فقدم المثنى العراق فقاتل، وأغار على أهل السواد وفارس، وبعث أخاه مسعودًا إلى أبي بكر يسأله المدد فأمده بخالد بن الوليد، فكان ذلك ابتداء فتوح العراق[1].

وكتب أبو بكر إلى المثنى بن حارثة: أما بعد، يا مثنى، فإني وجهت إليك بخالد بن الوليد، فاستقبله بجميع من معك من قومك وعشيرتك، وساعده وآزره وكانفه ولا تعصين له أمرًا، فإنَّه من الذين وصفهم الله تعالى في كتابه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾[2]، فانظر ما أقام معك بالعراق فهو الأمير عليك، فإذا شخص فأنت على ما كنت عليه.

قال: فورد عليه كتاب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما قرأه أقبل على أصحابه فقال: هذا كتاب أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد ورد علي يأمرني أن أستقبل خالد بن الوليد، ولست أدري على أيِّ طريق يقدم فأستقبله، ولكن علينا

١- انظر: «الإصابة» (٥/ ٥٦٩).

٢- [الفتح: ٢٩].

أن لا ننحاز من بين يدي هؤلاء العجم فيطمعوا فينا، فإذا علمنا أنَّ خالدًا تقارب منا استقبلناه إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[١].

وكان هناك رجل آخر من قوم المثنى يسمى مذعور بن عدي كان له دور أيضًا، قالوا إنَّه نازع المثنى بن حارثة، فتكاتبا إلى أبي بكر، فكتب أبو بكر إلى العجلي يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام، وأقر المثنى على حاله[٢].

وبهذا تم الإعداد وتجهيز الجيوش لفتح العراق.

١- انظر: «الردة» للواقدي (ص/ ٢٢١).

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٤٥).

فتح العراق

قال ابن كثير: ذكر المدائني بإسناده أنَّ خالدًا توجَّه إلى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة وفيها قطبة بن قتادة، وعلى الكوفة المثنى بن حارثة الشيباني.

وقال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان: إنَّ أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما، وصاحبها جابان، فصالحه أهلها.

وكان الصلح على ألف درهم، وقيل دينار، وكان الذي صالحه بصبهرى بن صلوبا، ويقال صلوبا بن بصبهرى، فقبل منهم خالد وكتب لهم كتابًا، ثم أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع بيصة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه؛ فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم؛ فالجزية، فإن أبيتم؛ فقد أتيتكم بأقوامٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجةٍ بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية.

فقال لهم خالد: تبًا لكم إنَّ الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها، فلقيه رجلان أحدهما عربي والآخر أعجمي فتركه واستدل بالعجمي، ثم صالحهم على تسعين ألفًا، وفي رواية مائتي ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق وحملت إلى المدينة هي والقريات قبلها التي صالح عليها ابن صلوبا.

ثم بعث خالد بن الوليد كتابًا إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه: من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس، سلام على من اتبع الهدى، أمَّا بعد فالحمد لله الذي فضَّ خدمكم وسلب ملككم ووهن كيدكم، وإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليَّ بالرهن واعتقدوا مني الذمة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثنَّ إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة.

فجمع هرمز، وهو نائب كسرى جموعًا كثيرة وسار بهم إلى كاظمة، وقد تفرق الجيش في السلاسل لئلا يفروا، وكان هرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدهم كفرًا، وكان شريفًا في الفرس، وكان الرجل كلما ازداد شرفًا زاد في حِليته؛ فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد

بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفًا فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإنَّ الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء.

فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحًا شديدًا، فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان؛ ترجَّل هرمز ودعا إلى النزال، فترجَّل خالد وتقدَّم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغله عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس، ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخمس، مع زر بن كليب، إلى الصِّديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعلن يقلن أمن خلق الله هذا أم شيء مصنوع؟ فردَّه الصِّديق مع زر، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنفله سلب

هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجوهر وبعث خالد الأمراء يمينًا وشمالًا يحاصرون حصونًا هنالك ففتحوها عنوة وصلحًا، وأخذوا منها أموالًا جمَّة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين - من لم يقاتل منهم - ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس.

ثم كانت وقعة المذار وسميت وقعة الثني، وهو النهر، قال ابن جرير: ويومئذ قال الناس، صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار.

وكان سببها أنَّ كسرى أرسل إلى هرمز بمددٍ مع أمير يقال له: قارن بن قريانس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفرَّ مَن فرَّ من الفرس، فتلقاهم قارن، فالتفوا عليه فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسَّم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصِّديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبئته، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارنًا، وفرت الفرس

وركبهم المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفًا وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وجمع بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصِّديق، مع سعيد بن النعمان، أخي بني عدي بن كعب، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنَّه أقرهم بالجزية وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري - وكان نصرانيًّا - ومافنة مولى عثمان وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة.

ثم أمَّر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن، وأمره أن ينزل الحفير ليجبي إليه الأموال وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء، ثم كانت وقعة الولجة فيما ذكره ابن جرير؛ وذلك لأنَّه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذ، بعث أميرًا شجاعًا يقال له الأندر زغر، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها وأمدَّه بجيشٍ آخر مع أمير يقال له بهمن جاذويه، فساروا حتى بلغوا مكانًا يقال له: الولجة، فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود ووصى من استخلفه هناك بالحذر وقلة

الغفلة، فنازل أنذر زغر ومن ناشب معه، واجتمع عند الولجة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا وهو أشد مما قبله، حتى ظنَّ الفريقان أنَّ الصبر قد فرغ، واستبطأ كمينه الذي كان قد أرصدهم وراءه في موضعين، فما كان إلا يسيرًا حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا، ففرت صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندر زغر من الوقعة فمات عطشًا، وقام خالد في الناس خطيبًا فرغَّبهم في بلاد الأعاجم وزهَّدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون ما هاهنا من الأطعمات؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثَّاقل عما أنتم عليه، ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصِّديق، وأَسَر مَن أسر من ذراري المقاتلة، وأقرَّ الفلاحين بالجزية.

ثم كانت وقعة أليس؛ وذلك أنَّ خالدًا كان قد قتل يوم الولجة طائفة من بكر بن وائل من نصارى العرب ممن كان مع الفرس، فاجتمع عشائرهم وأشدهم حنقًا عبد الأسود العجلي، وكان قد قتل له ابن

بالأمس، فكاتبوا الأعاجم فأرسل إليهم أردشير جيشًا، فاجتمعوا بمكان يقال له: أليس، فبينما هم قد نصبوا لهم سماطًا فيه طعام يريدون أكله، إذ غافلهم خالد بجيشه، فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد، وقال أمير كسرى: بل ننهض إليه، فلم يسمعوا منه.

فلمَّا نزل خالد تقدَّم بين يدي جيشه ونادى بأعلى صوته لشجعان من هنالك من الأعراب: أين فلان: أين فلان؟ فكلهم تلكأوا عنه إلا رجلًا يقال له مالك بن قيس، من بني جذرة، فإنَّه برز إليه، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة ما جرأك عليَّ من بينهم وليس فيك وفاء؟ فضربه فقتله.

ونفرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتتلوا قتالًا شديدًا جدًّا، والمشركون يرقبون قدوم بهمن مددًا من جهة الملك إليهم، فهم في قوة وشدة وكلب في القتال.

وصبر المسلمون صبرًا بليغًا، وقال خالد: اللهمَّ لك عليَّ إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحدًا أقدر عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم.

ثم إنَّ الله عز وجل منح المسلمين أكتافهم فنادى منادي خالد: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر، فأقبلت الخيول بهم أفواجًا

يساقون سوقًا، ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نفل فانزلوا فكلوا، فنزل الناس فأكلوا عشاء.

وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققًا كثيرًا فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون: ما هذه الرقع؟ يحسبونها ثيابًا، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم رقيق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذ رقاقًا، وإنما كانت العرب تسميه العود.

وكان كل من قتل بهذه الوقعة يوم أليس من بلدة يقال لها أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنمًا عظيمًا، فقسَّم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفًا وخمسمائة غير ما تهيَّأ له مما قبله.

وبعث خالد إلى الصِّديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له: جندل من بني عجل، وكان دليلًا صارمًا، فلمَّا بلغ الصِّديق الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي، وقال الصِّديق: يا معشر قريش إنَّ أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه على

خراذيله، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد.

ثم جرت أمور طويلة لخالد في أماكن متعددة يملُّ سماعها، وهو مع ذلك لا يكلّ ولا يملّ ولا يهن ولا يحزن، بل كلما له في قوةٍ وصرامة وشدة وشهامة، ومثل هذا إنما خلقه الله عزًا للإسلام وأهله، وذلًا للكفر وشتات شمله.

ثم سار خالد فنزل الخورنق والسدير بالنجف وبث سراياه هاهنا وهاهنا، يحاصرون الحصون من الحيرة ويستنزلون أهلها قسرًا وقهرًا، وصلحًا ويسرًا، وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب، وكتب لأهل الحيرة كتاب أمان، فكان الذي راوده عليه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة ووجد خالد معه كيسًا، فقال: ما في هذا؟ فقال ابن بقيلة: هو سم ساعة، فقال: ولِمَ استصحبته معك؟ فقال حتى إذا رأيت مكروهًا في قومي أكلته فالموت أحبُّ إليَّ من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنَّه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما

دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالًا من هذا، ثم دعاهم وسألوا خالدًا الصلح فصالحهم وكتب لهم كتابًا بالصلح، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة.

وقد قدم جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن الوليد وهو بالحيرة بعد الوقعات المتعددة، والغنائم المتقدم ذكرها، ولم يحضر شيئًا منها؛ وذلك لأنَّه كان قد بعثه الصِّديق مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام، فاستأذن خالد بن سعيد في الرجوع إلى الصِّديق ليجمع له قومه من بجيلة فيكونوا معه، فلما قدم على الصِّديق فسأله ذلك غضب الصِّديق وقال: أتيتني لتشغلني عما هو أرضى لله من الذي تدعوني إليه، ثم سيَّره الصِّديق إلى خالد بن الوليد بالعراق.

وركب خالد في جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له شيرزاذ، فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالدًا أن يصل إلى الخندق فضرب معهم رأسًا، ولما تواجه الفريقان أَمَر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس، ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات

العيون، فراسل شيرزاذ خالدًا في الصلح، فاشترط خالد أمورًا فامتنع شيرزاذ من قبولها؛ فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعي برذايا الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفَّى له بذلك، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد، فنزلها واطمأن بها، وتعلَّم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية.

ولما استقلَّ خالد بالأنبار استناب عليها الزبرقان بن بدر، وقصد عين التمر وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العرب، وحولهم من الأعراب طوائف من النمر وتغلب وإياد ومن لاقاهم وعليهم عقَّة بن أبي عقة، فلما دنا خالد قال عقة لمهران: إنَّ العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالدًا، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالدًا فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالدًا وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد وتلقاه عقَّة فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه: احفظوا مكانكم فإني حامل، وأمر حماته أن يكونوا من

ورائه، وحمل على عقَّة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقَّة من غير قتال فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحًا فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار؛ فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن ثم أمر فضربت عنق عقَّة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضًا أجمعين، وغنم جميع ما في ذلك الحصن.

ولما قدم الوليد بن عقبة على الصِّديق بالخمس ردَّه الصِّديق إلى عياض بن غنم مددًا له وهو محاصر دومة الجندل فلما قدم عليه وجده في ناحية من العراق يحاصر قومًا، وهم قد أخذوا عليه الطرق فهو محصور أيضًا، فقال عياض للوليد: إنَّ بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد.

لبث قليلا تأتك الحلائب يحملن آسادا عليها القاشب

كتائب تتبعها كتائب.

وقصد خالد إلى دومة الجندل، واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي، فلمَّا سمع أهل دومة الجندل بمسيره إليهم، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ وكلب وغسان والضجاعم، فأقبلوا إليهم فهزمهم خالد وقتل منهم الكثير وسبى ذراريهم، وأقام بدومة الجندل، فظن الأعاجم به، وكاتبوا عرب الجزيرة، فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان، وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي، وأمره بالحصيد، وبعث عروة بن أبي الجعد البارقي، وأمره بالخنافس، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى، لكنَّه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصِّديق، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاع بن عمرو أميرًا على الناس، فالتقوا بمكان يقال له الحصيد، وعلى العجم رجل منهم يقال له روزبه، وأمدَّه أمير آخر يقال له زرمهر، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وهزم

المشركون وقتل منهم المسلمون خلقًا كثيرًا، وقتل القعقاع بيد زرمهر، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبد الله الضبي روزبه.

وغنم المسلمون شيئًا كثيرًا، وهرب من هرب من العجم، فلجأوا إلى مكان يقال له خنافس، فسار إليهم أبو ليلى بن فدكي السعدي، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المضيح، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعارب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود، وقسم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلًا، وهم نائمون فأنامهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شُبهوا إلا بغنم مصرعة.

وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصِّديق بالأمان، ولم يعلم بذلك المسلمون، وهما عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش، قتله جرير بن عبد الله البجلي، والآخر لبيد بن جرير، قتله بعض المسلمين، فلما بلغ خبرهما الصِّديق وَدَاهما، وبعث بالوصاة بأولادهما، وتكلَّم عمر بن الخطاب في خالد بسببهما، وقد تكلَّم فيه بسبب مالك بن نويرة، فقال له الصِّديق: كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب في ديارهم، أي: الذنب لهما في مجاورتهما المشركين.

ثم كانت وقعة الثني والزميل وقد بيتوهم فقتلوا من كان هنالك من

الأعراب والأعاجم فلم يفلت منهم أحد ولا انبعث بخبر، ثم بعث خالد بالخمس من الأموال والسبي إلى الصِّديق.

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى وقعة الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطرًا لشغله بالأعداء، ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعًا كثيرة، واستمدوا تغلب وإياد والنمر، ثم ناهدوا خالدًا فحالت الفرات بينهم فقالت الروم لخالد: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم، فعبرت الروم إليهم، فاقتتلوا هنالك قتالًا عظيمًا بليغًا، ثم هزم الله جموع الروم وتمكَّن المسلمون من اقتفائهم، فقتل في هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرة أيام ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنَّه يسير في الساقة، وسار خالد في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يسلك من قبله قط، ويأتي له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفًا على غير جادة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحجَّ هذه السنة، ثم عاد فأدرك أمر الساقة

قبل أن يصلوا إلى الحيرة، ولم يعلم أحد بحجِّ خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كان معه، ولم يعلم أبو بكر الصِّديق لذلك أيضًا إلا بعد ما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقته وكانت عقوبته عنده أن صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام، وقال له فيما كتب إليه: يقول له: وإنَّ الجموع لم تشج بعون الله شجيك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل فإنَّ الله له المنُّ وهو ولي الجزاء[1].

١- مستفاد من «البداية والنهاية» (٦/ ٣٧٧ - ٣٨٨) بتصرف شديد.

أمر الصِّديق لخالد بالخروج إلى الشام وتسلم المثنى قيادة جيوش العراق

بعد ما أظهر خالد بن الوليد رضي الله عنه من بأسٍ وبعد ما حقق من بطولات في فتوح العراق، أرسل أبو بكر الصِّديق كتابًا إلى خالد بن الوليد جاء فيه: أما بعد فدع العراق وخلف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ثم امض مخففًا في أهل القوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك ورحمة الله[1].

وكانت وصية أبي بكر لخالد بن الوليد: قد وليتك ما وليتك، فإياك أن تقول: إني شاهد وهو غائب، فإذا قدمت على القوم فوجدتهم قد كفوك أمرًا فاقبله ولا تنازعهم فيه، وواس جندك في اللقاء إذا كان عامًا، وإن كان بينكم نوبًا فلير مكان نوبتك وحسن أثرك، وإذا قاتلت العدو فاحرص على الشهادة، ولا تصبحن إلا على ظهر آخذًا لأهبة للحرب، وولِّ أمر جيشك أهل النجدة والتجربة ولا تبادر الفرصة بلا روية التماسًا؛ لأن

١- انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢ / ٩٠).

يخلص الأمر لك دونهم؛ فإني لا آمن أن تسلمك المبادرة إلى غرة أغفلتها، ومعصية غيبت عنها، ولا تبتذل أهل البأس واستبقهم؛ فإنهم حصنك وثقاتك في عسكرك وقوام أمرك، وانظر النساء والصبيان وأهل الضعف فارفعهم إلى أمنع المواضع، ووكِّل بهم من يذب عنهم[١].

وكان سبب توجيه أبي بكر لخالد إلى الشام: أنَّ أبا بكر كان قد وجَّه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام، فسار حتى نزل على الشام ولم يقتحم، واستجلب الناس فعز، فهابته الروم، فأحجموا عنه، فلم يصبر على أمر أبي بكر، ولكن توردها فاستطردت له الروم، حتى أوردوه الصفر، ثم تعطفوا عليه بعد ما أمِن، فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطرًا، فقتلوه هو ومن معه، واجتمعت الروم إلى اليرموك، فنزلوا به، وقالوا: والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخيوله.

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص - وكان في بلاد قضاعة - بالسير إلى اليرموك، ففعل وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان، وأمر كل واحد منهما بالغارة، وألا توغلوا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم.

١- انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠ / ١١٤).

وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد، فسرحه نحو الشام في جند، وسمى لكل رجل من أمراء الأجناد كورة من كور الشام، فتوافوا باليرموك، فلما رأت الروم توافيهم، ندموا على الذي ظهر منهم، ونسوا الذي كانوا يتوعَّدون به أبا بكر، واهتمُّوا وهمَّتهم أنفسهم، وأشجوهم وشجوا بهم، ثم نزلوا الواقوصة، وقال أبو بكر: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي سبق، وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس، فإذا فتح الله على المسلمين الشام، فارجع إلى عملك بالعراق، وبعث خالد بالأخماس إلا ما نفل منها مع عمير بن سعد الأنصاري وبمسيره إلى الشام[1].

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٠٨).

المبحث الثاني

فتوحات الشام

عزم أبي بكر على غزو الروم:

بعد انتهاء حروب الردة كان أبو بكر رضي الله عنه يفكر في فتح الشام؛ قال ابن إسحاق: إنَّ أبا بكر لما حدث نفسه بأن يغزو الروم فلم يطلع عليه أحدًا إذ جاءه شرحبيل بن حسنة فجلس إليه، فقال: يا خليفة رسول الله أتحدث نفسك أنك تبعث إلى الشام جندًا؟ فقال: نعم قد حدثت نفسي بذلك، وما أطلعت عليه أحدًا، وما سألتني عنه إلا لشيء! قال: أجل إني رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي في الناس فوق خرشفة من الجبل، ثم أقبلت تمشي حتى صعدت قنة من القنان العالية، فأشرفت على الناس ومعك أصحابك، ثم إنك هبطت من تلك القنان إلى أرض سهلة دمثة فيها الزرع والقرى والحصون، فقلت للمسلمين شنوا الغارة على أعداء الله، وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة، فشدَّ المسلمون وأنا فيهم معي راية، فتوجهت بها إلى أهل قرية فسألوني الأمان فأمَّنتهم، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم ففتح الله لك، وألقوا إليك السلم، ووضع الله لك مجلسًا فجلست عليه، ثم قيل لك: يفتح الله

عليك وتنصر، فاشكر ربك واعمل بطاعته، ثم قرأ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[1]، ثم انتبهت، فقال له أبو بكر: نامت عيناك، خيرًا رأيت، وخيرًا يكون إن شاء الله، ثم قال: بشَّرت بالفتح، ونعيت إلي نفسي، ثم دمعت عينا أبي بكر، ثم قال أما الحرشفة التي رأيتنا نمشي عليها حتى صعدنا إلى القنة العالية فأشرفنا على الناس؛ فإنَّا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه، ثم نعلو بعد، ويعلو أمرنا، وأما نزولنا من القنة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون؛ فإنَّا ننزل إلى أمرٍ أسهل مما كنَّا فيه من الخصب والمعاش، وأما قولي للمسلمين: شنوا على أعداء الله الغارة فإني ضامن لكم الفتح والغنيمة؛ فإنَّ ذلك دنو المسلمين إلى بلاد المشركين، وترغيبي إياهم على الجهاد والأجر والغنيمة التي تقسم لهم وقبوهلم، وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها واستأمنوا فأمَّنتهم فإنَّك تكون أحد أمراء المسلمين، ويفتح الله على يديك، وأما الحصن الذي فتح الله لي؛ فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي، وأما العرش الذي رأيتني عليه جالسًا؛ فإنَّ الله يرفعني ويضع المشركين،

١- [النصر: ١- ٣].

وقال الله تبارك وتعالى ليوسف: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[١]، وأما الذي أمرني بطاعة الله وقرأ علي السورة؛ فإنَّه نعى إليَّ نفسي وذلك أنَّ النبي ﷺ نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة، وعلم أنَّ نفسه قد نعيت إليه، ثم سالتا عيناه، فقال: لآمرنَّ بالمعروف، ولأنهينَّ عن المنكر، ولأجهدنَّ فيمن نزل أمر الله ولأجهزنَّ الجنود إلى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا: الله أحد أحد، لا شريك له أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، هذا أمر الله وسنة رسول الله ﷺ، فإذا توفاني الله عز وجل لا يجدني الله عاجزًا ولا وانيًا ولا في ثواب المجاهدين زاهدًا، فعند ذلك أمر الأمراء وبعث إلى الشام البعوث[٢].

كانت هذه بداية التفكير في فتح الشام.

١- [يوسف: ١٠٠].

٢- انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢/ ٦١- ٦٢).

مشورة أبي بكر في جهاد الروم واستنفار أهل اليمن

بعد أن جاءت البشارة إلى أبي بكر الصِّديق عن طريق رؤية شرحبيل بن حسنة؛ قرَّر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يستشير كبار الصحابة في هذا الأمر.

عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي، قال: لما أراد أبو بكر غزو الروم دعا عليًّا، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، قال عبد الله بن أبي أوفى: وأنا فيهم، فقال: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا تحصى نعماؤه، ولا يبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد، قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفا عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا به، ولا تتخذوا إلهًا غيره، فالعرب اليوم بنو أمٍّ وأبٍ، وقد رأيت أني أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا مع أنَّ للمسلمين في ذلك الحظ الوافر؛ لأنَّه من هلك منهم هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعًا عن الدين مستوجبًا على الله ثواب المجاهدين، وهذا رأيي الذي رأيت، فأشار امرؤ عليَّ برأيه، فقام عمر بن الخطاب، فقال: الحمد لله الذي يخص بالخير من

يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت فما قضي أن يكون حتى ذكرته قبلي، فقد أصبت أصاب الله بك سبيل الرشاد، سرب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود، فإنَّ الله ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله.

ثم إنَّ عبد الرحمن بن عوف قام، فقال: يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر حد حديد وركن شديد ما أرى أن تقحم عليهم إقحامًا، لكن تبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم، ثم ترجع إليك فإذا فعلوا ذلك بهم مرارًا أضروا بهم وغنموا من أداني أرضهم فقووا بذلك عن عدوهم، ثم تبعث إلى أراضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر، ثم تجمعهم جميعًا إليك، ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت أغزيتهم، ثم سكت وسكت الناس إذا قال، فقال لهم أبو بكر: ما ترون؟ فقال عثمان بن عفان: إني أرى أنَّك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيًا تراه لعامتهم صلاحًا فاعزم على إمضائه؛ فإنَّك غير ظنين، فقال طلحة والزبير، وسعد، وأبو عبيدة، وسعيد بن زيد، ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان، ما رأيت

من رأي فامضه؛ فإنَّا لا نخالفك، ولا نتهمك، وذكروا هذا، وأشباهه، وعلي في القوم لم يتكلم، قال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟

فقال: أرى أنَّك إن سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم؛ نصرت عليهم إن شاء الله، فقال: بشَّرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهرًا على كل من ناوأه، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون»[1]، فقال: سبحان الله! ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتني به سرَّك الله، ثم إنَّ أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ.

ثم قال: أيُّها الناس! إنَّ الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمِّر عليكم أمراء وعاقد لهم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم؛ لتحسن نيتكم، وشربكم وأطعمتكم؛ فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[2].

١- لم أقف عليه بهذا اللفظ غير عند ابن عساكر (٢/ ٦٤)، وأخرج نحوه البخاري (رقم/ ٧٣١١)، ومسلم (رقم/ ١٥٣٣) من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

٢- [النحل: ١٢٨].

قال: فسكت القوم، فوالله ما أجابوا؛ فقال عمر: يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ، وقد ﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، أما إنَّه ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾[2] لابتدرتموه؛ فقام عمرو بن سعيد، فقال: يا ابن الخطاب! ألنا تضرب الأمثال، أمثال المنافقين، فما منعك مما عبت علينا فيه أن تبتدئ به، فقال عمر: إنَّه يعلم أني أجيبه لو يدعوني، وأغزو لو يغزيني، قال عمرو بن سعيد: ولكن نحن لا نغزو لكم إنَّ غزونا إنما نغزو لله، فقال عمر: وفقك الله؛ فقد أحسنت، فقال أبو بكر لعمرو اجلس رحمك الله؛ فإنَّ عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم، ولا تأنيبه، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد، فقام خالد بن سعيد، فقال: صدق خليفة رسول الله ﷺ اجلس ابن أخي فجلس، وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فالله منجز وعده، ومظهر دينه، ومهلك عدوه، ونحن غير مخالفين ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق، ننفر إذا استنفرتنا، ونطيعك إذا أمرتنا، ففرح بمقالته أبو بكر، وقال: جزاك

١- [الأنفال: ٢٤].

٢- [التوبة: ٤٢].

الله خيرًا من أخٍ وخليل، فقد كنت أسلمت مرتقبًا، وهاجرت محتسبًا، قد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما يطاع الله ورسوله، وتعلو كلمته، وأنت أمير الناس، فسِر يرحمك الله، ثم إنَّه نزل ورجع خالد بن سعيد فتجهز، وأمر أبو بكر بلالًا فأذن في الناس: أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم بالشام والناس يرون أنَّ أميرهم خالد بن سعيد، وكان الناس لا يشكون أنَّ خالد بن سعيد أميرهم، وكان أول خلق الله عسكر، ثم إنَّ الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة كل يوم حتى اجتمع أناس كثير، فخرج أبو بكر ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة لم يرض عدتها للروم، فقال لأصحابه ما ترون في هؤلاء أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة، فقال عمر: ما أرضى هذه العدة لجموع بني الأصفر، فقال لأصحابه: ماذا ترون أنتم؟ فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر، فقال: ألا أكتب كتابًا إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد، ونرغبهم في ثوابه، فرأى ذلك جميع أصحابه، فقالوا: نِعم ما رأيت؛ افعل، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن، سلام عليكم؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فإنَّ الله تعالى كتب على

المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافًا وثقالًا، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حسنت في ذلك نيتهم، وعظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسن نيتكم فيه؛ فإنكم إلى إحدى الحسنيين، إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة؛ فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويقروا لحكم الكتاب، حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين، وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه[(١)].

قال أنس: أتيت اليمن فبدأت بهم حيًّا حيًّا، وقبيلة قبيلة، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر الصِّديق، فإذا فرغت من قراءته قلت: الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، أما بعد؛ فإني رسول خليفة رسول الله إليكم، ورسول المسلمين، ألا وإني قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم بالنفر، رحمكم الله أيها المسلمون.

١- [حسن]: أخرجه ابن عساكر (٢/ ٦٣-٦٦) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن ابن كعب عن عبد الله بن أبي أوفى به.

قال: فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا القول يحسن الرد ويقول: نحن سائرون، وكأنَّا قد فعلنا حتى انتهيت إلى ذي الكلاع، فلما قرأت عليه الكتاب، وقلت له هذا المقال دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه، وأمر بالعسكرة، فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن، وسارعوا، فلما اجتمعوا إليه قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيِّه، ثم قال: أيها الناس، إنَّ من رحمة الله إياكم ونعمته عليكم أن بعث فيكم نبيًّا أنزل عليه الكتاب فأحسن عنه البلاغ، فعلَّمكم ما يرشدكم، ونهاكم عما يفسدكم، حتى علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، ورغَّبكم من الخير فيما لم تكونوا فيه ترغبون، وقد دعاكم إخوتكم الصالحون إلى جهاد المشركين، واكتساب الأجر العظيم، فلينفر من أراد النفر معي الساعة.

قال: فنفر بعددٍ من الناس كثير، وأقبل بهم إلى أبي بكر رحمه الله، فرجعنا نحن فسبقناه بأيام فوجدنا أبا بكر بالمدينة ووجدنا ذلك العسكر على حاله، وأبو عبيدة يصلي بأهل ذلك العسكر.

فلمَّا قدمت حمير معها أولادها ونساؤها، فرح بهم أبو بكر وقام فقال: عباد الله، ألم نكن نتحدث فنقول إذا مرَّت حمير معها نساؤها

تحمل أولادها: نصر الله المسلمين وخذل المشركين؟ فأبشروا أيها المسلمون، قد جاءكم النصر.

قال: وجاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادى معه جمع كثير حتى أتى أبا بكر فسلَّم عليه ثم جلس، فقال له: ما تنتظر ببعثة هذه الجنود؟ قال: ما كنَّا ننتظر إلا قدومكم، قال: فقد قدمنا، فابعث الناس الأول فالأول، فإنَّ هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع[1].

١- انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ٦- ٧)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٧٢).

عقد الصِّديق الألوية للقادة وتوجيه الجيوش

عقد أبو بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الألوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح الشام، وهي:

١. جيش يزيد بن أبي سفيان:

قال ابن الأثير: أمر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه، فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة، وشيعه ماشيًا، وأوصاه وغيره من الأمراء، فكان مما قال ليزيد:

إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنَّه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإنَّ أولى الناس بالله أشدهم توليًا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربًا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد، فإيَّاك وعبية الجاهلية، فإنَّ الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز؛ فإنَّ كثير الكلام ينسي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا

من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكنْ أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قِبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علمٍ منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعًا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتفِ بعلانيتهم، ولا تجالس العابثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول؛ فإنَّه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له.

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعًا لولاة الأمر[1].

٢. شرحبيل بن حسنة:

عن أنس، قال: لما بعث أبو بكر رحمه الله يزيد بن أبى سفيان إلى الشام لم يسر من المدينة حتى جاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، إني قد رأيت فيما يرى النائم كأنَّك في جماعة من المسلمين كثيرة، وكأنَّك بالشام ونحن معك، إذ استقبلك النصارى بصلبها، والبطارقة بكتبها، وانحطوا عليك من كل شرفٍ وحدب، وكأنهم السيل، فاعتصمنا بلا إله إلا الله، وقلنا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم نظرنا فإذا نحن بالقرى والحصون من ورائهم وعن أيمانهم وشمائلهم، فإذا نحن بآتٍ قد أتى، فنزل بأعلى شاهقة في الجبل حتى استوى بالحضيض، ثم أخرج كفَّه وأصابعه فإذا هي نار، ثم إنَّه أهوى بها إلى ما قابله من القرى والحصون، فصارت نارًا تأجج، ثم إنها خبت فصارت رمادًا، ثم نظرنا إلى ما استقبلنا من نصاراهم وبطارقتهم وجموعهم فإذا الأرض قد ساخت بهم، فرفع الناس رؤوسهم وأيديهم إلى ربهم يحمدونه ويمجدونه ويشكرونه، فهذا ما رأيت، ثم انتبهت.

١- «الكامل في التاريخ» (٢ / ٢٤٩- ٢٥٠)، وانظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ٨- ١٠).

فقال أبو بكر رضي الله عنه: نامت عينك، هذه بشرى، وهو الفتح إن شاء الله لا شكَّ فيه، وأنت أحد أمرائي، فإذا سار يزيد بن أبي سفيان فأقم ثلاثًا ثم تيسر للسير، ففعل، فلما مضى اليوم الثالث أتاه من الغد يودعه، فقال له: يا شرحبيل، ألم تسمع وصيتي يزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن لابن أبي سفيان، أوصيك بالصلاة لوقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل، وبعيادة المرضى وحضور الجنائز، وبذكر الله كثيرًا على كل حال، فقال له أبو سفيان: إنَّ هذه الخصال كان يزيد بهن مستوصيًا، وعليهن مواظبًا قبل أن يسير إلى الشام، فهو الآن لهن ألزم إن شاء الله تعالى. فقال شرحبيل: الله المستعان، وما شاء الله أن يكون كان، ثم ودَّع أبا بكر وخرج في جيشه قبل الشام[1].

٣. أبو عبيدة بن الجراح:

عن سهل بن سعد: أنَّ أبا بكر، رحمه الله، لما أراد أن يبعث أبا عبيدة دعاه، فأتاه فسلَّم عليه، ثم جلس، فمكث أبو بكر مليًّا لا يكلمه، فظنَّ

١- انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ١٠- ١١)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٧٤).

أبو عبيدة أنَّه همَّ بعزله وهو يستحي أن يستقبله به، فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنَّا لا نصلح لكم، ولا نحبكم، ولا ننصحكم إلا بأن تولونا، فلسنا بإخوان في الله، وإن كنَّا لا نجاهد في سبيل الله ولا نقاتل أعداء الله إلا أن نكون أمراء رؤساء فلسنا الله نريد بجهادنا، وإنما ننوي به إذن الفخر في الدنيا، إني أطلب إليك أن تعزلني عن هذا الجند وتولي عليه من أحببت وأنا أخرج معه، فأشير عليه برأيي وأنصحه جهدي، وأواسي المسلمين بنفسي. فقال أبو بكر: سبحان الله، يا أبا عبيدة أظننت أنَّك ممن نتهمه أو ممن نبتغي به بدلًا أو ممن نتخوف أن يأتي المسلمين من قبله وهن أو خلاف أو فساد؟ معاذ الله أن نكون من أولئك، ثم قال له:

اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له، ثم يعمل بما أمر به، إنَّك تخرج في أشراف العرب وبيوتات الناس وصلحاء المسلمين وفرسان الجاهلية، كانوا إذ ذاك يقاتلون حمية، وهم اليوم يقاتلون على النيَّة الحسنة والحسبة، أحسِنْ صحبة من صحبك، وليكونوا عندك في الحق سواء، فاستعن بالله، وكفى به معينًا، وتوكل عليه وكفى بالله وكيلًا.

اخرج من غدٍ إن شاء الله، فخرج من عنده، فلما ولى قال: يا أبا عبيدة، فانصرف إليه، فقال له: إني أحب أن تعلم كرامتك عليّ، ومنزلتك مني،

والذي نفسي بيده، ما على الأرض من المهاجرين ولا غيرهم من أعدله بك، ولا بهذا، - يعني: عمر رحمه الله -، ولا له عندي في المنزلة إلا دون ما لك. فقال أبو عبيدة: رحمك ربك يا خليفة رسول الله، هذا كان ظني بك.

قال: فانصرف، فلمَّا كان من الغد خرج أبو بكر في رجال من المسلمين على رواحلهم، حتى أتى أبا عبيدة، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع، ثم قال حين أراد أن يفارقه: يا أبا عبيدة، اعمل صالحًا، وعش مجاهدًا، ولتتوف شهيدًا، وليعطك الله كتابك بيمينك، ويقر عينك في دنياك وآخرتك، فو الله إني لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، إنَّ الله تبارك وتعالى قد صنع بك خيرًا، وساقه إليك إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين تقاتل به من كفر بالله وعبد غيره.

فقال أبو عبيدة: رحمك الله يا خليفة رسول الله، فنشهد بفضلك في إسلامك، ومناصحتك الله، ومجاهدتك بعد رسول الله من تولى عن دين الله حتى ردَّهم الله بك إلى الدين وهم صاغرون، ونشهد أنَّك رحيم بالمؤمنين، ذو غلظةٍ على الكافرين، فبورك لك فيما عملت،

وسددت فيما حملت، إن أكن صالحًا، فلربي المنَّة علي بصلاحي، وإن أكن فاسدًا فهو ولي إصلاحي، وأما أنت فنرى أن نجيبك إذا دعوت، وأن نطيعك إذا أمرت.

ثم إنَّه تأخر، وتقدم إليه معاذ بن جبل، فقال: يا خليفة رسول الله، إني أردت أن يكون ما أكلمك به الآن بالمدينة قبل شخوصنا عنها، ثم بدا لي أن أؤخر ما أردت من ذلك حتى يكون عند وداعي، فيكون ذلك آخر ما أفارقك عليه، قال: هات يا معاذ، فو الله إنَّك ما علمت لسديد القول، موفق الرأي، رشيد الأمر، فأدنى راحلته، ومقود فرسه في يده، وهو متنكب القوس ومتقلد السيف، فقال: إنَّ الله تعالى بعث محمدًا ﷺ، برسالته إلى خلقه، فبلغ ما أحب أن يبلغ، وكان كما أحب ربُّه أن يكون، فقبضه الله إليه وهو محمود مبرور صلوات الله عليه وبركاته، إنَّه حميد مجيد، جزاه الله عن أمته كأحسن ما يجزي النبيين، ثم إنَّ الله تعالى استخلفك أيها الصِّديق عن ملأ من المسلمين، ورضي منهم بك، فارتدَّ مرتدون، وأرجف مرجفون، ورجعت راجعة عن هذا الدين، فأدهن بعضنا، وحار جلُّنا، وأحب المهادنة والموادعة طائفة منا، واجتمع رأي الملأ الأكابر منَّا أن يتمسكوا بدينهم ويعبدوا الله حتى يأتيهم

اليقين، ويدعـوا الناس وما ذهـبوا إليـه، فـلم تـرض منهـم بشيء كان رسول الله ﷺ يرده عليهم، فنهضت بالمسلمين، وشمرت للمجرمين، وشددت بالمطيع المقبل على العاصي المدبر، حتى أجاب إلى الحق من كان عَند عنه، وزجل عن الباطل من كان مرتكسًا فيه، فلمَّا تمت نعمة الله عليك وعلى المسلمين في ذلك قدت المسلمين إلى هذا الوجه الذي يضاعف الله لهم فيه الأجر، ويعظم لهم الفتح والمغنم، فأمرك مبارك، ورأيك محمود ورشيد، ونحن وصالحو المؤمنين نسأل الله لك المغفرة والرحمة الواسعة والقوة في العمل بطاعة الله في عافية، وإنَّ هذا الذي تسمع من دعائي وثنائي ومقالتي لتزداد في فعل الخير رغبة، وتحمد الله تعالى على النعمة، وأنا معيد هذا على المؤمنين ليحمدوا الله على ما أبلاهم واصطنع عندهم بولايتك عليهم.

ثم أخذ كل واحد منهما بيد صاحبه فودعه، ودعا له، ثم تفرقا، وانصرف أبو بكر رحمه الله، ومضى ذلك الجيش، وقال رجل من المسلمين لخالد بن سعيد وقد تهيَّأ للخروج مع أبي عبيدة: لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان كان أمثل من خروجك مع غيره. فقال: ابن عمي أحب إلي من هذا في قرابته، وهذا أحب إلي

من ابن عمي في دينه، هذا كان أخي في ديني على عهد الرسول ﷺ، وولي وناصري على ابن عمي قبل اليوم، فأنا به أشد استئناسًا وإليه أشد طمأنينة.

فلمَّا أراد أن يغدو سائرًا إلى الشام لبس سلاحه، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم: عمرًا، وإبانًا، والحكم، وعلقمة ومواليه، ثم أقبل إلى أبي بكر رحمه الله، عند صلاة الغداة فصلى معه، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته، فجلسوا إليه، فحمد الله خالد وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أبا بكر، إنَّ الله تبارك وتعالى، قد أكرمنا وإياك والمسلمين عامة بهذا الدين، فأحق من أقام السنة وأمات البدعة وعدل في السيرة الوالى على الرعية، وكل امرئ من أهل هذا الدين محفوف بالإحسان، ومعدلة الوالي أعم نفعًا، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك أمره، وارحم الأرملة واليتيم، وأعن الضعيف والمظلوم، ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحقِّ منه إذا سخطت عليه، ولا تغضب ما قدرت على ذلك؛ فإنَّ الغضب يجر الجور، ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع؛ فإنَّ حقدك على المسلم يجعلك له عدوًا، وإن اطلع على ذلك منك عاداك، وإذا عادى الوالي الرعية وعادت الرعية

الوالي كان ذلك قمنًا أن يكون إلى هلاكهم داعيًا، ولِنْ للمحسن واشتد على المريب، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

ثم قال: هات يدك يا أبا بكر، فإني لا أدري أنلتقي في الدنيا أم لا، فإن قضى الله لنا في الدنيا البقاء، فنسأل الله عفوه وغفرانه، وإن كانت هي الفرقة التى ليس بعدها لقاء، فعرفنا الله وإياك وجه النبي صلى الله عليه وسلم، في جنات النعيم.

فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده فبكى، وبكى خالد، وبكى المسلمون وظنوا أنَّه يريد الشهادة، وطال بكاؤهم، ثم إنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: انتظر نمشي معك، قال: ما أريد أن تفعل، قال: لكني أريد ذلك، ومن أراده من المسلمين، فقام، وقام الناس معه حتى خرج من بيوت المدينة، فما رأيت مشيعًا من المسلمين شيَّعه أكثر ممن شيَّع خالد بن سعيد يومئذ وإخوته، فلما خرج من المدينة قال أبو بكر: إنَّك قد أوصيتني برشدي وقد وعيت، وأنا موصيك فاسمع وصاتي وعِها: إنَّك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام وفضيلة عظيمة، والناس ناظرون إليك ومستمعون منك، وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه بحسبةٍ ونيَّة صادقة إن شاء الله تعالى، فثبِّت العالم، وعلِّم الجاهل،

وعاتب السفيه المسرف، وانصح لعامة المسلمين، واخصص الوالي على الجهد من نصيحتك ومشورتك بما يحق لله وللمسلمين عليك، واعمل لله كأنَّك تراه، واعدد نفسك في الموتى وأعلم أنَّا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مسئولون ومحاسبون، جعلنا الله وإيَّاك لأنعمه من الشاكرين، ولنقمه من الخائفين.

ثم أخذ بيده فودعه، وأخذ بأيدي إخوته بعد ذلك فودعهم واحدًا واحدًا، ثم ودعهم المسلمون، ثم إنهم دعوا بإبلهم فركبوها، وكانوا قبل ذلك يمشون مع أبي بكر رضي الله عنه أجمعين، ثم قيدت معهم خيلهم، فخرجوا بهيئة حسنة، فلمَّا أدبروا قال أبو بكر:

اللهم احفظهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، واحطط أوزارهم، وأعظم أجورهم. ثم انصرف أبو بكر ومن معه من المسلمين[1].

٤. جيش عمرو بن العاص:

كان أبو بكر الصِّديق قد وجَّه عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين،

١- انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ١٢- ١٦)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٧٥- ١٧٨).

فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام إلى عمرو: إني كنت قد رددتك على العمل الذي كان رسول الله ولَّاكَه مرة، وسماه لك أخرى، مبعثك إلى عمان إنجازًا لمواعيد رسول الله، فقد وليته ثم وليته، وقد أحببت - أبا عبد الله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك. فكتب إليه عمرو: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي[1].

ثم جاء بعض الإمداد من بعض القبائل، فألحقهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجيوش؛ فعن محمد بن خليفة أنَّ ملحان بن زياد الطائي، أخا عدي بن حاتم لأمه، أتى أبا بكر رحمه الله، في جماعة من قومه من طيئ نحو ستمائة، فقال له: إنَّا أتيناك رغبة في الجهاد وحرصًا على الخير، ونحن القوم الذين تعرف الذين قاتلنا معكم من ارتدَّ منَّا حتى أقرَّ بمعرفة ما كان ينكر، وقاتلنا معكم من ارتدَّ منكم حتى أسلموا طوعًا وكرهًا، فسرحنا في أثر الناس، واختر لنا وليًّا صالحًا نكن معه.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٣٨٩)، وانظر: «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٩٢).

وكان قدومهم على أبي بكر بعد مسير الأمراء كلهم إلى الشام؛ فقال أبو بكر: قد اخترت لك أفضل أمرائنا أميرًا، وأقدم المهاجرين هجرة، الحق بأبي عبيدة بن الجراح، فقد رضيت لك صحبته، وحمدت لك أدبه، فنعم الرفيق في السفر، ونعم الصاحب في الحضر.

قال: فقلت لأبي بكر: فقد رضيت لخيرتك التي اخترت لي. فاتبعته حتى لحقته بالشام فشهدت معه مواطنه كلها، لم أغب عن يومٍ منها.

وعن أبي سعيد المقبرى، قال: قدم ابن ذي السهم الخثعمى على أبي بكر وجماعة من خثعم فوق تسعمائة ودون ألف، فقال لأبي بكر: إنَّا تركنا الديار والأصول، والعشائر والأموال، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا، ونحن نريد جهاد المشركين، فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا؟ أنخلفهم عندك ونمضي؟ فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمناهم علينا؟ أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على الله ربنا؟

فقال أبو بكر: سبحان الله! يا معشر المسلمين، هل سمعتم أحدًا ممن سار من المسلمين إلى أرض الروم وأرض الشام ذكر من الأولاد والنساء مثل ما ذكر أخو خثعم؟

أما إني أقسم لك يا أخا خثعم، لو سمعت هذا القول منك والناس

مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحببت أن أحبس عيالاتهم عندي وأسرحهم ليس معهم من النساء والأبناء ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم ومعهم ذراريهم، ولك بجماعة المسلمين أسوة، وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله، فسِر في حفظ الله وكنفه، فإنَّ بالشام أمراء قد وجهناهم إليها، فأيهم أحببت أن تصحبه، فسار حتى لقي يزيد بن أبي سفيان فصحبه.

وعن يحيى بن هانئ بن عروة أنَّ أبا بكر كان أوصى أبا عبيدة بقيس بن مكشوح، وقال له: إنَّه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، لا أظن له عظيم حسبة ولا كبير نية في الجهاد، وليس بالمسلمين غنى عن مشورته ورأيه وبأسه في الحرب، فأدنه والطفه وأره أنَّك غير مستغنٍ عنه ولا مستهين بأمره؛ فإنَّك تستخرج منه بذلك نصيحة لك، وجهده وجده على عدوك، ودعا أبو بكر قيسًا، فقال له: إني قد بعثتك مع أبي عبيدة الأمين، الذي إذا ظُلم كظم، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمرًا، ولا تخالفن له رأيًا، فإنَّه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنَّا نسمع أنَّك شريف بئيس مجرب،

وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك اليوم في الإسلام على من كفر بالله وعبد غيره، فقد جعل الله فيه الأجر العظيم، والعز للمسلمين. فقال: إن بقيت فسيبلغك من حيطتي على المسلم، وجهدي على الكافر ما يسرك ويرضيك، فقال أبو بكر رحمه الله: فافعل ذلك، فلمَّا بلغته مبارزته البطريقين بالجابية وقتله إياهما، قال: صدق قيس ووفَّى وبرَّ[1].

قال ابن كثير: وأمر كل أمير أن يسلك طريقًا غير طريق الآخر؛ لِما لحظ في ذلك من المصالح.

وكان الصِّديق اقتدى في ذلك بنبيِّ الله يعقوب حين قال لبنيه: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[2].

فكان سلوك يزيد بن أبي سفيان على تبوك.

١- انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ١٩- ٢٢)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٧٨- ١٨٠).

٢- [يوسف: ٦٧].

قال المدائني بإسناده عن شيوخه قالوا: وكان بعث أبي بكر هذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة.

ثم تبعه شرحبيل بن حسنة، ثم أبو عبيدة مددا لهما، فسلكوا غير ذلك الطريق.

وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العرمات من أرض الشام[1].

١- «البداية والنهاية» (٧ / ٦).

تأزم الموقف في بلاد الشام

عن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال: سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية أتاه آتٍ فخبره أنَّ هرقل بأنطاكية، وأنَّه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحدٍ من الأمم قبلكم، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر ﵄:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله ﷺ، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنَّا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزًا مبينًا، وأن يفتح لهم فتحًا يسيرًا، فإنَّه بلغني أنَّ هرقل ملك الروم، نزل قرية من قرى الشام تدعى بأنطاكية، وأنَّه بعث إلى أهل مملكته فحشدهم إليه، وإنهم نفروا إليه على الصعب والذلول، وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله تعالى.

فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأمَّا منزله بأنطاكية؛ فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع؛ فإنَّ ذلك ما قد كنَّا وكنتم

تعلمون أنَّه سيكون منهم، ما كان قوم ليدعوا سلطانهم ولا ليخرجوا من مملكتهم بغير قتال، ولقد علمت والحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حبَّ عدوهم الحياة، يحتسبون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشدَّ من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجندك، ولا تستوحش لمن غاب من المسلمين، فإنَّ الله تعالى ذكره معك، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفى ولا تريد أن تزداد، والسلام عليك، وبعث بهذا الكتاب مع دارم العبسي.

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر رحمه الله: أما بعد، فإنَّ هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه، فتحمل ونزل أنطاكية، وخلف أمراء من جنده على جند الشام، وأمرهم بقتالنا، وقد تيسروا لنا واستعدوا، وقد نبأنا مسالمة الشام أنَّ هرقل استنفر أهل مملكته، وأنهم جاءوا يجرون الشوك والشجر، فمُرنا بأمرك، وعجل علينا في ذلك برأيك، نتبعه، نسأل الله النصر والصبر والفتح وعافية المسلمين، والسلام عليك.

وبعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالي، فقال له أبو بكر لما قدم عليه:

أخبرني خبر الناس، قال: المسلمون بخير، قد دخلوا أدنى أرض الشام، ورعب أهلها منهم، وذكر لنا أنَّ الروم قد جمعت لنا جموعًا عظامًا، ولم نلق عدونا بعد، ونحن في كل يوم نتوكف لقاء العدو أو نتوقعه، وإن لم تأتنا جيوش من قبل هرقل، فليست الشام بشيء، فقال له أبو بكر رحمه الله: صدقتني الخبر، فقال: وما لي لا أصدقك، ويحل لي الكذب، ويصلح لمثلي أن يكذب مثلك، ولو كذبت في هذا لم أخن إلا أمانتي وأخن ربي وأخن المسلمين. قال أبو بكر: معاذ الله، لست من أولئك، وكتب حينئذ معه بهذا الكتاب: أما بعد، فقد بلغني كتابك، تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإنَّ الله تبارك وتعالى، وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ، بالرعب، وأيَّدنا بملائكته الكرام، وإنَّ ذلك الدين الذي نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم، فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولا من يشهد أنَّه لا إله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة شتى، فإذا لقيتهم

فانبذ إليهم بمن معك وقاتلهم، فإنَّ الله لن يخذلك، وقد نبَّأنا الله أنَّ الفئة القليلة منَّا تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا مع ما هنالك ممدكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله، والسلام.

ولما ردَّ أبو بكر رضي الله عنه عبد الله بن قرط بهذا الكتاب إلى يزيد، قال له: أخبره والمسلمين أنَّ مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة وسعيد بن عامر بن حذيم.

فخرج عبد الله بكتابه حتى قدم به على يزيد، وقرأه على المسلمين، فتباشروا به، وفرحوا[1].

وعن أبي عبادة عن جده أنَّ أبا بكر رضي الله عنه، دعا هاشم بن عتبة، فقال له: يا هاشم، إنَّ من سعادة جدك ووفاء حظك أنَّك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يثق الوالي بنصيحته وصحته وعفافه، وبأسه، وقد بعث إليَّ المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فسِر إليهم فيمن يتبعك، فإني نادب الناس معك، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة.

١- انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ٢٤- ٢٧)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٨٢- ١٨٣).

ثم قام أبو بكر في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنَّ إخوانكم من المسلمين معافون مكلوؤون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، قد ألقى الله جلَّ ثناؤه الرعب منهم في قلوب عدوهم، فقد استعصموا بحصونهم وأغلقوا أبوابها دونهم، وقد جاءتنى رسلهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من أقصى قرى الشام، وأنَّه وجَّه إليهم جندًا من مكانه ذلك، فرأيت أن أمدَّ إخوانكم بجندٍ منكم يشد الله بهم ظهورهم، ويكبت به عدوهم، ويلقي به الرعب في قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة، وإن هلكتم فهي الشهادة والكرامة.

ثم انصرف إلى منزله، ومال الناس على هاشم حتى كثروا عليه، فلمَّا تموا ألفًا أمره أبو بكر رحمه الله، أن يسير، فسلَّم عليه وودَّعه، وقال له أبو بكر: يا هاشم، إنما كنَّا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، وكنَّا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته، وإنَّ الله تعالى قد جمع لك تلك الخصال كلها، وأنت حديث السنِّ مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنَّك لا تخطو خطوةً ولا تنفق ولا يصيبك ظمأ ولا

نصبٌ ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك بذلك عملًا صالحًا، إنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين، فقال: إن يرد الله بي خيرًا يجعلني كذلك، وأنا أفعل، ولا قوة إلا بالله، أما أنا فأرجو إن لم أقتل أن أقتل ثم أقتل ثم أقتل!

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص: يا ابن أخي لا تطعنن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا وشيكًا، وراجع إلى الله قريبًا، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته، وعمل صالح أسلفته، فقال: يا عم، لا تخافن هذه مني، إني إذن لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي وغدوي ورواحي وسعيي وإجلابي، وطعني برمحي وضربي بسيفي رياء للناس.

ثم خرج من عند أبي بكر رضي الله عنه، فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه، فسرَّ المسلمون بقدومه وتباشروا به.

وبلغ سعيد بن عامر بن حذيم أنَّ أبا بكر يريد أن يبعثه، فلمَّا أبطأ ذلك عليه، ومكث أيامًا لا يذكر له ذلك أتاه، فقال: يا أبا بكر، والله لقد بلغني أنَّك كنت أردت أن تبعثني في هذا الوجه، ثم رأيتك قد سكت، فما أدري ما بدا لك فيّ، فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثني معه، فما أرضاني بذلك، وإن كنت لا تريد أن تبعث أحدًا، فإني راغب في

الجهاد، فأْذن لي يرحمك الله كيما ألحق بالمسلمين، فقد ذكر لي أنَّ الروم جمعت لهم جمعًا عظيمًا، فقال أبو بكر: رحمك أرحم الراحمين يا سعيد بن عامر، فإنَّك ما علمت من المتواضعين المتواصلين المخبتين المتهجدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيرًا.

فقال له سعيد: رحمك الله، نعم الله علي أفضل، وله الطول والمنُّ، وأنت والله ما علمتُ صدوعٌ بالحق، قوام بالقسط، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، تحكم بالعدل، ولا تستأثر في القسم، فقال له: حسبك يا سعيد، حسبك، اخرج رحمك الله، فتجهَّز، فإني مسرح إلى المسلمين جيشًا وأؤمرك عليهم، فأمر بلالًا فنادى في الناس: أن انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر إلى الشام، فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام، فلمَّا أراد سعيد الشخوص جاء بلال، فقال: يا خليفة رسول الله، إن كنت إنما أعتقتني لله تعالى لأملك نفسي وأصطرف فيما ينفعني فخلِّ سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي، فإنَّ الجهاد إليَّ أحبُّ من المقام، قال أبو بكر: فإنَّ الله يشهد أني لم أعتقك إلا له، وأني لا أريد منك جزاء ولا شكورًا، فهذه الأرض ذات العرض، فاسلك أيَّ فجاجها أحببت، فقال: كأنَّك أيها الصِّديق عتبت عليَّ في مقالتي ووجدت في

نفسك منها؟ قال: لا، والله ما وجدت في نفسي من ذلك، وإني لأحب أن لا تدع هواك لهواي ما دعاك هواك إلى طاعة ربك، قال: فإن شئت أقمت معك، قال: أما إذا كان هواك الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام، وإنما أردتك للأذان، ولأجدن لفراقك وحشة يا بلال، ولا بدَّ من التفرق فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث، فاعمل صالحًا يا بلال، وليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله به ما حييت، ويحسن لك به الثواب إذا توفيت. فقال له بلال:

جزاك الله من ولي نعمة وأخ في الإسلام خيرًا، فو الله ما أمْرك لنا بالصبر على الحق والمداومة على العمل بالطاعة ببدعٍ، وما كنت لأؤذن لأحدٍ بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر.

وجاء سعيد على راحلته حتى وقف على أبي بكر والمسلمين، فقال له: إنَّا نؤم هذا الوجه، فجعله الله وجه بركة، اللهم فإن قضيت لنا التقاء فاجمعنا على طاعتك، وإن قضيت لنا الفرقة فإلى رحمتك، والسلام عليكم، ثم ولى يذهب. فقال أبو بكر: عباد الله، ادعوا الله كيما يصحب صاحبكم ويسلمه، ارفعوا أيديكم رحمكم الله، فرفع القوم أيديهم إلى ربهم وهم أكثر من خمسين رجلًا، فقال علي رضي الله عنه: ما رفع عدتكم من

المسلمين أيديهم إلى ربهم يسألونه شيئًا إلا استجاب لهم، ما لم يكن معصية أو قطيعة رحم، فبلغه ذلك بعد ما واقع أرض الشام وقاتل العدو، فقال: رحم الله إخواني، ليتهم لم يكونوا دعوا لي، قد كنت خرجت وإني على الشهادة لحريص جاهد، فما هو إلا أن لقيت العدو فعصمني الله من الهزيمة والفرار، وذهب من نفسي ما كنت أعرف من حبِّ الشهادة، فلما خبرت أنَّ إخواني دعوا لي بالسلامة عرفت أنهم استجيب لهم.

وكان أبو بكر أمره أن يلحق بيزيد بن أبي سفيان، فسار حتى لحق به، وشهد معه وقعة العربة والداثنة[1].

١- انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص/ ٢٧- ١٣)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» (٢/ ١٨٣- ١٨٥).

توجيه خالد إلى الشام ومعركة أجنادين واليرموك

جمعت الروم عددًا لم يجتمع مثله من قبل لقتال المسلمين، قال ابن كثير: إنَّ المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفًا، وعليهم أبو عبيدة، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم ماهان وسقلاب يوم اليرموك.

وبعث الصحابة إلى الصِّديق يستمدونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك؛ فكتب الصِّديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم.

فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعًا في تسعة آلاف وخمسمائة، ودليله رافع بن عميرة الطائي، فأخذ به على السماق حتى انتهى إلى قراقر، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد، فاجتاب البراري والقفار، وقطع الأودية، وتصعد على الجبال، وجعل رافع يدلهم في مسيرهم على الطريق وهو في مفاوز معطشة، وعطش النوق وسقاها الماء عللًا بعد نهلٍ، وقطع مشافرها وكعمها حتى لا تجتز رحل أدبارها، واستاقها معه، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا ما في أجوافها

من الماء، ويقال بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها.

ووصل ولله الحمد والمنة في خمسة أيام، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وأركه، ولما مرَّ بعذراء أباحها وغنم لغسان أموالًا عظيمة وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلَّمها إليه، فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد.

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحرث المزني إلى الصِّديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص، وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور فكانت واقعة أجنادين.

ويقال: إنَّ الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال: ما كنت أظنُّ أني أعمر حتى أدرك قومًا يجتمعون لحرب ولا أحضرهم، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث الآخر، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال

إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمد.

فامتثلوا ما أشار به، ونِعم الرأي هو.

ويقال إنَّ خالدًا إنما قدم عليهم بعد ما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم وحاصروهم شهر ربيع الأول بكماله، فلما انسلخ وأمكن القتال لقلة الماء بعثوا إلى الصِّديق يستمدونه فقال: خالد لها، فبعث إلى خالد فقدم عليهم في ربيع الآخر، فعند وصول خالد إليهم أقبل ماهان مددًا للروم ومعه القساقسة، والشمامسة والرهبان يحثونهم، ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية، فتكامل جيش الروم أربعين ومائتي ألف.

ثمانون ألفًا مسلسل بالحديد والحبال، وثمانون ألفًا فارس، وثمانون ألفًا راجل.

وقدم عكرمة بمن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفًا إلى الأربعين ألفًا.

وكانت وقعة أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث

عشرة، وقتل بها بشر كثير من الصحابة، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان.

وكان قد بعث رجلًا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة، فلمَّا رجع إليه قال: وجدت قومًا رهبانًا بالليل فرسانًا بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه، أو زنى لرجموه.

فقال له القيقلان: والله لئن كنت صادقًا لبطن الأرض خير من ظهرها.

ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية؛ فقام خالد في الناس خطيبًا، فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف.

فاجتمع الناس وتصافوا مع عدوهم في أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنَّ هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، وإنَّ هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدًا، فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدًا والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كلكم،

ودعوني اليوم أليكم، فأمَّروه عليهم وهم يظنون أنَّ الأمر يطول جدًا فخرجت الروم في تعبئة لم ير مثلها قبلها قط وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك، وجعل أبا عبيدة في القلب، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان.

ولما أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون بأصواتٍ مرتفعة ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له: إني مشير بأمر، فقال: قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع.

فقال له خالد: إنَّ هؤلاء القوم لا بدَّ لهم من حملةٍ عظيمة لا محيد لهم عنها، وإني أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرِّق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم ردءًا فنأتيهم من ورائهم.

فقال له: نِعم ما رأيت.

فكان خالد في أحد الخيلين من وراء الميمنة وجعل قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخَّر عن القلب إلى وراء الجيش

كله لكي إذا رآه المنهزم استحى منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنهم، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها، فقال لهن من رأيتموه موليًا فاقتلنه، ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه.

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإنَّ الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

قالوا: وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم ويقول يا أهل القرآن، ومتحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق، إنَّ رحمة الله لا تنال وجنته لا تُدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا لقول الله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1]، فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوكم

١- [النور: ٥٥].

وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره.

وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزي بالإحسان إحسانًا، لقد سمعت أنَّ المسلمين سيفتحونها كفرًا كفرًا وقصرًا قصرًا، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل.

وقال أبو سفيان: يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدوٍ كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدًا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وإنَّ الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون.

ثم ذهب إلى النساء فوصاهنَّ ثم عاد فنادى: يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم.

ثم سار إلى موقفه رحمه الله.

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضًا فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عزَّ وجلَّ في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطنٍ بأحب إليه منكم في مثل هذا المواطن، ألا وإنَّ للصابرين فضلهم.

قالوا: ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أنَّ الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد، وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق.

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل بن سهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تذارق، وإذا هو جالس

في خيمة من حرير.

فقال الصحابة: لا نستحل دخولها، فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه.

فجلس معهم حيث أحبوا وتراضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك.

وذكر الوليد بن مسلم أنَّ ماهان طلب خالدًا ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم، فقال ماهان: إنَّا قد علمنا أنَّ ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها.

فقال خالد: إنَّه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنَّا قوم نشرب الدماء، وأنَّه بلغنا أنَّه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك، فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنَّا نحدث به عن العرب.

قالوا: ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتي القلب - أن ينشئا القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى

البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحمي الحرب وقامت على ساق.

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى! فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه.

ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية جرح.

وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء.

وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت وخولان، فثبتوا حتى صدقوا، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال، فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون

تحت راياتهم، وانكشف زبيد.

ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا على مَن أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول:

يا هـــاربا عن نسـوة تقيــات ... فعن قليل ما ترى سبيــات

ولا حـظيــات ولا رضيـــات

فتراجع الناس إلى مواقفهم.

وقال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعًا جراحًا، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم.

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: أدفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر، فقال: أدفعها إليه، فتدافعوها

كلهم من واحدٍ إلى واحد حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال: إنَّ أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيدًا رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني السلام، وتقول: يا رسول الله إنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله.

قالوا: وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا.

فلم تر يوم اليرموك إلا مخًا ساقطًا، ومعصمًا نادرًا، وكفًّا طائرة من ذلك الموطن.

ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم، ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم.

ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفضَّ جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم.

قالوا: وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له: ما الخبر؟ فقال له - فيما بينه وبينه -: إن الصِّديق رضي الله عنه قد توفي واستخلف عمر، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح.

فأسرها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال، وقال له والناس يسمعون: أحسنت، وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب - وهو منجمة بن زنيم - إلى جانبه.

قالوا: وخرج جرجة أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإنَّ الحرَّ لا يكذب، ولا تخادعني فإنَّ الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحدٍ إلا هزمتهم؟ قال: لا! قال: فبمَ

سميت سيف الله؟ قال: إنَّ الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعًا، ثم إنَّ بعضنا صدَّقه وتابعه، وبعضنا كذَّبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إنَّ الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين.

ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

فقال جرجة: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل.

قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم.

قال: فإن لم يعطها؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله.

قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل.

قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنَّا قبلنا هذا الأمر

عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقةٍ ونية كان أفضل منَّا؛ فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإنَّ الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علِّمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنَّ عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين.

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام.

فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب.

وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء، وأصيب جرجة

رحمه الله، ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنها.

وضعضعت الروم عند ذلك.

ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم، فعند ذلك هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا.

وأخَّر الناس صلاتي العشاءين حتى استقرَّ الفتح، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائطٌ قد هدم، ثم تبعوا من فرَّ من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه.

قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفًا سوى من قتل في المعركة.

وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلن خلقًا كثيرًا من الروم، وكنَّ يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال.

قال: وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا: إذا لم نقدر على نصر دين النصرانية فلنمت على دينهم.

فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم.

قالوا: وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين ذهب وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة.

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالًا شديدًا، وذلك أنَّ أباه مرَّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنَّه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفًا بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكوننَّ أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك.

فقال: أفعل إن شاء الله.

فقاتل يومئذ قتالًا شديدًا وكان من ناحية القلب رضي الله عنه.



وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتًا يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد.

وأكمل خالد ليلته في خيمة تدارق أخي هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ - هرب فيمن هرب، وباتت الخيول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مرَّ بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقًا، وثلاثون رواقًا من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلمَّا كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم.

وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصِّديق حين أعلمهم خالد بذلك، ولكن عوضهم الله بالفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال خالد حين عزى المسلمين في الصِّديق: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحبَّ إليَّ من عمر، والحمد لله الذي ولَّى عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر وألزمني حبه[1].

١- «البداية والنهاية» (٧/ ٩ - ١٨) بتصرف شديد.

الفصل الخامس

استخلاف الصِّدِيق لعمر بن الخطاب ووفاته


٣٧٦

المبحث الأول

استخلاف عمر رضي الله عنه

مشاورة الصِّديق في تولية عمر:

قال ابن الأثير: لما نزل بأبي بكر رضي الله عنه الموت دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنَّه أفضل من رأيك إلا أنَّه فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنَّه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لِنت له أراني الشدة عليه. ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا مما قلت لكما شيئًا، ولو تركته ما عدوت عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئًا، ولوددت أني كنت من أموركم خلوًا، وكنت فيمن مضى من سلفكم.

ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك! فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه،

فقال: أبالله تخوفني! إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك[١].

وروي أنَّ أبا بكر لما دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما تسألني عن أمرٍ إلا وأنت أعلم به مني، ثم قال: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فسأله عن عمر، فقال: اللهم إنَّ علمي به أنَّ سريرته خير من علانيته وإنَّه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر: ولو تركته ما عدوتك، وشاور معهما سعيد بن زيد بن عمرو وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وقال أسيد: لن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وقال رجل: ما أنت قائل لربك إن سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أبالله تخوفني؟ خاب من تزود من أمركم ظلمًا، أقول: اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني هذا القول من وراءك[٢].

ولما سمع بعض الصحابة بهذه المشاورات من أبي بكر رضي الله عنه حاولوا الاعتراض؛ فعن أسماء بنت عميس قالت: دخل رجل من المهاجرين على أبي بكر رحمه الله وهو شاكٍ، فقال: استخلفت عمر؟ وقد كان عتا

١- «الكامل في التاريخ» (٢ / ٢٦٦).

٢- انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠ / ٨٧).

علينا ولا سلطان له، فلو قد ملكنا لكان أعتى علينا وأعتى، فكيف تقول لله إذا لقيته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني. فأجلسوه، فقال: هل تفرقني إلا بالله؟ فإني أقول إذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك، قال معمر: فقلت للزهري: ما قوله: خير أهلك؟ قال: خير أهل مكة[1].

وقد تشاور أبو بكر مع عبد الرحمن بن عوف مرة أخرى؛ فعن عبد الرحمن بن عوف أنَّه دخل على أبي بكر الصِّديق يعوده في مرضه الذي مات فيه فوجده مقتفيًا، فقال أصبحت بحمد الله بارئًا، فقال: أترى ذاك؟ قال: نعم. قال: أما إني شديد الوجع، وما لقيت منكم أيها المهاجرون أشد من وجعي هذا! إني وليت أمركم خيركم في نفسي وكلكم ورم من ذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له وكانت الدنيا قد أقبلت، ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وحتى يألم أحدكم على الصوف الآدمي كما يألم أحدكم على حسك السعدان، فوالذي نفسي بيده لأن يُقدم أحدكم فيضرب عنقه من غير حدٍّ خير له من أن يخوض غمرة الدنيا، ثم أنتم غدًا أول ضال بالناس يمينًا وشمالًا

١- [رجاله ثقات]: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (رقم/ ٩٧٦٤)، والطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٣٣) من طريق الزهري عن القاسم عن أسماء به، وقال ابن حجر في «المطالب العالية» (رقم/ ٣٨٨٩): «رجاله ثقات».

لا تصفعونهم على الطريق، يا هادي الطريق جرت، إنما هو الفجر أو البحر. قال: فقال له عبد الرحمن: خفِّض عليك يرحمك الله؛ فإنَّ هذا يهيضك لما بك إنما الناس في أمرك رجلان؛ إما رجل رأى ما رأيت، فهو معك وإما رجل رأى ما لم تر فهو يشير عليك بما تعلم وصاحبك كما تحب أو كما يحب، ولا نعلمك أردت إلا الخير، ولم تزل صالحًا مصلحًا مع أنَّك لا تأسى من الدنيا. قال: أجل والله ما أصبحت آسى من الدنيا على شيء إلا على ثلاث فعلتهن، وثلاث ألا أكون سألت رسول الله ﷺ عنهن؛ فأما الثلاث التي فعلتهن: فوددت أني تركتهن أني يوم سقيفة بني ساعدة ألقيت هذا الأمر في عنق هذين الرجلين - يعني: عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميرًا وكنت وزيرًا، وودت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيء مع أنهم أغلقوه على الحرب، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمى، وأني كنت قتلته سريحًا أو خليته نجيحًا، وأما الثلاث التي تركتهن ووددت أني كنت فعلتهن: وددت أني يوم وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى أهل العراق فكنت قد بسطت كلتا يدي في سبيل الله، ووددت أني حين أتيت بالأشعث بن قيس أسيرًا ضربت عنقه؛ فإنَّه يخيَّل إليَّ أنَّه لا يرى شرًا إلا أعان عليه، ووددت أني سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر

بعده فلا ينازعه أحد، ووددت أني سألت رسول الله ﷺ: هل للأنصار فيه شيء؟ ووددت أني سألت رسول الله ﷺ عن ميراث بنت الأخ والعمة؛ فإنَّ في نفسي منها شيئًا[1].

١- [ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٢٩- ٤٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٦٢)، وابن عساكر (٣٠ / ٤١٧- ٤١٨) مطولًا، والحاكم (٤/ ٣٨) مختصرًا، وقد اختلف في إسناده؛ فانظر: «علل الدارقطني» (رقم/ ٩)، واستنكره العقيلي في «ضعفائه» (٣/ ٤٢٠)، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٣).

كتابة عهد الخلافة لعمر

لما حصل الإجماع على خلافة عمر رضي الله عنه أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يكتب بذلك كتابًا؛ فعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه وصية أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه هذه إلى الخليفة من بعده، قال: حتى إذا لم يبق إلا أن يسمي الرجل أخذت أبا بكر غشية، قال: وفرق عثمان أن يموت ولم يسم أحدًا، وعرف أنَّه لا يعدو عمر بن الخطاب؛ فكتب في الصحيفة عمر بن الخطاب، ثم طواها فأفاق أبو بكر وقد علم أنَّه لم يسم أحدًا، قال: فرغت؟ قال: نعم. قال: من سميت؟ قال: عمر بن الخطاب. قال: رحمك الله، وجزاك خيرًا، فوالله لو توليتها لرأيتك لها أهلا[1].

وقد جاء في بعض الروايات أنَّ نصَّ الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب. إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٢/ ٦٦٧)، والحسن بن عرفة في «حديثه» (رقم/ ٣٧)، والآجري في «الشريعة» (رقم/ ١٢٠٠).

وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠٣) بإسناد حسن عن عائشة.

فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1]. والسلام عليكم ورحمة الله.

ولما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب بقي ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمي أحدًا فكتب عثمان إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليَّ ما كتبت، فقرأ عليه ذكر عمر فكبَّر أبو بكر، وقال: أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك يختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيرًا، والله إن كنت لها لأهلًا، ثم أمره فخرج بالكتاب مختومًا ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. وقال بعضهم: قد علمنا به.

قال ابن سعد: علي القائل وهو عمر، فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به وبايعوا، ثم دعا أبو بكر عمر خاليًا فأوصاه بما أوصاه به، ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يديه مدًا، فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم

١- [الشعراء: ٢٢٧].

وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح لهم وإليهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيته[1].

وقد جاء في بعض الروايات نصُّ وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما؛ فعن زبيد، قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصيةٍ إن حفظتها: إن لله حقًا في الليل لا يقبله في النهار، وإنَّ لله حقًا في النهار لا يقبله في الليل، وأنَّه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه يوم القيامة إلا الحق أن يكون ثقيلًا، ألم تر أنَّ الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا، وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: ألا بلغ هؤلاء، وذكر أهل النار بسيئ ما عملوا وردَّ عليهم صالح ما عملوا، فيقول القائل: أنا خير من هؤلاء، وذكر آية

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٣/ ١٤٩- ١٥٠).

الرحمة وآية العذاب، فيكون المؤمن راغبًا راهبًا، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيديه إلى التهلكة، فإن أنت حفظت قولي هذا، فلا يكن غائب أحبَّ إليك من الموت ولا بدَّ لك منه، وإن أنت ضيعت قولي هذا فلا يكن غائب أبغض إليك منه ولن تعجزه [1].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٤٤٣٣) بإسناد رجاله ثقات، ولكن زبيد لم يلق أحدًا من الصحابة، انظر: «جامع التحصيل» (ص/ ١٧٦).

المبحث الثاني

وفاة أبي بكر رضي الله عنه

مرضه وسبب وفاته:

قالت عائشة رضي الله عنها: كان أول ما بدأ مرض أبي بكر به أنَّه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا فحُم خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس، ويدخل الناس يعودونه، وهو يثقل كل يوم، وهو نازل في داره التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وِجاه دارِ عثمان بن عفان اليوم، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه[1].

وقيل: إنَّ سبب وفاته أنَّ اليهود سمته في أرزة، ويقال: في جذيذة، وتناول معه الحارث بن كلدة منها، ثم كفَّ، وقال لأبي بكر: أكلت طعامًا مسمومًا سم سنة فمات بعد سنة[2].

عن ابن شهاب، أن رجلًا أهدى يومًا لأبي بكر رضي الله عنه صحفة من خزيرة، وعنده رجل يقال له: الحارث بن كلدة، وعنده علم، فلما أكلا منها، قال

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٤١٩).

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٤١٩).

ابن كلدة فيها سم سنة، فوالذي نفسي بيده لم يمر الحول حتى ماتا في يومٍ واحد رأس السنة[١].

وعن الشعبي، أنَّه قال: ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدنية؟! وقد سُم رسول الله ﷺ، وسُم أبو بكر الصِّديق، وقُتل عمر بن الخطاب حتف أنفه، وكذلك قتل عثمان وعلي، وسُم الحسن، وقُتل الحسين حتف أنفه[٢].

وقيل: إنَّ سبب وفاته هو حزنه على رسول الله ﷺ؛ فعن سالم بن عبد الله عن أبيه، قال: كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ؛ ما زال جسمه يجري حتى مات[٣].

وفي مرض أبي بكر رضي الله عنه دخل عليه إخوانه يزورونه؛ فعن أبي السفر، قال: دخل على أبي بكر ناس من إخوانه يعودونه في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ، ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليّ.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الحاكم (٣ / ٦٦) بإسناده عن الزهري به، وصحح السيوطي إسناده إلى الزهري في «تاريخ الخلفاء» (ص/ ٦٥)، ويبقى إرسال الزهري.

٢- [إسناده ضعيف جدًا]: أخرجه الحاكم (٣ / ٦٧)، وتعقبه الذهبي بأنَّ في إسناده متروكًا.

٣- [إسناده واهٍ]: أخرجه الحاكم: (٣/ ٦٦)، وتعقبه الذهبي بأنَّ إسناده واهٍ.

قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد[١].

ودخلت عليه بنته عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، تقول: كنت عند أبي بكر حين حضرته الوفاة، فتمثلت بهذا البيت:

من لا يــزال دمعــه مقنــعـا   يـوشـك أن يـكـون مــدفـوقـا

فقال: يا بنيَّة، لا تقولي هكذا، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[٢]، ثم قال: في كم كفن النبي ﷺ؟ فقلت: في ثلاثة أثواب. فقال: كفنوني في ثوبي هذين، واشتروا إليهما ثوبًا جديدًا، فإنَّ الحي أحوج إلى الجديد من الميت، وإنما هي للمهنة أو للمهلة[٣].

وجاء في رواية أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت:

لعمري ما يغني الثـراء عن الفتى   إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا تقولي ذلك، ولكنَّه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَآءَتۡ

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٤٤٤٠) بإسناد رجاله ثقات عن أبي السفر به، ولكن أبا السفر لم يدرك أبا بكر، انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (١١/ ٠١).

٢- [ق: ١٩].

٣- [إسناده حسن]: أخرجه ابن حبان (رقم/ ٣٠٣٦)، وصححه الألباني.

سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾[١].

وقد توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، في جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه[٢].

وعن قتادة، قال: بلغني أنَّ أبا بكر حين حضره الموت: وددت أني خضرة تأكلني الدواب، وقال بعضهم: كان آخر ما تكلَّم به أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣] [٤].

١- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن سعد (٣/ ١٤٦).

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٤١٩).

٣- [يوسف: ١٠١].

٤- انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠/ ٨٦).

كفنه وغسله

كان كفن الصِّديق أبي بكر رضي الله عنه عبارة عن ثوب خلق بالٍ كما أوصى رضي الله عنه؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يوم الاثنين. قال: فأي يوم هذا؟ قالت: يوم الاثنين. قال: أرجو فيما بيني وبين الليل، فنظر إلى ثوبٍ عليه، كان يمرض فيه به ردع من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين، فكفنوني فيها. قلت: إنَّ هذا خلق، قال: إنَّ الحيَّ أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمهلة فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه حريصًا أن يدفن في يوم الاثنين الذي كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة قالت: إنَّ أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن متُّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإنَّ أحبَّ الأيام والليالي إليَّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ١٣٨٧).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الإمام أحمد (١ / ٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠): «فيه شيخ أحمد: محمد بن ميسر أبو سعد، ضعفه جماعة كثيرون، وقال أحمد: صدوق»، انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢٦/ ٥٣٥).

كما أوصى رضي الله عنه أن تغسله زوجه أسماء بنت عميس رضي الله عنها؛ فعن عائشة قالت: أوصى أبو بكر أن تغسله أسماء بنت عميس امرأته، وإنها ضعفت فاستعانت بعبد الرحمن، وكفن في ثوبين أحدهما غسيل، ويقال: في ثلاثة أثواب، وحمل على سرير النبي ﷺ، وهو سرير عائشة رضي الله عنها، الذي كانت تنام عليه، فحمل عليه أبو بكر رضي الله عنه، فصلى عليه عمر في المسجد بين القبر والمنبر، ودفن في البيت مع رسول الله ﷺ ليلًا، وجعل رأسه بين كتفي النبي ﷺ[1].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٦)، ولم يحكم عليه.

ما قيل في وفاة أبي بكر رضي الله عنه

كان يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه يومًا مشهودًا في المدينة؛ فعن أسيد بن صفوان، قال: لما كان اليوم الذي قبض فيه أبو بكر ارتجت المدينة بالبكاء ودُهِشَ الناس كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء علي بن أبي طالب باكيًا مسرعًا، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة! حتى وقف على البيت الذي فيه أبو بكر مسجى، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أوَّلَ القوم إسلامًا، وأكملَهم إيمانًا، وأخوفَهم لله، وأشدَّهم يقينًا، وأعظَمهم غنىً، وأحوطَهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحْدَبَهم على الإسلام، وآمَنَهم على أصحابه، وأحسَنَهم صحبة، وأفضَلَهم مناقبَ، وأكثَرَهم سوابقَ، وأرفعَهَم درجةً، وأقرَبَهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا، وأشبَهَهم به هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلًا، وأشرفَهم منزلةً، وأكرمَهم عليه، وأوثقَهم عنده؛ فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا، صدَّقته حين كذَّبوه؛ فسمَّاك الله صدِّيقًا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾[1]، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾[2]، أبو بكر الصِّديق، أعطيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وصحِبْتَه بأحسن الصحبة، ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾[3] صاحبه، والمنزِّل عليه السَّكينة، ورفيقه في الهجرة ومواطن الكره،

١- [الزمر: ٣٣].
٢- [الزمر: ٣٣].
٣- [التوبة: ٤٠].

خَلَفْتَه في أمته أحسن خلافة حين ارتدَّ الناس، وقمت بدين الله قيامًا لم يقمه خليفة نبيٍّ، قويت حين ضَعُفَ أصحابُه، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ، كنت خليفتَه حقًا لم تنازع، ولم تصد بزعم المنافقين وصغر الفاسقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، قمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تقبضوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، واتبعوك فهدوا، وكنت أخفضَهم صوتًا، وأعلاهم فوقًا، وأطولَهم صمتًا، وأصوبَهم نطقًا، وأبلغَهم كلامًا، وأكثرَهم أناةً، وأشرحَهم قلبًا، وأشدَّهم نفسًا، وأسدَّهم عقلًا، وأعرَفهم بالأمور، كنت أوَّلًا حين تفرق عنه، وآخرًا حين فشلوا، كنت للمؤمنين أبًا رحيمًا، صاروا عليك عيالًا، تحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، فأدركت آثار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكفار عذابًا واصبًا، وللمسلمين غناء وحصنًا، فطرت بغنائها، وذهبت بفضائِلها، وأحرزت سوابقَها، لم تَقْلُلْ حجتُك، ولم يَزِغْ قلبك، ولم تَضْعُفْ بصيرتك، ولم تَجْبُنْ نفسك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ: «آمن الناس في صحبتك»[1]، وذات يدك عونًا في أمر

١- تقدم تخريجه.

الله، متواضعًا في نفسك، عظيمًا عند الله، خليلًا في الأرض، كبيرًا عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مطمع، ولا لقائل مغمز، ولا لأحدٍ عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ذليل حتى تأخذ منه الحق، فالعزيز والضعيف عندك سواء في ذلك، شأنك الحق والرفق، قولك حقٌّ وحتم، وأمرك احتياطٌ وحزم، أقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير، وأطفئت النيران، وقوي الإسلام، فظهر أمر الله ولو كره المشركون، سبقت والله سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالحق فوزًا مبينًا، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا له أمره، لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا وكهفًا، وللمسلمين حصنًا، وعلى المنافقين غيظًا، فالحمد لله، لا حرمنا الله أجرك، ولا أضلَّنا بعدك.

وسكت القوم حتى انقضى كلامه، وبكوا وقالوا: صدقت يا ابن عم رسول الله ﷺ[1].

وعن الأصمعي، قال: سمعت أبي يقول: سمعت جدي يقول: وقفت

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الخطيب في «المتفق والمفترق» (١/ ٥٠٥)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٠/ ٤٣٨ - ٤٤٠)، وضعفه ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٢٣٢).

عائشة على قبر أبيها، فقالت: رحمك الله يا أبت، لقد قمت بالدين حين وهي سعيه، وتفاقم صدعه، ورحبت جوانبه، وبغضت ما أصغوا إليه، وشمَّرت فيما وَنَوا عنه، واستخففت من دنياك ما استوطنوا، وصغَّرت منها ما عظَّموا، ولم تهضم دينك، ولم تنس غدك، ففاز عند المساهمة قدحك، وخفَّ مما استوزروا ظهرك، حتى قرَّرت الرؤوس على كواهلها، وحقنت الدماء في أُهُبها - يعني: في الأجساد -، فنضَّر الله وجهك يا أبت، فلقد كنت للدنيا مذِلًّا بإدبارك عنها وللآخرة معِزًّا بإقبالك عليها، ولكن أجلَّ الزرايا بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأكثر المصائب فَقدك، فعليك سلام الله ورحمته غير قاليةٍ لحياتك ولا زاريةٍ على القضاء فيك[1].

وقال حسان بن ثابت في وفاة أبي بكر:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فذاكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أوفاها وأعدلها ... إلا النبي وأولاها بما حملا

والصادق القول والمحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

قد عاش فينا جميل الرأي متبعا ... يهدي كهدي رسول الله ما انتقلا[2]

١- [فيه نظر]: أخرجه الدينوري في «المجالسة» (رقم/ ٢٤٢٢)، وابن عساكر (٣٠/ ٤٤٢- ٤٤٣)، وفيه من لم أقف عليه.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٢٥٥)، ومن طريقه البيهقي (٦/ ٣٦٩).

وقال خفاف بن ندبة السلمي:

ليس لحي ما علمته بقاء وكل دنيا عمرها للفناء
والملك في الأقوام مستودع عارية والشرط فيه للإداء
والمرء يسعى وله راصد يسديه العين وباب العداء
يهزم أو يقتل أو قهر بشكوه سقم ليس فيها شفاء
إن أبا بكر هو الغيث إذ لم يزرع الجوزاء بقلا بماء
بالله لا تدرك أيامه ذو مئزر ناش ولا ذو رداء
من يسع كي يدرك أيامه مجتهد الشد بأرض فضاء[1]

تركته

كان أبو بكر رضي الله عنه حريصًا في مرض موته أن يراجع تركته ويوصي فيها؛ فعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فإني قد كنت أستحله. قال: وقال عبد الله بن نمير أستصلحه جهدي، وكنت أصيب من الودك نحوًا مما كنت أصيب في التجارة. قالت عائشة: فلمَّا مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه وإذا ناضح كان يسني عليه.

١- [لم أقف على إسناده]: ذكره الطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٢٧) معلقًا عن خفاف به، وانظر: «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» (١/ ٣٥٨).

قال عبد الله بن نمير: ناضح كان يسقي بستانًا له. قالت: فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرني جدي أنَّ عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا[1].

وعن عائشة، أنَّ أبا بكر حين حضره الموت قال: إني لا أعلم عند أبي بكر من هذا المال شيئًا غير هذه اللقحة وغير هذا الغلام الصيقل كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا، فإذا متُّ فادفعيه إلى عمر، فلما دفعته إلى عمر، قال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[2].

وعن أنس، قال: أطفنا بغرفة أبي بكر الصِّديق في مرضته التي قبض فيها. قال: فقلنا كيف أصبح أو كيف أمسى خليفة رسول الله؟ قال: فاطلع علينا اطلاعة، فقال: ألستم ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلى قد رضينا.

قال: وكانت عائشة هي تمرضه. قال فقال: أما إني قد كنت حريصًا على أن أوفر للمسلمين فيئهم مع أني قد أصبت من اللحم واللبن فانظروا إذا رجعتم مني فانظروا ما كان عندنا فأبلغوه عمر. قال: فذاك

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٢٢٦١٩)، وابن سعد (٣/ ١٤٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (رقم/ ٥٦٨)، وابن سعد (٣/ ١٤٣).

حيث عرفوه أنَّه استخلف عمر. قال: وما كان عنده دينار ولا درهم. ما كان إلا خادم ولقحة ومحلب، فلما رأى ذلك عمر يُحمل إليه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[1].

وعن محمد، قال: توفي أبو بكر الصِّديق وعليه ستة آلاف كان أخذها من بيت المال. فلمَّا حضرته الوفاة قال: إنَّ عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإنَّ حائطي الذي بمكان كذا وكذا فيها، فلمَّا توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أحبَّ أن لا يدع لأحدٍ بعده مقالًا، وأنا والي الأمر من بعده وقد رددتها عليكم[2].

وعن عائشة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: إنَّ أبا بكر الصِّديق كان نحلها جاد عشرين وسقًا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة، قال: والله يا بنيَّة ما من الناس أحد أحب إليَّ غنى بعدي منك، ولا أعز عليَّ فقرًا بعدي منك، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقًا، فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك. وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك، وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشة، فقلت: يا أبت، والله لو كان

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ١٤٣).

٢- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن سعد (٣/ ١٤٣)، ومحمد هو ابن سيرين، ولم يدرك أبا بكر، انظر: «جامع التحصيل» (ص/ ٢٦٤).

كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة، أراها جارية[1].

رضي الله عن الصِّديق وسائر الصحابة أجمعين، وجمعنا بهم في الفردوس مع النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين.

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام مالك (٢/ ٧٥٢).

المراجع

- أبو بكر الصديق شخصيته وعصره: للدكتور علي الصلابي، ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية -القاهرة- (٢٠٠٢).
- أبو بكر الصديق، علي الطنطاوي، دار المنارة - جدة، (١٤٠٦ هـ).
- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة: لابن حجر، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف: د. زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.
- اجتماع الجيوش الإسلامية: لابن القيم، ت: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض -.
- الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما: للضياء المقدسي، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن الدهيش، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للألباني، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ = ١٩٩٢ م)، دار الجيل، بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر، تحقيق: مركز هجر للبحوث، بالتعاون مع د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، مصر.
- أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، (١٤٢٠ هـ).
- إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق - د / حامد محمد الخليفة، دار الميمان، (٢٠١١ م).
- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: لعبد الله بن عمر الدميجي، ط. دار طيبة - ١٤٠٧.
- أنساب الأشراف: للبلاذري، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م)، دار الفكر، بيروت.
- البداية والنهاية: لابن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م)، دار هجر، مصر.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، الطبعة الثانية (١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، المؤلف: د محمد سهيل طقوش، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، د/ يسري محمد هاني، جامعة أم القرى (١٤١٨ هـ).
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: للطبري، الطبعة الثانية (١٣٨٧ هـ)، دار التراث، بيروت.
- التاريخ الكبير: للبخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

- تاريخ المدينة المنورة: لابن شبة، تحقيق: علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان، عام النشر (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام: للخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: لابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، عام النشر (١٩٩٥م) دار الفكر، بيروت.

- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، دار هجر، مصر.

- تفسير القرآن العظيم، مسندًا عن رسول الله والصحابة والتابعين: لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، والرياض.

- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، ت: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان

- تهذيب الأسماء واللغات: للنووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء، بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت.

- جامع الرسائل: لابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- جامع المسائل: لابن تيمية - عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة - الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- حقبة من التاريخ: لعثمان بن محمد الخميس، الطبعة الثالثة (١٤٢٧هـ)، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم، عام النشر (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، دار السعادة، محافظة مصر. وتصوير: دار الكتاب العربي، ودار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت.

- خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الرشد.

- دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: للبيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت. ودار الريان للتراث، القاهرة.

- رسالة فضل أبي بكر الصديق، ابن تيمية، مجلة جامعة أم القرى.

- الرياض النضرة في مناقب العشرة: لمحب الدين الطبري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية.

- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة السابعة والعشرون (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت. ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للألباني، الطبعة الأولى، الأجزاء الأربعة الأولى (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)، الجزء السادس (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م)، الجزء السابع (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، مكتبة المعارف، الرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م)، دار المعارف، الرياض.
- السنة: لأبي بكر الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ = ١٩٨٩م)، دار الراية، الرياض.
- السنة: لعبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، دار ابن القيم، الدمام.
- السنن الكبرى: للبيهقي، الطبعة الأولى (١٣٤٤هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند.
- السنن الكبرى: للنسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سنن: ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن: أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- سنن: الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- سنن: سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م)، الدار السلفية، الهند.

- سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السيرة النبوية = السير والمغازي: لابن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م)، دار الفكر، بيروت.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي عبد الرزاق أحمد، ط. مكتبة الرشد.
- السيرة النبوية: لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، عام النشر (١٣٩٥هـ = ١٩٧٦م)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية (١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- سيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الطبعة الثامنة (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م)، دار طيبة، الرياض.
- شرح صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الشريعة: للآجري، تحقيق: د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض.
- شعب الإيمان: للبيهقي، تحقيق: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد، أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض. بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الهند.

- صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولي (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- صحيح ابن خزيمة = مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنقل العدل عن العدل، موصولًا إليه صلى الله عليه وسلم من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار: لابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: للإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، دار طوق النجاة.

- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر، بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صفة الصفوة: لابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.

- الطبقات الكبرى: لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى (١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت.

- الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم: لابن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

- عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق) معاني الأحرف السبعة: لأبي الفضل الرازي، تحقيق: نور الدين عتر، ط. دار النوادر.

- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام: لناصر بن علي عائض حسن الشيخ، الطبعة الثالثة (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)، مكتبة الرشد، الرياض.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقام بإخراجه وصححه: محب الدين الخطيب، عام النشر (١٣٧٩هـ)، دار المعرفة، بيروت.

- الفروسية: لابن القيم، تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م)، دار الأندلس، حائل، السعودية.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- فضاءات الحرية: سلطان العميري، الطبعة الثانية (٢٠١٣)، المركز العربي للدراسات الإنسانية.

- فضائل الصحابة: لأحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- مجموع الفتاوى: لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، عام النشر (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

- المحكم في نقط المصاحف: لأبي عمرو الداني، طبعة دار الفكر، ط: (٢)، سنة (١٤٠٧هـ).

- المدخل إلى السنن الكبرى: للبيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

- مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، المركز القومي للترجمة.

- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ليحيى بن إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض.

- المستدرك على الصحيحين: للحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مسند: ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي، الطبعة الأولى (١٩٩٧م)، دار الوطن، الرياض.

- مسند: أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق.

- مسند: إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ = ١٩٩١م)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

- مسند: الحميدي، تحقيق: حسن سليم أسد، الطبعة الأولى (١٩٩٦م)، دار السقا، دمشق.

- مسند: الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، الطبعة الأولي (١٤١٦هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

- مسند: الطيالسي، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ = ١٩٩٩م)، دار هجر، مصر.

- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وحمزة أحمد الزين، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م)، دار الحديث، القاهرة.

- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، تحت إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، (١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- المصاحف المنسوبة للصحابة، والرد على الشبهات المثارة حولها، ت: محمد بن عبد الرحمن الطاسان، ط. التدمرية.

- المصاحف: لابن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، الطبعة الأولى (١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م)، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.

- المصنف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبدالله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م)، مكتبة الرشد، الرياض.

- المصنف: لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

- المعجم الأوسط: للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

- المعجم الكبير للطبراني، ت: حمدي السلفي، ط. ابن تيمية، والصميعي ١٤١٥.

- معرفة السنن والآثار: للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ = ١٩٩١م)، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان. ودار قتيبة، دمشق، بيروت. ودار الوعي، حلب، دمشق. ودار الوفاء، المنصورة، القاهرة.

- معرفة الصحابة: لأبي نعيم، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، دار الوطن للنشر، الرياض.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

- موقع الدرر السنية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، عام النشر ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

فهرست الموضوعات

